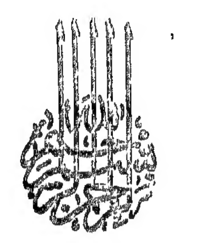
خليل مصطفى

ضابط استخبارات الجولان قبل الحرب

سقوط الجولان



سقوط الجولان



الإهداء

إلى ديار ثكلى ... قد خذلها حماتها .

في يوم كريهة ... غابوا فما ثبتوا .

إلى الجولان الحبيب ...

أسير حزن فاجع ... شهيد غدر في الجريمة ضالع .

إلى حبة القلب مني ...

ربى أنفقت فيها زهرة عمري ...

ومكثت فيها سنوات طوالا .. أتحرق ليوم الصدام .

إلى ثرى رويناه عرقاً ... وأتخمناه أعداداً .

ثم أبعدنا البغاة ... فما أتاحوا لنا أن نرويه بالدم .

إلى الجولان المفجوع ...

أضاعه التهويش الفاجر ... في مسرحية حرب وما كانت كما زعموا .

إلى تلاله ووديانه ... سهوله وهضابه .

إلى مخضر زرعه .. ودفاق مائه .. يروي كريم ترابه .

من خلال حنين يذيب قلبي ... وما خففته الزفرات حرى

وشواظ شوق يلفح نفسي ... فيذوي عود كان مخضراً

أكشف الحقائق ... وأبح حلقي بهذه الصرخات .

فرسانها .. ومن يدري ؟

تقهر جوامد الصخر ... وتلفح الحر ... وتسابق الرياح :

وكأنما تحن إلى أرضها مقبرة الغزاة الغرباء ...

في أعماقها أصالة ... تجري في دمائها العجيبة .

وتنجب جيلاً ... يهزم الهزيمة ...

يقفو آثار الكماة من كرام قادتنا .

يتمثل إيمان أبي عبيدة ... وصدق جهاد خالد ... وبطولات شرحبيل وعكرمة ... ويحيا سيرة صلاح الدين وقطز وبيبرس ...

ويتأسى جهاد عبد القادر الحسيني وعز الدين القسام وحسن الخراط ...

فإني رأيت جيلنا ما عاد للخير يرجى .

وأرى « فرسانه » إلى ذل الاستسلام قد أنسوا ...

خليل

أهداف الكتاب

... وبتواضع يفرضه علي ما أنا فيه من محنة ...

أقدم هذا الكتيب .. وأهدف في ذلك أموراً ثلاثة :

١ ــ أن أثبت لمن أذهلهم ما سمي « انتصاراً ساحقاً » لإسرائيل ... أن ذلك لم يكن انتصاراً في حرب ... فإن الشعب لم يقاتل ... ولو خلي بينه وبين العدو ، لسطر صفحات جديدة من البطولة المعجزة ... ولما كانت الفاجعة التي نجرع اليوم مرارتها ... ! !

٢ ــ أن اثبت أن الذي حدث ما كان غير مؤامرة متقنة ، وجريمة مدبرة ، أعدت قبل سنوات طوال ... عمل العدو وعملاؤه خلالها على تصفية كل ما يمكن أن يقف في وجههم ويحبط ما يدبرون ... حتى كان لهم ما أرادوا ... وكانت النكبة ... ! !

٣ ــ رسم خطوط عريضة لمستقبل من الأيام .. تبادر فيه أمتنا لسلوك الطريق الحق ، بتسارع لا يتوقف إلا يوم النصر ... فتمحو عارها ، وتقضي على كل كيانات التآمر وجيوب التخلف ... وتطهر أرضها من كل غريب طامع ... فتصبح سيدة نفسها ، ومالكة أمرها ، وصانعة مستقبلها ... في حدود رسمها لها ربها ... ويرضاه لها ... فتنال رضاه وتأييده .

فالله أسأل أن أكون وفقت لذلك ... إنه خبير سميع ، وأكرم مجيب .

القسم الأول

قبل تنفيذ المؤامرة

الفصل الأول

ما لابد من قوله

« . . . إن الخطوة التي يجب أن تسبق الصلح مع إسرائيل هي إقامة ديموقراطيات اشتراكية ، محل الحكومات الرجعية في الدول العربية . . . » .

من خطاب بن غوريون أمام الكنيست عام ١٩٥١ .. عن كتاب : « المسلمون والحرب الرابعة » .

- ١ -

توضيحات

١ – ... ولست من الذين يتقنون الكتابة أو الكلام .. ولكن الفاجعة كفيلة بأن تنطق أكثر الناس فهاهة وعياً .. ممن ما زالت عندهم بقية من حس ، أو شيء من تيقظ الضمير والوجدان .

ولقد رأيت بعد الفجيعة التي حلت بنا في حزيران المؤامرة .. أن العيون الحائرة تدور في كل اتجاه ، وأن الناس ينظرون نظر المغشى عليه من الموت ... يريدون أن يعرفوا كيف حدث الذي حدث .. ولماذا حدث ومن المسئول الحقيقي عن الذي حدث .

ولقد كان وقع الفجيعة شديداً على الذين يعرفون ، أكثر من غيرهم وكنت واحداً من هؤلاء . فقررت أن أتكلم .. لعلي أوضح جوانب ذات أهمية من تلك الفاجعة الكبرى في تاريخنا الحديث .

ولقد سبق لأمتنا أن أصيبت بكوارث ضخمة هائلة ، استطاعت تجاوزها والتغلب عليها مع مرور السنين وكر الأعوام .. ولكن الذي يميز هذه الفاجعة عما سبقها .. أنها وقعت رغم إعداد يفوق حدود التصور ، وجهود ليس لأحد أن يحيط علماً بحجمها وضخامتها . . . وطاقات عطلت ، وأموال أنفقت في مدى عشرين عاماً ... كل ذلك لمنع وقوع الفجيعة .. ولكنها وقعت . وهنا يكمن السبب في أنها كانت شديدة الوطأة أكثر من كل ما عداها .

وإنني حين أحاول الكتابة في موضوع النكبة هذه ، أشير إلى أنه ليس من حقي أن أتحدث إلا في حدود معرفتي ، ولذا .. فلن أتكلم إلا عن الجولان .. ذلك الجزء العزيز من أرضنا .. لأني سبق لي أن عشت فيه ، ومارست مستويات مختلفة من المسئولية خلال خمس سنوات كان آخرها وظيفة

« رئيس قسم الاستطلاع فى قيادة الجبهة » ، وهو عمل فى غاية الخطورة ، ويتاح لشاغله أن يطلع على كل خفايا حياة القوات فيها ، وأن يطلع على كل الاستعدادات من تحصين وتسليح ونشر للقوات ، ومن خطط وأوامر تضع لكل احتمال حلاً أفضل . . يتيح للقوات مواجهته والخروج منه بنتيجة مشرفة .

٣ — ولقد سرحت من الجيش عام ١٩٦٣ مع الأفواج الهائلة من العسكريين ، الذين سرحهم حزب البعث بعد تعربشه على السلطة عقب حركة (٨ آزار عام ١٩٦٣) ... وتركت الجبهة ثم الجيش ، وفى ذهنى كثير من الخفايا والأسرار ، لا تقل خطورة عن النكبة ، وتشكل فى حد ذاتها جوانب هامة من الأسباب التى مهدت لها ، وجعلت الجيش عاجزاً عن مواجهتها ومنع حلولها .

٣ — ولم يكن يدور — يومذاك — بخلدى أن الذى حدث ، يمكن أن يحدث . ونظراً لأنى من العسكريين الذين أدوا واجبهم كأحسن ما يكون الأداء خلال خدمتى فى الجيش ... ورغم اطلاعى على كثير من الأمور الخطيرة . . . ولكنى رغم ذلك ، كنت حريصاً على إبقاء الأوامر والنصوص ، والوثائق محفوظة فى الأماكن المعدة لها .. ولذا .. فإن كل ما ورد فى هذا الكتاب ، من معلومات وشروح حول الوضع الدفاعى للجولان ، وحول أحداث الحرب فيه ، كان اعتماداً على ما حفظته الذاكرة وحدها ... أو ما نقله إلى من أثق بصدقهم وإخلاصهم وحسن اطلاعهم . ولقد كتبت هذا الكتاب وأنا فى وضع جعلنى محروماً من إمكانية الحصول على ما يفيد فى الشرح من وثائق أو خرائط وصور ، سوى ما استطعت شراءه من المكتبات العامة من بعض أنواع الخرائط القديمة فاتخذتها أساساً لما رسمت من مخططات توضح ما ورد فى هذا الكتاب .

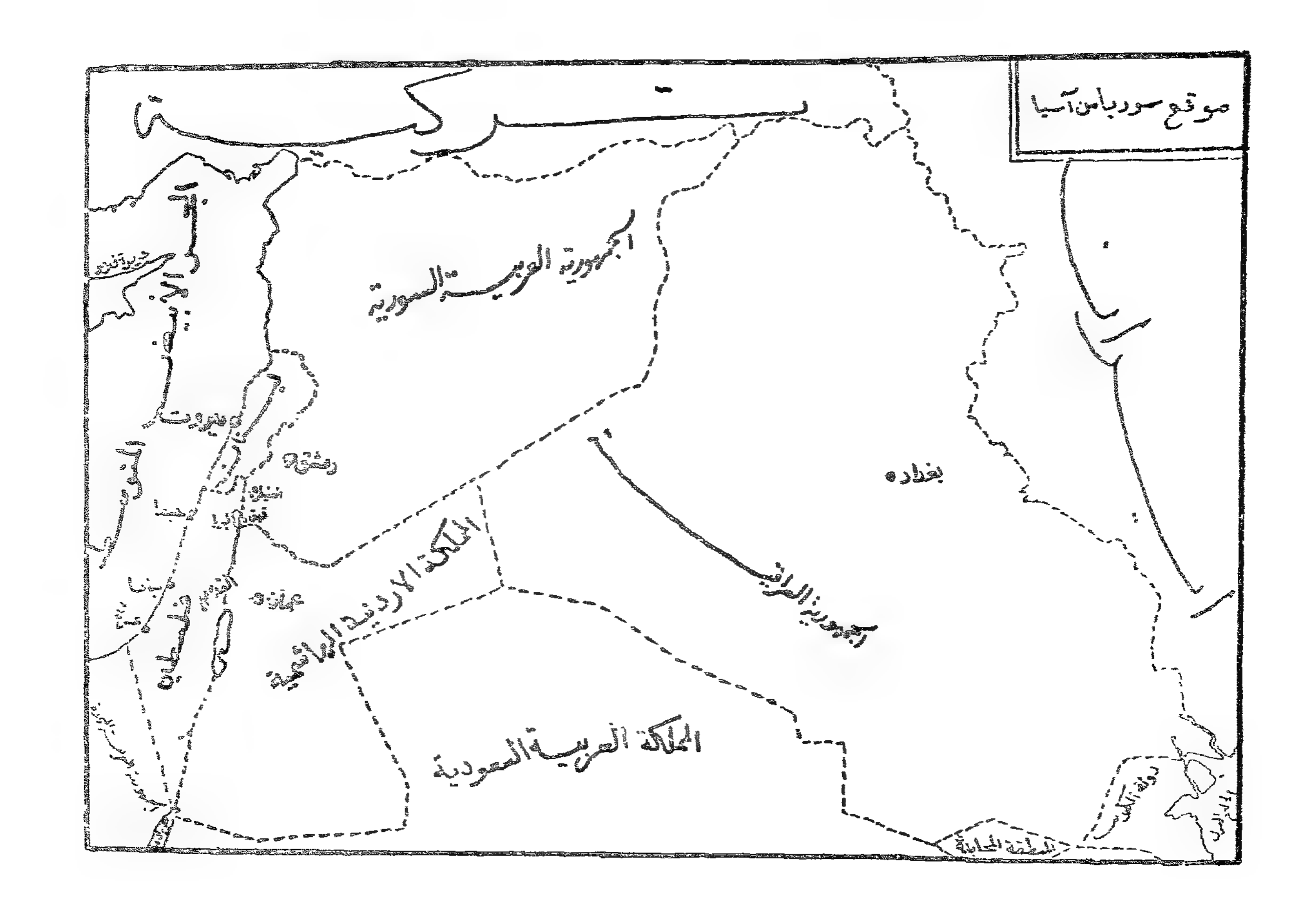
٤ — وليس فى كل ما جاء فى هذا الكتاب ، ما يمكن للمجرمين من أن يدعوا أنه سر أذيعه .. فكل ما ورد فى هذا الكتاب من معلومات عسكرية ، أصبح منذ نيف وعامين ، عند العدو ، محفوظاً مدوناً فى وثائق

تحمل تواقيع كبار القادة العسكريين الذين تتابعوا على قيادة جيش سوريا وبجولانها ولم يبق من هذه الوثائق وأسرارها خافياً على العدو .. الذى درسها وحفظها وأفاد منها ثم بدأ يذيعها تباعاً على الرأى العام فى كل بلدان العالم التى له فيها نفوذ أو تأثير ضدنا .

محتويات تلك الوثائق – التى تركت له سليمة كاملة – ومعلوماتها ، بقيت سراً على شعوبنا دون سواها . . فأصبح من الواجب اطلاع هذه الشعوب عليها ، ليتمكن المخلصون من تحديد حجم الخيانة تمهيداً لوضع مرتكبيها ومنفذيها فى قفص الاتهام .

٥ – وسيجد القارىء أننى أصف ما حدث بالنكبة ، وأرفض تسميته النكسة ، لأن تلك التسمية لا تقل لؤماً عن النكبة نفسها ، فهى تعنى أنها نكسة للقوى الضالة التى أسوت بهذه الأمة فى منحدر العار ... كما تعنى ضمناً وجوب استمرارهم فى القيادة والتوجيه ، وأن على الأمة أن تقبل بذلك ، وهذا ما علينا أن نعلن رفضه ، ونبادر بقوة إلى التخلص منه ، وتقديم القوى الصادقة المخلصة لتأخذ مكانها الطبيعى فى مراكز التوجيه والقيادة للأخذ بأيدى هذه الأمة إلى مكانها اللائق الذى يرضاه الله لها ، ويوفر لها عزة ومكانة ومنعة جانب .

٦ – وأخيراً ... قد يكون ما جاء فى هذا الكتاب ، ناقصاً أو مقصراً .. بسبب ضعف فى الذاكرة ، أو أمور حدثت ولم يتح لى الاطلاع عليها ... فأستميح القارىء عذراً .. وأسأل الله أن يهدى الذين يعرفون ، ليسطروا الجوانب الأخرى من الحقيقة ، حتى تكتمل وتوضع أمام القوى المخلصة التى آن لها أن تتجمع ، لضرب مرتكزات التآمر ، ومواقع الخيانة ... والخروج بهذه الأمة من أغلالها ، وإننى على استعداد لقبول كل نقد أو إضافة أو تصحيح لمعلومات الكتاب . . لنتمكن من تقديم الحقيقة كاملة إلى أصحابها ..



موقع سوريا من آسيا

لمحة تاريخية

(أ) لعل أكثر البلدان العربية والإسلامية إصابة بالنكبات، وتعرضاً للبلايا والمحن خلال العقدين الماضيين، هي سوريا من بعد فلسطين.

إلا أن الذي يميز محنة سوريا عن غيرها، ويجعل نكبتها أشد إيلاماً في النفوس، وأبلغ أثراً في قلوب المخلصين المتطلعين لمستقبل أفضل لهذه الأمة، هو أن نكبتها لم تكن بأيدي أعداء خارجيين، وإنما كانت بأيدي أبنائها، وبصورة خاصة، بأيدي جيشها الذي اقتطعت لقمة العيش من قوت أطفالها وقدمت له في مدى عشرين عاماً ثلثي ميزانيتها (١)، وعطلت أهم وأكثر مشاريعها الإنمائية والإنتاجية حيوية، من أجل الوصول به إلى درجة من القوة والإعداد، يستطيع معها وفاء دينه نحوها، و — على الأقل — صون أرضها ومقدساتها.

ولكن ذلك الجيش، لم يكن باراً بالعهد، ولا وفياً للأمانة التي تصدى لها، فكان دوماً .. السباق لنكبتها، والعامل الأكبر في تشريد أبنائها، ومطاردة رجالها، وتدمير اقتصادها، وتعطيل طاقاتها .. ثم دوس مقدساتها وإهانة حرماتها .. وأخيراً التخلي عن جزء من أرضها للعدو الطامع الغريب.

... هذا الكلام ليس تجنياً على الجيش ... فأنا واحد من أبر أبنائه، ومن أكثر الناس إخلاصاً له، والله وحده يعلم أنني لم أبخل بدم، ولم آل جهداً في رفع مستوى الوحدات التي عينت فيها، والأرض — أرض الجولان وكناكر وقطنا وحمص وحلب — ستشهد أمام الله، كم بذلت من جهد، وكم سكبت

---

(١) بلغ مجموع ما أنفق لرفع مستوى الجيش السوري منذ الاستقلال وحتى تاريخ النكبة، أكثر من ٥ مليارات من الدولارات.

من عرق وكم أصبت بجروح وإصابات ، وكم حرمت نفسى من النوم وحتى من كثير من الأجازات ، لأؤدى واجبى ، بصمت متزن ، شهد لى بها حتى قادتى ، الذين عينت تحت قيادتهم خصيصاً ليحطموا مستقبلى ... فكان منهم أن دافعوا عنى فى وجه خصومى .

ولكنها قولة حق ، أقولها مهما أغضبت من الحاقدين أو صغار العقول . وعزائى فى ذلك أنها ترضى رب العالمين ، وتريح ضميرى ، وتكشف للصادقين فى غيرتهم على مستقبل هذه الأمة ، بعض مواطن الخطر الذى يكمن فى بناء واحدة من أخطر مؤسساتها وأشدها حساسية وأكثرها شأناً .

(ب) ولقد بلغ — حتى اليوم — عدد الانقلابات الظاهرة التى وقعت فى سوريا وتغيرت أنظمة أو أشخاص الحكم نتيجة لها عشرة انقلابات كانت على التوالى :

١ — انقلاب حسنى الزعيم فى ٣٠ آذار ١٩٤٩ .

٢ — انقلاب سامى الحناوى فى ١٤ — ٨ — ١٩٤٩ .

٣ — انقلاب أديب الشيشكلى فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٥١ .

٤ — الانقلاب ضد أديب الشيشكلى فى ٢٥ شباط ١٩٥٤ . وجاء بعده وضع ديموقراطى دستورى بدأت فيه مقدمات سيطرة اليسار على الحكم .

٥ — الانقلاب العسكرى البطىء الصامت الذى توج بإعلان الوحدة فى ٢٢ - ٢ - ١٩٥٨ .

٦ — انقلاب الثامن والعشرين من أيلول عام ١٩٦١ وكان الانفصال نتيجة له ، وجاء بعده وضع ديموقراطى دستورى كان لليمين فيه سيطرة ظاهرية ، بينما بقيت السيطرة الحقيقية فيه للقوى اليسارية .

٧ — انقلاب ٢٨ آذار ١٩٦٢ وقد أبدل حكومة بأخرى . ولكن موقف القوى اليسارية ازداد بعده قوة و رآ .

٨ ـ انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ ، وجاء على أثره نظام الحكم (التركيبة) الذى ضم حزب البعث والحريرى والناصريين .

٩ ـ انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ . الذى أبدل أشخاصاً وفئات بغيرها ضمن إطار حزب البعث ، ولكن كانت نتيجته ازدياد سيطرة اليسار المتطرف ، يتخفى وراءه العنصر الطائفى المتعصب .

١٠ ـ محاولة انقلاب ٨ أيلول عام ١٩٦٦ الفاشلة ، والتى كان من نتائجها إبعاد فئة معينة من حزب البعث هى الفئة الدرزية التى يمثلها سليم حاطوم وطلال أبو عسلى .

(ج) أما العصيانات والتحركات السرية ، التى لعبت أدوارا لا تقل خطورة عن الانقلابات الظاهرة ، فهى كثيرة ، كان من أهمها :

١ ـ عصيان البعثيين فى قطنا ، فى آذار عام ١٩٥٧ وكان من نتيجته تقاسم المناصب الخطيرة فى الجيش بين البعثيين وخصومهم (مجموعة النفورى ...) .

٢ ـ الانقلاب الأبيض فى ١٧ آب ١٩٥٧ ، والذى أخرج بموجبه عدد من الضباط ذوى الرتب الكبيرة أمثال العقداء (عمر قبانى ، سهيل العشى ، حسن العابد ، هشام السمان) ، ثم إقالة الزعيم توفيق نظام الدين ، ثم اختتم برفع الشيوعى العقيد عفيف البزرى إلى منصب رئاسة الأركان العامة بعد ترقيته إلى رتبة اللواء .

٣ ـ عصيان حمص فى نيسان ١٩٦٢ ، الذى أسفر عن إخراج عبد الكريم النحلاوى وعدد من زملائه خارج البلاد ثم سرحوا من الجيش ، ثم أعقبه بعد أيام عصيان حلب بزعامة العقيد جاسم علوان ، وقتل خلاله أربعة ضباط ثم فشل العصيان وأحيل العصاة إلى المحاكمة .

٤ ـ عصيان ١٣ ـ ١ ـ ١٩٦٣ ، الذى قام به عدد من أنصار عبد الكريم النحلاوى ، ملعومين بعناصر من أنصار القاهرة .. وكان من نتائج هذا

العصيان .. أن فشل ودخل قادته السجن . وخلا طريق دمشق أمام رياد الحريرى وشركائه فى المؤامرة ليقوموا بانقلابهم فى ٨ آذار ١٩٦٣ .

٥ ــ محاولة الانقلاب المعروفة بـ (١٨ تموز) . التى قام بها الناصريون ففشلت ، وكان من نتائجها استقالة رئيس الدولة ــ يومذاك ــ الفريق لؤى الأتاسى . وتصفية عدد كبير جداً من أنصار القاهرة . وإعدام سبعة وعشرين شخصاً . كان أشهرهم العقيد هشام شبيب ، والنقيب ممدوح رشيد الذى ذهب ظلماً دونما ذنب اقترفه . والمساعد بحرى كلش وعدد من الفدائيين الفلسطينيين .

٦ ــ سلسلة من العصيانات المحدودة تمت خلال عهد حزب البعث فى سوريا . وأسفرت عن تصفيات كثيرة ، كان أهمها ، طرد اللواء أحمد سويدانى من قيادة الجيش ، ثم هربه من سوريا ملاحقاً . وكان ذلك فى عام ١٩٦٨ .

٧ ــ وأخيراً . حركة الفريق حافظ الأسد ، التى جرت خلال نيسان عام ١٩٦٩ . والتى أسفرت عن نتائج خطيرة لم تظهر آثارها الحاسمة بعد .

(د) أما التصفيات المتعاقبة ــ بالقتل أو الطرد ، أو المحاكمة أو التشريد ــ التى تمت خلال هذه المدة الطويلة فقد كانت كثيرة جداً . أهمها هو :

١ ــ مقتل العقيد الطيار محمد ناصر . قائد القوى الجوية السورية ، بتاريخ ٣١ تموز ١٩٥٠ وقد كان من أكبر منافسى الشيشكلى على السلطة .

٢ ــ إخراج العقيد إبراهيم الحسينى من الجيش ثم من البلاد ، بأوامر من الزعيم أديب الشيشكلى فى عام ١٩٥٢ .

٣ ــ تصفية أنصار أديب الشيشكلى بعد الانقلاب عليه ، وكان من أبرزهم الزعيم عمر خان تمر والرئيس شحادة عبد الحق .

٤ ــ مقتل العقيد عدنان المالكى فى ٢٢ نيسان عام ١٩٥٥ ، بتدبير من الحزب القومى السورى .

٥ ــ تصفية العسكريين من الذين اتهموا بالصلة أو الانتساب إلى الحزب القومى السورى الاجتماعى فى عام ١٩٥٥ ، وبعد مقتل العقيد عدنان المالكى ومن أبرزهم المقدم غسان جديد (شقيق صلاح جديد) .

٦ ــ تسريح عدد من الضباط فى (تموز ــ آب) عام ١٩٥٧ ، بعد اتهامهم ــ ولم يحاكموا ــ بالإعداد لانقلاب يعيد الشيشكلى والحسينى إلى الحكم ... وكان من أبرزهم العقداء (عمر القبانى ، جودت الأتاسى ، سهيل العشى ، عمر العابد ، هشام السمان) ، واللواء طالب الداغستانى والزعيم محمود شوكت والزعيم فيصل الأتاسى .

٧ ــ سلسلة طويلة من التصفيات ، ــ بالتسريح أو التقاعد ، أو النقل إلى الدوائر المدنية ــ قامت بها سلطات الوحدة ، وشملت عدداً من الضباط والعسكريين ــ الشيوعيين ، والقوميين السوريين ، والبعثيين ، والأكراد ، وبلغ مجموعهم ما لا يقل عن ستمائة ضابط وعدد أقل من ضباط الصف والجنود المتطوعين .

٨ ــ تسريح عدد من الضباط الموالين للقاهرة ، خلال حكم الانفصال ، لم يتجاوز عددهم العشرة أو يزيد قليلا ، وكان من أبرزهم قائد الجيش الفريق جمال فيصل ، واللواء محمد الجراح ، والعقيد جاسم علوان ، والعميد جميل حكمت الداية ، والعقيد محمد استانبولى الذى كان مديراً للمخابرات العسكرية .

٩ ــ تسريح ٦٣ ضابطاً خلال عهد الانفصال أيضاً (أوائل عام ١٩٦٢ على وجه التقريب) كان أكثرهم من كبار ضباط حزب البعث ، وكان فيهم صلاح جديد ، وعبد الكريم الجندى ، وحافظ الأسد ، ومحمد عمران .

١٠ ــ سلسلة طويلة جداً من قرارات التسريح والسجن والمحاكمة والإعدام والقتل سراً : شملت أكثر من ٨٥ ٪ من ضباط وعناصر الجيش تمت منذ قيام حكم ٨ آذار وحتى اليوم ، وسنتحدث عنها مفصلا فى السطور القادمة ، نظراً لعلاقتها المباشرة بالذى حدث فى حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

(٥) وقد تعاقب على قيادة الجيش فى سوريا عدد من الضباط كان يتم تسلمهم للقيادة ثم تركهم لها بصور شتى ، وفيما يلى أبرز القادة :

ـ اللواء عبد الله عطفة ، وقد كان قائداً للجيش عقب الاستقلال مباشرة وترك الخدمة بعد أن أحيل إلى التقاعد .

ـ الزعيم حسنى الزعيم ، وقد عين قائداً للجيش بعد اللواء عبد الله عطفة ، ثم قام بانقلابه فى ٣٠ آذار عام ١٩٤٩ ، ومات مقتولا عقب انقلاب سامى الحناوى عليه فى ١٤ آب ١٩٤٩ .

ـ الزعيم سامى الحناوى الذى تسلم قيادة الجيش والبلاد عقب انقلابه على حسنى الزعيم ، ثم ترك القيادة والحكم بعد انقلاب أديب الشيشكلى فى فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٥١ .

ـ الزعيم أنور بنود ، وقد عين فى رئاسة الأركان العامة بعد التطويح بالحناوى واستمر فى منصبه حتى تاريخ ٢١ ـ ٥ ـ ١٩٥١ حيث رفع الشيشكلى إلى رتبة زعيم وعين بديلا له ، ونفى بنود إلى أنقرة ملحقاً عسكرياً .

ـ الزعيم أديب الشيشكلى الذى تسلم رئاسة الأركان العامة بتاريخ ٢١ ـ ٥ ـ ١٩٥١ وبقى فى هذا المنصب حتى النصف الثانى من تموز عام١٩٥٣ إذ تخلى عن هذا المنصب بعد تسلمه رئاسة الجمهورية ، وعين بدلا منه الزعيم شوكت شقير .

ـ الزعيم شوكت شقير الذى خلف الشيشكلى فى تموز ١٩٥٣ ثم أقيل من منصبه بتاريخ ٨ حزيران ١٩٥٦ وعين خلفاً له اللواء توفيق نظام الدين .

ـ الزعيم توفيق نظام الدين ، وقد كلف بهذا المنصب من قبل رئاسة الجمهورية ، ثم استقال عام ١٩٥٧ ، عقب الضغوط التى مارسها عليه البعثيون والشيوعيون مدعمين بأكرم الحورانى ، لإخراج الضباط الدمشقيين الكبار من الجيش ، ولكنه رفض ذلك دون محاكمتهم وإدانتهم . فلما وجد

ذلك غير ممكن ، استقال ، ولم يرض بتوقيع قرار التسريح .. كان ذلك في ١٧ آب ١٩٥٧ .

ــ اللواء عفيف البزرى ، بعد أن رفع من رتبة عقيد متجاوزاً رتبة الزعيم (سميت العميد فيما بعد) واستمر يحكم الجيش منذ ١٧ آب ١٩٥٧ حتى قامت الوحدة ، حيث رفع ارتبة فريق ، واستمر قائداً للجيش (الأول) حتى ربيع عام ١٩٥٩ إذ أقيل من منصبه او قوفه ،وقفاً صلباً في وجه محاولات التسلط التى بدأها الضباط المصريون ، وقامت أجهزة الإعلام بإذاعة نبـأ استقالته ــ دون علمه ــ ثم هرب إلى بغداد وطلب اللجوء السياسى .

ــ الفريق جمال فيصل ، الذى عينه الرئيس جمال عبد الناصر خلفاً للفريق عفيف البزرى واستمر يدير ظواهر أمور الجيش ، وخاصة الاحتفالات ومناسبات تدشين المنشآت العسكرية والمدنية ، حتى وقع الانفصال .في ٢٨ أيلول عام ١٩٦١ ، فأحيل على التقاعد .

ــ الفريق عبد الكريم زهر الدين ، الذى جىء به إلى قيادة الجيش ليكون واجهة ذات رتبة كبيرة منذ اليوم الأول للانفصال ، ولكنه استطاع أن يتملك أمور الجيش شيئاً فشيئاً ، واستمر فى عمله حتى وقعت مؤامرة الثامن من آذار ، عام ١٩٦٣ ، فأدخل السجن وأحيل على المحاكمة ، ثم شمله العفو ، ومنح جميع حقوقه التقاعدية .

ــ اللواء راشد قطيني أحد منفذى مؤامرة ٨ آذار عام ١٩٦٣ ؛ وقد تسلم منصب رئاسة الأركان العامة مدة لم تزد عن شهور ، إلى أن استطاع أمين الحافظ التسلل إلى المنصب بعد سلسلة التصفيات العنيفة التى قام بها حزب البعث لكل شركائه فى الثامن من آذار وعلى رأسهم زياد الحريرى وراشد قطيني ومحمد الصوفى ورابعهم لؤى الأتاسى .

ــ الفريق أمين الحافظ الذى تسلم قيادة الجيش بعد القطيني ، ثم بدأ يزحف على السلطة حتى تسلم قيادة البلاد عقب محاولة انقلاب ١٨ تموز عام ١٩٦٣ التى قام بها الناصريون بقيادة جاسم علوان ، واستمر قائداً للجيش

حتى عام ١٩٦٤ ، حيث عينت قيادة الحزب بديلا له اللواء صلاح جديد ، ليتفرغ هو لمهام رئاسة الدولة .

– اللواء صلاح جديد ، الذى استمر يدير الجيش دون أن يحاول الظهور ، حتى شباط عام ١٩٦٦ ، حين اتخذت القيادة القومية لحزب البعث قراراً بإخراجه من الجيش مع بعض زملائه .

– اللواء أحمد سويدانى ، الذى تسلم قيادة الجيش عقب انقلاب ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ ، وتصفية الفريق أمين الحافظ وأنصاره ، واستمر فى منصبه حتى أدى دوره كاملا فى تسليم الجولان عام ١٩٦٧ ، ثم أقيل من منصبه – ليتفرغ للمهام الحزبية(١) – ثم اوحق وفر من البلاد مطارداً .

– اللواء مصطفى طلاس ، الذى عينته القيادة القطرية لحزب البعث خلفاً للسويدانى عام ١٩٦٨ ، ومازال قائداً للجيش حتى كتابة هذه الصفحات .

(و) الضباط الذين رفعوا استثنائياً لتسلمهم مهام قيادة الجيش :

١ – عفيف البزرى وقد رفع من رتبة عقيد إلى رتبة اللواء ثم الفريق .

٢ – جمال فيصل وقد رفع من رتبة العقيد إلى رتبة الزعيم ثم اللواء ثم الفريق .

٣ – راشد القطينى ، الذى رفع من رتبة العقيد إلى رتبة اللواء .

٤ – أمين الحافظ الذى رفعه حزب البعث من عقيد إلى عميد فلواء ففريق فى خلال ثلاث سنوات .

٥ – صلاح جديد ، الذى رفعه حزب البعث من رتبة مقدم إلى رتبة اللواء مباشرة .

٦ – أحمد سويدانى الذى رفعته القيادة القطرية لحزب البعث بعد حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، من رتبة المقدم إلى رتبة اللواء .

---

(١) هكذا قالوا ...

٧ ــ مصطفى طلاس ، وقد رفعه حزب البعث من رتبة العقيد إلى رتبة اللواء .

وهذا لا يعني أن الترفيعات الاعتباطية الاستثنائية اقتصرت على هؤلاء فقط ، بل شملت كثيرين آخرين ، ولكن هذا ليس مجال الحديث عنهم إنما يكفي للدلالة على سوء حال الجيش والبلاد ، أن يتعاقب على قيادته ثلاثة عشر ضابطاً (١) ، منهم واحد فقط تسلم مهامه بصورة دستورية ، ومنهم ستة (أي النصف تقريباً) نالوا رتبهم ومناصبهم دونما أية أهلية أو استحقاق وإنما نظراً لتغييرات سياسة شهدتها البلاد ، وجرتها إلى النكبة الفاجعة .

(ز) حركة الثامن من آذار ، تمهيد لنكبة حزيران :

وقعت حركة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ . واستطاع قادتها السيطرة على الحكم في سوريا ، مدعين أنهم قاموا بحركتهم لتحقيق أهداف الأمة العربية في **الوحدة والحرية والاشتراكية .**

وبعد مضي ست سنوات من عمر هذه المؤامرة ، ودخولها في عامها السابع ، لم تحقق من شعاراتها شيئاً ، وكانت نتائج أعمالها على الشكل التالي :

في الوحـــدة : قامت هذه الحركة بترسيخ أسس الانفصال ، وتعميق جذوره ، ونسف أمل الأمة بأية محاولة وحدوية قادمة ، بل وقامت هذه الحركة بتعميق جذور القطرية الانعزالية إلى حد لم يعرف له مثيل في تاريخ هذه البلاد على الإطلاق .

في الحـــرية : لم يعرف الشعب في كل تاريخه الطويل ، حتى في أيام الحكم الصليبي لأجزاء من البلاد ، أو في أيام الاستعمار الفرنسي ، قمعاً للحرية ، وخنقاً لها ، وملاحقة وتشريداً لأنصارها ، كما عرفت منذ قيام هذه الحركة ، ولا غرو ، فإن حركة تهدف إلى السيطرة على الحكم ، يدبرها

---

(١) منذ الاستقلال وحتى تاريخ سقوط الجولان .

ويقودها سراً ، وربط قادتها جاسوس مثل إيلى كوهين (١) ، لتعمل على شل كل فعاليات البلاد ، ووأد كل أمل بالمقاومة فى وجه العدو إذا ما حاول التوسع على حسابها ..

إن مثل هذه الحركة ، ما كان ليتاح لها أن تؤدى دورها فى تسليم البلاد للعدو ، مقابل ثمن بخس ، لو أنها حققت شيئاً حقيقياً – مهما كان ضئيلا – من ممارسة الحرية الفعلية ، بصورة من صورها أو أكثر .

ونحن لا نفترى على هذه الحركة وقادتها شيئاً من الكذب ، وإنما ندع المجال لقادتها بأن يتكلموا ويفضحوا حقائق الأمور ...

هذا واحد من قادتها ... عضو القيادة القطرية لحزب البعث ، ووزير الإعلام فى أول حكومة شكلتها حركة الثامن من آذار ، والمرشح أكثر من مرة لرئاسة وزارة حزب البعث ، وسفير سوريا فى باريس خلال فترة من عهد حزب البعث .. الدكتور سامى الجندى ، يقول فى كتابه (كسرة خبز) ما نصه بالحرف الواحد :

« . . . كنت أنذرهم أن سبل الثورة باتت خطرة على نفسها وعلى الشعب وأنها ما باتت ثورة ، بل انقلاب شرذمة ، أدى بها الغرور والأنانية والتمسك

---

(١) أثبت كتاب (جاسوس من إسرائيل) الذى نشرته المخابرات الإسرائيلية صلة قسم من قادة هذه الحركة بالجاسوس المذكور ، وتلقيهم منه الإرشادات مشفوعة بالرشاوى من أموال ونساء وخمرة ، وليال حمر وهدايا للزوجات والخليلات . . . وكان من أبرز الذين أتى الكتاب المذكور على أسمائهم ، الفريق أمين الحافظ ، والمقدم صلاح ضلل ، والرائد سليم حاطوم .
ويجب أن لا يغيب عن بال القارىء أن الكتاب المذكور ، إنما نشر لأهداف خبيثة ، نوجزها فيما يلى :

(أ) أن ذكر بعض الأسماء التى افتضح أمرها ، فى ذلك الكتاب ، إنما هو تغطية على الشركاء الآخرين الذين لم يكشفهم التحقيق القاصر ، وتحويل للأنظار عنهم ليستمروا فى تكملة مهمة كوهين ، والشركاء الذين سقطوا . . .

(ب) إنذار خفى لهؤلاء الشركاء المستترين ، ليبقوا على « وفائهم » لسادتهم الإسرائيليين ، وتهديد لهم بأن لا شىء يمنع من فضح أسمائهم وأدوارهم إذا خطر لهم أن يكفوا عن الاستمرار فى خدمة المخابرات الإسرائيلية .

بالحكم إلى طغيان بوليسى لا هدف له ولا رجاء منه غير الخراب والتخريب ، والولوغ بالدم والشرف » .

فهل يكون القارىء ، أو المؤرخ ، أو حتى التاريخ نفسه ، بحاجة لأكثر من هذا الكلام ، يجرى به لسان واحد من صناع نكبة الأمة ... فيفضح حقيقة أمر هذه الـ « ثورة » ، وحقيقة أمر ذاك الحزب والسلطة التى نشأت عنه ومارسها ، من أجل « ... **الخراب والتخريب والولوغ بالدم والشرف ؟! »**(١)

فى الاشتراكية : ورغم كل قرارات التأميم والمصادرة التى أصدرتها السلطة البعثية فى البلاد ، لم تحقق شيئاً واقعاً ملموساً من المفاهيم الاشتراكية .

إن كل ما أصدرته السلطة البعثية من قرارات تأميم ومصادرة ، لم تتجاوز قيمته ثلاثمائة مليون ليرة سورية (٢)، إن الثروة النقدية الحقيقية المتداولة فى البلاد ، تقدر قيمتها بحوالى مليار وثلاثمائة مليون ليرة سورية .

أى أن سلطات حزب البعث أممت أقل من ربع الثروة الحقيقية فى البلاد وهنا تكمن اللعبة الخطرة التى أداها حزب البعث ، خدمة للمطامع الإسرائيلية .

فلقد دب الرعب فى نفوس أصحاب الثروات ، عقب قرارات التأميم هذه ، التى لم تهدف فى حقيقتها إلا هذا الأمر ، فقام رجال المال بتهريب أموالهم خارج البلاد ، وهنا أفادت المطامع الإسرائيلية فائدتين كبيرتين :

الأولى – وهى الأهم – تعطيل المشاريع الإنمائية ، وقتل روح المبادأة لدى الفرد السورى الذى يتميز بها عن غيره ، وإيقاف النمو الاقتصادى فى مجالات كبرى ، وخفض الإنتاج ، وبالتالى القضاء على الدخل الاقتصادى الذى كان قادراً – لو استمر فى الارتفاع – على مد الجيش بكل احتياجاته

---

(١) كتاب : كسرة خبز للدكتور سامى الجندى ، نشر دار النهار – بيروت .

(٢) أى ما قيمته ٧٥ مليون دولار حالياً باعتبار أن سعر الدولار تقريباً يساوى أربع ليرات سورية .

للوصول إلى مرحلة التفوق « التكنولوجي » والعددي على القوات الإسرائيلية وهذا — لو تحقق — فإنه يشكل أحد مواضع الإصابة القاتلة في الكيان الإسرائيلي الدخيل .

والثانية هي أن قسماً كبيراً من الثروات التي تم تهريبها ، نقل إلى البنوك في أوربا ، حيث تملك اليهودية العالمية السيطرة الكاملة على معظم تلك البنوك .. إذن ، استطاعت اليهودية العالمية بواسطة خدامها من الاشتراكيين الزائفين ، أن تدفع بالأموال العربية ، إلى أحضانها ، لتتحكم بها وتستغلها مقابل أجور تافهة تسميها لأصحابها « فوائد » .

كان هذا دور حركة الثامن من آذار ، في تلك المجالات الكبرى من حياة البلاد ، وبذلك دمرت كل إمكانية تتيح للشعب أن يصمد في وجه الغزو العسكري الإسرائيلي المقرر منذ ما قبل قيام مؤامرة ٨ آذار . ومن أجل التمهيد له ، جيء بمنفذي تلك الحركة ليقوموا بها ، وعلى رأسهم ، العقيد زياد الحريري ، والمقدم أسعد حكيم ، والرائد بهجت الخاير ، والرائد صلاح جديد ، والرائد عبد الكريم الجندي ، والرائد محمود الحاج محمود ، والنقيب محمد الحاج محمود ، والنقيب سليم حاطوم ، والنقيب فايز موسى وغيرهم كثيرون ليس هذا مقام حصرهم .

وبقيت رغم كل ذلك التخريب ، نقطة قوة خطرة على كيانات التآمر وخطرة على مطامع الغزو الإسرائيلي « المقبل » ... هذه القلعة الخطرة ، هي الجيش ... فلابد من تصفيته وشل فعالياته ، وقد تم ذلك بأبشع صورة للخيانة ، وأقبح جريمة ارتكبت في تاريخ هذه الأمة . وكان ذلك على الشكل التالي :

١ — بعد وقوع انقلاب الثامن من آذار بخمسة أيام فقط ، أي بتاريخ ١٣ آذار عام ١٩٦٣ صدرت نشرة عسكرية أخرجت من الجيش مائةوأربعة ضباط وهم كبار ضباط الجيش ، افتتحت بالفريق عبد الكريم زهر الدين ، واختتمت بالمقدم بسام العسلي .

وبتاريخ ١٦ آذار (أى بعد ثلاثة أيام أخر) صدرت نشرة أخرى ، أخرجت من الجيش ١٥٠ ضابطاً هم الطاقة الفعالة فى الجيش (قادة الكتائب ورؤساء عمليات الألوية وقادة السرايا) . وكنت واحداً من الذين شملتهم هذه النشرة .

٣ – ثم تتابعت النشرات ، تسرح ، وتحيل على التقاعد ، وتنقل إلى الوظائف المدنية على نحو لم يتح لى الاطلاع على تفاصيله ، حتى بلغ مجموع الضباط الذين أخرجوا من الجيش ، حتى أيار (مايو) ١٩٦٧ ، لا يقل عن ألفى ضابط ، مع عدد لا يقل عن ضعفه من ضباط الصف القدامى ، والجنود المتطوعين الذين يشكاون الملاك الحقيقى الفعال لمختلف الاختصاصات فى الجيش .

٤ – ولزيادة تعميق الجريمة ، والذر الرماد فى العيون – لئلا يقال أنهم يسرحون الجيش – استبدل بالذين أخرجوا من الجيش (وخاصة الضباط) أعداداً كبيرة جداً من ضباط الاحتياط (الذين سبق لهم أن أدوا خدمة العلم) وجميعهم تقريباً من البعثيين ، وأكثريتهم من أبناء طائفة معينة (العلويين) وبذلك أصبح الجيش مؤسسة بوليسية لقمع الحريات والتنكيل بالشعب ، لا جيشاً قادراً على صون الحدود ، والدفاع عن أرض الوطن .

٥ – وقد رافق ذلك كله ، عمليات مجرمة ، شملت حل بعض الوحدات المقاتلة ، وتشكيل وحدات غيرها على أسس طائفية بحتة – تماماً كما فعل الفرنسيون أيام الاحتلال – وبذلك أصبح الجيش عبئاً كريهاً على عاتق الشعب بدل أن يكون درعاً وحصناً يصون بلاده ، ويحفظ أمنه وحرياته .

٦ – وقد تميزت تلك المرحلة من تصفية الجيش ، بصورة من العنف والتنكيل ، كان منها القتل ، والسجن ، والأحكام الاعتباطية والإعدام ، والاتهامات جزافاً ، ومصادرة الأموال والممتلكات وتضييق سبل العيش على الناس (وخاصة العسكريين) ، حتى أصبح المواطن يمسى فلا يصدق أنه سيصبح بخير ، أو يصبح فلا يصدق أنه سيمسى بدون أن يصيبه سوء .

وقد كان من أبرز العسكريين الذين قتلوا ظلماً ، النقيب معروف التغلبي والنقيب ممدوح رشيد ، والملازم نصوح الجانى ، والعقيد أ . ح كمال مقصوصة .

ومن الذين أعدموا ، العقيد هشام شبيب ، والمساعد بحرى كلش ، ثم امتدت يد الظالمين إلى بعضهم ، فأعدموا سليم حاطوم ، وبدر الدين جمعه .

وغصت السجون بالمئات من الضباط والآلاف من باقى العسكريين كان من أبرزهم ، اللواء محمد الجراح ، واللواء راشد قطيني ، والفريق محمد الصوفى ، والفريق عبد الكريم زهر الدين ، واللواء وديع مقعبرى ، والعمداء مصطفى الدواليبي ، ونزار غزال ، وأكرم الخطيب ، وموفق عصاصة ، ودرويش الزونى ، وممدوح الحبال ، والعقداء هيثم المهاينى ، ومحيي الدين حجار ، وحيدر الكزبرى ، ثم امتدت يد الظلم إلى أهله ، فدخل السجن اللواء محمد عمران ، والفريق أمين الحافظ وكثيرون من أنصارهما وعاد أهل البغى يأكل بعضهم بعضاً .

وصدرت أحكام الإعدام جزافاً ، فشملت الكثيرين ، وكان منهم العقيد جاسم علوان ، والنقيب محمد نبهان ، والمقدم عبد الرحمن السعدى والرائد صدقى العطار ، ثم عاد الظلم يأكل أهله ، فصدرت أحكام الإعدام بحق سليم حاطوم ، وبدر الدين جمعه ، ومصطفى الأتاسى ، وغيرهم ممن لا أذكر الآن أسماءهم .

واليوم ... ورغم النكبة ، يعيش عسكريو الجيش المسرحون ، إما داخل سوريا ، يتقاضون رواتب الذل (التقاعد) ، كل شهر ، أو يفتشون عن مصادر الرزق الكريم فى كل مجال ، وإما خارج سوريا ، وفى كل بقاع المعمورة ، يفتش كل منهم عن مصدر عيش كريم ، والقلوب تحترق ، والشباب يذوى ، وعملاء العدو مازالوا يتربعون كراسى السلطة ، ينفذون الدور المرسوم ، لتسليم جزء آخر من البلاد للعدو فى وثبة قادمة .

وللأمانة التاريخية .. لابد أن نشير إلى أن الشعب لم يسكت ، رغم عزله وغلبه

وقلة حيلته فحدثت انتفاضات وحركات عنيفة ، تميزت بصورة من البطولة والنبل الأصيلين فى هذا الشعب ، كان من أهمها :

١ ـ اضطرابات طرطوس خلال عام ١٩٦٤ : وقد جهدت السلطة لحصرها على أضيق نطاق .

٢ ـ أحداث حماة عام ١٩٦٤ ، وكان من نتائجها عدد من الضحايا ، وأحكام الإعدام لسبعة من الذين اشتركوا فيها . . . وضرب المساجد والبيوت بالدبابات والمدفعية والطيران ، والرمى بالرشاشات جزافاً على الآمنين العزل ، وفيها هدم جامع السلطان (أكبر جوامع مدينة حماة) تهديماً كاملا .

وقد رافق أحداث حماة ، إضرابات عامة شملت دمشق وحمص واللاذقية ، قمعت بمنتهى العنف وفتحت المحلات بالقوة ، وصودرت أموال الكثيرين من المواطنين وهوجمت بعض مساجد حمص ، كمسجد خالد بن الوليد . بالدبابات ، لإخراج المعتصمين فيها .

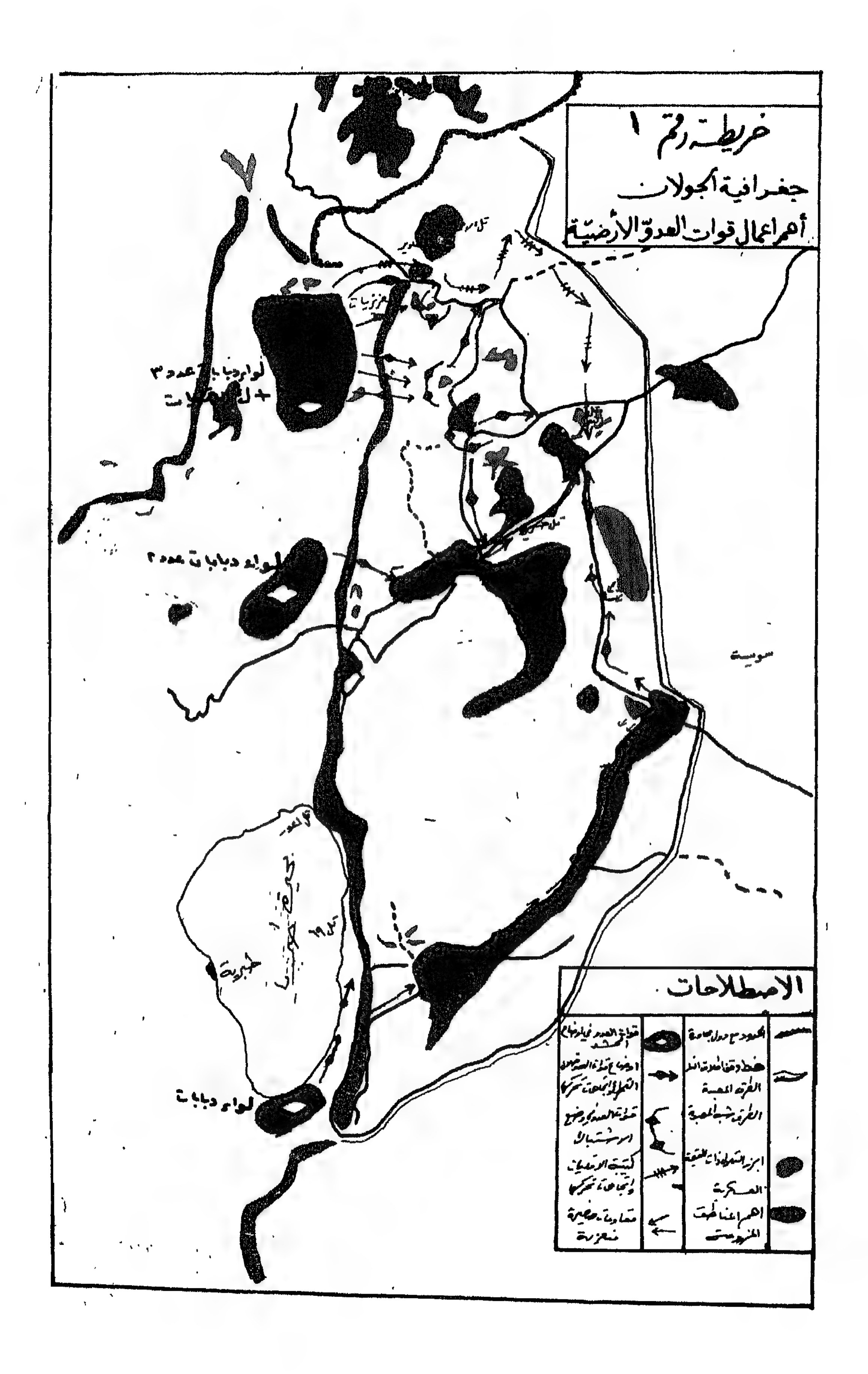
٣ ـ أحداث دمشق عام ١٩٦٥ ، التى أشعلها قسم من العلماء والتجار ، وتجاوب معها الشعب تجاوباً مطلقاً ، وكادت هذه الأحداث تعصف بالحكم البعثى ، اولا العنف الذى استخدمه الجيش ، فهوجم المسجد الأموى بدمشق بالمصفحات ، وفتحت النيران على المصلين فسقط سبعة من القتلى وعدد كبير من الجرحى . وغصت السجون بما لا يقل عن أربعة آلاف معتقل ، وصدرت خلالها أحكام الإعدام اعتباطاً بحق خمسة عشر شخصاً ، عدا الأحكام الأخرى .

٤ ـ أحداث حماة مرة أخرى عام ١٩٦٦ ، التى قمعها الجيش بعنف وتم حصرها فى نطاق حماة دون أن تمتد خارجها .

٥ ـ الإضراب العام الذى وقع فى شهر نيسان عام ١٩٦٧ عقب مقال فاجر نشرته السلطة فى مجلة جيش الشعب ، يتهجم فيه كاتبه على الله والأديان ، ويطالب بوضعها مع قوى الاستغلال والمتحجرين فى متاحف التاريخ(١) .

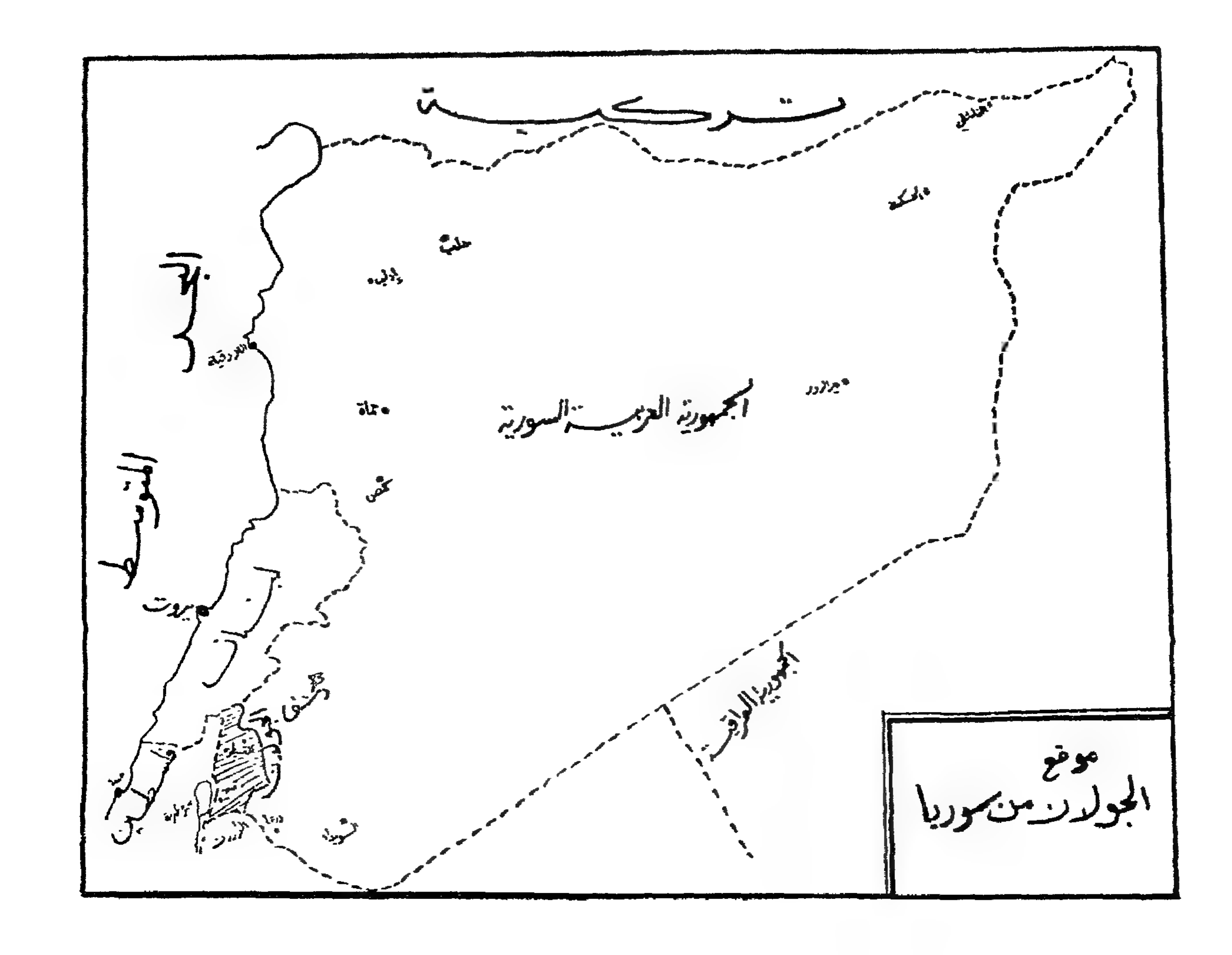
---

(١) مجلة جيش الشعب العدد ٧٩٤ ، تاريخ ٢٥ نيسان ١٩٦٧ . وكاتب المقال هو المرشح (ضابط احتياطى) إبراهيم خلاص .



خريطة رقم ١
جغرافية الجولان
أهم أعمال قوات العدو الأرضية
الاصطلاحات
لواء دبابات عدد ٢
لواء دبابات

وقد لجأت السلطة خلال هذا الإضراب إلى اعتقال كرام العلماء ، وخيرة أبناء البلاد ، ثم تنصلت من مسئوليتها عن المقال ، وادعت أن كاتبه من عملاء المخابرات الأمريكية ، واستمر الإرهاب والقمع الوحشى حتى جاءت القوات الإسرائيلية تحتل الجولان ، وتهدد بالزحف على دمشق . عندها فر رجال السلطة بعد أن نقلوا متاعهم وعيالهم إلى قراهم ، واختبأوا كالأرانب المذعورة فى القرى التى ولدوا فيها ، وفتحت السجون ، وخرج المعتقلون منها ، ليروا البلاد قد أصبحت خراباً . . . ونامت الدنيا ليلة الأحد ١١ حزيران على أنباء الفجيعة التى أعلنت سقوط الجولان فهزت ضمير كل صادق ومخلص ، وفتحت فى النفس جروحاً هى أبلغ وأكبر من كل جرح أصابنا بعد سقوط سيناء والقدس .



موقع
الجولان من سوريا
تركية
البحر المتوسط
الجمهورية العربية السورية
الجمهورية العراقية
لبنان
بيروت
اللاذقية
حماة
حمص
حلب
دمشق
دير الزور
الحسكة

الفصل الثانى

الجولان

« . . . إن الجبهة السورية — الإسرائيلية « خط ماجينو » السورى المشهور ، الذى كلف البلاد أكثر من ثلاثمائة مليون دولار ، لتحصينه وتجهيزه بأحدث المعدات ، والذى اشتهر عنه بأنه لا يؤخذ . . . هذا الخط سقط بأيدى القوات الإسرائيلية خلال ٤٨ ساعة فقط » . . .

من كتاب « المسلمون والحرب الرابعة ص ١٧١ »

-١-

جغرافية الجولان

(أ) **الجولان . . .** مقاطعة هامة من الأرض العربية ، تابعة للجمهورية العربية السورية ، وتقع فى الجزء الجنوبى الغربى منها ، تجاوره من الشمال الغربى أراضى الجمهورية اللبنانية ، ومن الغرب الأراضى المحتلة من فلسطين ، ومن الجنوب أراضى المملكة الأردنية الهاشمية .

ويشكل الجولان ، واحدة من ثلاث عشرة محافظة ، وهى التقسيمات الإدارية للجمهورية العربية السورية ، ومركزه (عاصمة المحافظة) : القنيطرة.

(ب) ويقع الجولان فى الترتيب الأول بين المحافظات السورية من حيث :

- الأهمية العسكرية .

- خصوبة الأرض وغناها الطبيعى .

- توفر المراعى الغنية طوال فصول السنة .

- وعورة الأرض .

- الغنى بالكنوز الأثرية الدفينة والتى لم يكشف عنها حتى يوم ضياعه .

- تنوع أجوائه ضمن مسافات متقاربة ، حتى ليبلغ البعد بين النقيضين (من البارد المثلج إلى الحار الممطر) مالا يزيد عن مسيرة ساعة بالسيارة .

- وفرة الزواحف والحشرات الخطرة وفى مقدمتها الأفاعى والثعابين والعقارب .

- توفر المياه المعدنية وحماماتها .

- تعدد طوائف وأديان وأجناس سكانه ، وقد احتوى من أهل المذاهب والأديان .

١ – المسلمين السنيين ، والمسلمين الشيعة .

٢ – المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت .

٣ – الدروز .

٤ – العلويين .

ومن الأجناس :

١ – العـــرب .

٢ – الشراكس .

٣ – الداغستان .

٤ – الأتراك .

٥ – التركمان .

٦ – الأكراد .

ويأتى ترتيبه ثانياً من حيث :

- وفرة الأحراج والتشجير الطبيعى .
- غزارة الأمطار والثلوج .
- توفر الحيوانات وتنوعها – وخاصة البرية منها – ووفرة الطيور – المقيمة والوافدة .
- إنتاج الخضار الموسمية وخاصة فى فصل الشتاء .

ويأتى ثالثاً فى الترتيب من حيث :

- كثافة السكان .

توزع السكان على الريف بنسبة تفوق توزعهم على المدن .

– إنتاج المنتجات الحيوانية وخاصة العسل والأسماك .
ويأتي ترتيبه الأخير من حيث :

– استغلال الموارد والطاقات المتوفرة .

– مساحة أرضه .

– المستوى الثقافي والاجتماعي والحياتي للأكثرية العظمى من سكانه .

– اهتمام الدولة به من مختلف نواحي الحياة – عدا ما وقع في دائرة اهتمامات الجيش .

(ج) يبلغ طول حدوده مع العدو ثمانين كيلو متراً . . . يمر خلالها خط الهدنة (انظر الخريطة رقم ١) .

– تبلغ مساحته حوالي ١٨٠٠ كم ٢ . ولا يقل عدد سكانه عن ١٠٠ مائة ألف – عدا القوات – أصبحوا اليوم كلهم نازحين مشردين .

– تبلغ كثافة السكان ٧٩ نسمة - كم ٢ .

(د) من أشهر مدنه :

– القنيطرة وهي مركز المحافظة .

– فيق وهي مركز قضاء الزوية .

من أشهر قصراه :

– في القطاع الشمالي : مجدل شمس ، بانياس ، مسعدة ، عين قنية ، حباتا الزيت ، زعورة ، عين فيت .

– في قطاع واسط : واسط ، حفر – قنعبة – الدرباشية .

– في القطاع الأوسط : كفر نفاخ ، العليقة ، الدبورة ، نعران ، جليبينة ، القادرية ، عين السمسم ، السنابر ، الفاخورة ، تل الأعور ، حسينية الشيخ علي ، الدوكا ، الخشنية ، القصبية ، اليهودية .

– في القطاع الجنوبي : البطمية ، خسفين ، العال ، حيتل ، الياقوصة ، كفر حارب ، الحمة .

— فى قطاع القنيطرة : جباتا الخشب . المنصورة . الصرمان . عين زيوان ، الدلوة ، الموسية ، الجويزة . بريقة . بيرعجم . الفحام .

(ﻫ) أهم مصادر المياه فيه :

بالإضافة إلى نهر الأردن ، وبحيرة طبريا ، اللذين يعتبران من أكبر مصادر المياه التى كان سكان المنطقة يستفيدون منها ، هنالك مصادر أخرى للمياه (مستغلة أو غير مستغلة) أهمها :

١ — نهر بانياس الذى يشكل ثانى روافد نهر الأردن وينبع من ارتفاع ٣٠٠ م ولا يسير فى الأرض السورية أكثر من ١٠٠٠ متر ويبلغ تصريفه السنوى ١٥٧ مليون م ٣ من المياه العذبة .

٢ — نهر اليرموك الذى يبلغ طوله ٥٧ كيلو متراً يسير منها ٤٧ كيلومتراً داخل الأرض السورية ، معظمها فى الجولان (على حدوده) ، ثم يرفد نهر الأردن جنوبى بحيرة طبريا .

٣ — قناة العفريتية ، وهى مأخوذة من نهر الأردن ، وتروى معظم منطقة البطيحة .

٤ — نهرا الزاكية والمسعدية ، ويصبان مباشرة فى بحيرة طبريا .

٥ — بركة (بحيرة) مسعدة ، وهى عبارة عن حفرة كبيرة بركانية تقع على ارتفاع ٩٥٠ متراً ، ويشكل المصدر الأكبر لمياهها ، تساقط الأمطار ، وفى أرضها بعض الينابيع .

٦ — بالإضافة إلى ينابيع وعيون كثيرة ، موزعة فى كل وديانه وقراه ، وتشكل مصادر وفيرة للمياه ، منها ما كان مستغلا ، ومنها المهمل (وهو الأكثر) ، ومن أهم هذه الينابيع :

— نبع البرجيات وتذهب مياهه مباشرة إلى الأرض المحتلة قرب كفر شامير .

— عين الكبش فى وادى الدبورة ويسيل فى الوادى حتى يلتقى مع ينابيع جليبينة وتصب جميعها فى نهر الأردن قرب بستان الخورى .

– نبع الجوخدار وقد كان مستغلا أكثر ما يمكن فى تأمين المياه إلى القرى والمعسكرات .

– نبع السنابر ، وكان مستغلا بشكل ممتاز ويروى قرى كثيرة وتزرع على مياهه مساحات جيدة بالأرز ، وذلك فى قرى جرابا وسيرة الخرفان والقراعنة .

– ينابيع القصيبية وهى مستغلة أيضاً بشكل جيد وعلى مياهها يزرع الأرز فى منطقة القصيبية .

– نبع الدورة (أمام السنابر) . وكانت الفائدة منه محدودة على أحد سفوح وادى حواء .

– ينابيع الحمة . وقد كان أكبر إفادة منها ، فى الاستحمام لكونها معدنية ، وهى من أجود الحمامات المعدنية فى العالم .

(و) أهم الطرق فى الجـــولان :

الطرق المشتركة بين أكثر من قطاع :

١ – الطرق الطولانية (من الشرق إلى الغرب) :

سحيتا – مسعدة ، آتياً من قطنا – بيت تيما – حينة – مزرعة بيت جن (نصف معبد) .

قنيطرة – المنصورة – مسعدة – بانياس . آتياً من دمشق ومستمراً إلى مرجعيون (معبد) .

قنيطرة – كفر نفاخ – العليقة – الجمرك السورى – جسر بنات يعقوب ومستمراً إلى صفد (معبد) .

قنيطرة – الرفيد – خسفين – العال – فيق – الحمة (معبد) .

٢ – الطرق العرضانية (من الشمال إلى الجنوب) .

مسعدة – واسط – كفر نفاخ (معبد) .

قنعبة ــ حفر ــ العليقة (ممهد) .

كفر نفاخ ــ السنديانة ــ الحشنية (ممهد) .

الدرباشية ــ جليبينة ــ المرتفع ٢١٧ (ممهد) .

الجمرك السورى ــ علمين ــ تل المشنوق ــ البطيحة مخترقاً إياها ومارا بالقرى : تل الأعور ــ حسينية الشيخ على ــ الدوكا ــ الكرسى ــ النقيب العربية (نصف معبد فيما بين الجمرك وتل الأعور ، وممهد فى باقى أجزائه) .

يضاف إلى ذلك الطريق الموازى لخط أنابيب التابلاين ، آتياً من الأراضى الأردنية ، مخترقاً حوران ، فالجولان ماراً بالجوخدار ــ البيرة ــ الرزانية ــ رواية ــ بانياس ــ الغجر ، ثم يتابع سيره فى لبنان حتى ساحل البحر قرب الزهرانى جنوب صيدا . .

الطرق ضمن القطاعات :

١ ــ الطرق الطولانية :

فى قطاع واسط :

المنصورة ــ واسط متفرعاً عن طريق القنيطرة ــ منصورة ــ مسعدة ــ وهو معبد .

واسط ــ راوية ــ حفر ــ الدرباشية (ممهد) .

فى القطاع الأوسط :

كفر نفاخ ــ عين السمسم ــ السنابر ــ أبو فولة ــ جرابا (معبد) .
الحشنية ــ القصبية ــ اليهودية (معبد) .

فى القطاع الجنوبى :

سكوفيا ــ تل ــ ٦٩ ــ الكرسى (ممهد) .

فى قطاع القنيطرة :

دمشق — القنيطرة مروراً بالحميدية ومنها يتفرع على النحو السابق إلى :
بانياس ؛ وجسر بنات يعقوب ، والحمة (معبد) .

أو توستراد الحميدية — المنصورة (معبد) .

أو توستراد — الحميدية — الصرمان (معبد) .

٢ — الطرق العرضانية :

فى القطاع الشمالى :

بانياس — تل العزيزيات — البرجيات (مقابل كفر شامير) (ممهد) .

فى القطاع الأوسط :

الجمرك السورى — السنابر (ممهد) .

جسر بنات يعقوب — أبو فولة مروراً بنقطة استناد أشرف حمدى (ممهد) .

فى القطاع الجنوبى :

خسفين — جسر الرقاد — تسيل (جزء معبد والآخر ممهد) .

العال — حيتل — كفر الما (نصف معبد) .

فى قطاع القنيطرة :

حضر — جباتا الخشب — خان أرينبة — جبا (ممهد) .

الصرمان — بير العجم — بريقه — كودنا (ممهد) .

(ز) أهم المناطق الصالحة للزراعة :

١ — سهل المنصورة .

٢ — بانياس .

٣ ـ الشريط الموازى للحدود من بانياس شمالا وحتى جسر بنات يعقوب ثم من علمين وحتى مصب نهر الأردن فى بحيرة طبريا . ومن أبرز مناطق هذا الشريط : منطقة الدرباشية ـ منطقة جليبينة ـ منطقة علمين ـ منطقة الدكة وحتى مصب النهر .

٤ ـ منطقة العليقة ـ كفر نفاخ ـ القادرية .

٥ ـ منطقة الدلهمية ـ عين وردة .

٦ ـ الحشنية .

٧ ـ سهل البطيحة والسفوح الشرقية المطلة عليه (وهذه أغنى نقطة فى الجولان كله) .

٨ ـ سهول الرفيد وخسفين والجوخدار . والعال وفيق .

(ح) أشهر المحاصيل الزراعية التى كانت تنتجها الجبهة (الجولان) :

١ ـ الفواكه وخاصة التفاح والكرز من منطقة مجدل شمس والقرى التى حولها حتى مسعدة .

٢ ـ الزيتون واللوز من الوديان المنتشرة فى كل الجولان .

٣ ـ الموز والحمضيات وأكثر المناطق إنتاجاً لها : البطيحة .

٤ ـ القمح والشعير والذرة .

٥ ـ الفول السودانى وأكثر المناطق إنتاجاً له منطقة بانياس .

٦ ـ الخضار وأهم المناطق إنتاجاً لها البطيحة وكانت تزود دمشق بها شتاء .

٧ ـ الأرز ، وأهم المناطق إنتاجاً له منطقة القصبية ، والسنابر وسيرة الحرفان .

(ط) أشهر المحاصيل الحيوانية :

ـ المواشى (وخاصة الأبقار) .

ـ الأسماك وأهم المناطق إنتاجاً لها هى البطيحة .

– العسل ، وأهم المناطق إنتاجاً له القنيطرة . ومجدل شمس . ونعران . وسنابر ، والدرباشية . يضاف إلى ذلك كميات محدودة من الألبان والسمن والجبن ، أكثرها يستهلك محلياً .

(ى) أكثر الأشجار انتشاراً فى الجبهة (الجولان) هى :

١ – الأحراش : وتضم فى غالبيتها أشجار السنديان ، والبلوط . والسماق ، والزعرور ، ومن أشهر الأحراش فيها حرش مسعدة . وحرش عين زيوان ، وحرش الومسية – جويزة – بريقة – بير عجم . وكذلك أكثر الوديان التى تخترق الجبهة من الشرق إلى الغرب كانت مغطاة بالأحراش.

٢ – الأشجار المزروعة غير المثمرة : كان من أهمها الكينا والحور .

(ك) أهم الأجواء التى تسود تلك المنطقة هى :

البارد المثلج فى منطقة القنيطرة ومسعدة ومجدل شمس .

البارد الممطر فى واسط – كفر نفاخ ، القادرية – الحشنية .

الحار الرطب غزير الأمطار فى منطقة البطيحة والحمة .

الحار الجاف فى باقى المناطق وخاصة سهول خسفين – العال – حيتل .

(ل) أهم التلال ذات القيمة العسكرية :

١ – فى القطاع الشمالى : تل الفخار ، تل الأحمر (أمام بانياس) ، تل العزيزيات مضافاً إليه تل الأحمر قرب بقعاتا الذى تكمن أهميته فى أنه أقيم فيه مرصد قائد الجبهة للإشراف على قتال القطاع الشمالى .

٢ – فى قطاع واسط : تل شيبان ، مرتفع الدرباشية .

٣ – فى القطاع الأوسط : مرتفع الدبورة ، مرتفعات جليبينة ، المرتفع ٢١٧ ، مرتفع أم العسل ، تل المشنوق ، تل ٦٢ ، تل الأعور .

٤ – فى القطاع الجنوبى : تل الفرس وفيه مرصد قائد الجبهة للإشراف على قتال القطاع الجنوبى . تل السقى ، تل – ٦٩ ؛ مرتفعات سكوفيا ؛

وبير شكوم . مرتفعات كفر حارب ومزرعة عز الدين . مرتفعات العقبات التي تتحكم ببداية الطريق النازل إلى الحمة .

٥ — **في قطاع القنيطرة :** مرتفع خان أرينبة . تل النبي محمد . تل العرام . تل أبي الندى . وفيه أقيم المرصد الأساسي لقائد الجبهة . تل خنزير وفيه مرصد قائد الجبهة للإشراف على قتال القطاع الأوسط .

-٢-

دور الجولان

. . . لعلنا لا نجد فى تاريخ الشعوب العربية . . . وعلاقاتها بالأرض التى نقلها وتنبت لها الخيرات وتضم رفاتها . . . منطقة كانت ذات أثر حاسم وفعال . وجزءاً من الأرض لعب أخطر الأدوار فى صنع تاريخها الحديث ، مثل **الجولان** . . .

وإنى لا أبالغ فيما أقول . . . وسأسوق الأدلة على ذلك .

فالجولان . . . لعب دوراً خطيراً جداً فى الأحداث المتعاقبة على سوريا ـ منذ قيام دولة الاغتصاب . . . وحتى يوم النكبة .

فى الجولان . . . نبتت الفكرة الأولى لأكثر الانقلابات التى شهدتها سوريا . . وفيه حبكت الخيوط الأساسية لتلك الانقلابات .

فأكثر الضباط الذين كان لهم دور خطير فى الانقلاب الأول وعلى رأسهم الزعيم حسنى الزعيم قائد الجيش والعقيد بهيج كلاس ، تفتحت أبصارهم على سوء أوضاع الجيش . . . نظراً لما شاهدوه خلال تمركز وحداتهم فى **الجولان** . .

ومن أجل خط أنابيب بترول التابلاين ، التى تمر فى **الجولان** ، ومن أجل توقيع اتفاقية الهدنة بين سوريا وإسرائيل . . . بالشكل الفاضح المجحف بحقوق سوريا وعرب فلسطين . . . من أجل هاتين نفذ حسنى الزعيم انقلابه الأول منطلقاً من **الجولان** إلى دمشق . . . ووقع اتفاقية الهدنة ، واتفاق التابلاين . . . بعد أن رفضها المجلس النيابى السورى فى شباط عام ١٩٤٩ ... ثم أزيح بعد أن أدى مهمته . . .

ومن **الجولان** ، عام ١٩٥٣ ، انطلقت المدافع تعترض سبيل العدو ، وتمنعه من تنفيذ مشروعي تجفيف الحولة وتحويل نهر الأردن ، حتى اضطر العدو إلى طرح القضيتين أمام مجلس الأمن الدولي . . . واستأثر الموضوع باهتمام العالم مدة لا تقل عن سنة . . . واستطاع الجيش السوري أن يوقف أعمال العدو في جزء خاص من تجفيف الحولة . وفي المرحلة الأولى والأهم من مشروع تحويل نهر الأردن ، وأجبرت العدو على إدخال تعديل كبير جداً على مخططاته لهذا المشروع .

وفي **الجولان** . . . بدأت التجمعات الأولى ، التي أعدت للإطاحة بحكم أديب الشيشكلي ، رغم أن الشرارة الأولى لذلك الانقلاب ... خرجت من حلب . . . ولكن ثقل الجبهة (**الجولان**) ، كان إلى جانب الانقلاب . . . فنزل الشيشكلي عن الحكم .

وفي **الجولان** . . . وعلى أرضه الكريمة ، حدثت الإغارة الإسرائيلية الكبيرة ليلة ١١ - ١٢ - ١٩٥٥ وكان من نتائجها بداية تسلط البعثيين على الحكم والجيش . . . تستراً وراء العقيد عدنان المالكي . ولعل ذلك كان واحداً من أهم أهدافها ؟

وفي **الجولان** . وبسبب أرضه وجواره (المنطقة المجردة) ، تتابعت الصدامات العنيفة . . بين سوريا وإسرائيل . . تفاوتاً في القوة بين الاشتباك الصغير المحلي . . والاشتباك الشامل الذي يعم الحدود أو جزءاً كبيراً منها . . وكان من أبرز هذه الاشتباكات : معارك التوافيق عام ١٩٥٧ ، وعام ١٩٦٠ .

وفي **الجولان** . . . وبسبب الصراع على المياه والأسماك . . . استمرت أيضاً الصدامات بين الطرفين ، كان أكبر مظهر لها معركة تل النيرب عام ١٩٦١ .

وعلى أرض **الجولان** . . . بدأت التجمعات الأولى للضباط اليساريين ، وحبكت خيوط التعاون بينهم ، لإسقاط الأوضاع الديموقراطية ، وفرض ديكتاتورية اليسار . . . وكان ذلك في الأعوام (١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧).

وشهد الجولان استعدادات للتدخل ضد العدو أكثر من مرة ، كان أبرزها ، الحشد الكبير الذى تم فى عام ١٩٥٦ ، خلال العدوان الثلاثى على مصر .

وكان للجولان أيضاً أثر كبير جداً فى الضغوط التى مارسها العسكريون لفرض الوحدة بين مصر وسوريا . . . حتى توجت جهودهم بإعلانها عام ١٩٥٨ .

وعلى أرض الجولان . . . ومنذ بداية الوحدة ، سقط الشهداء من أبناء الإقليمين . . . وكانت البادرة الأولى ، مبشرة بتحقيق الارتباط الدموى المتين بين أبناء الوطن الواحد . . امتزاجاً بالتراب الطاهر . . . على الحدود ضد العدو الدخيل .

وفى الجولان . . . نبتت وترعرعت الأفكار التى اتجهت نحو تقويم أوضاع الوحدة بعد انحرافها وتشويهها بأيد معينة (خفية وبارزة) . . . وكانت تلك اللقاءات . . . هى النواة الأولى فى كيان الحركة التى وقعت فى أيلول لعام ١٩٦١ وكان من نتيجتها انفصال الإقليمين ، وفصم عرى تلك الوحدة .

وفى الجولان . . . وقعت أحداث فى غاية الخطورة ، كان لها الأثر الحاسم الفعال فى تحديد خط سير الأحداث ، خلال فترة الانفصال وبعده ...

وعلى أرض الجولان . . . تمت اللقاءات الخطيرة بين الضباط العراقيين والسوريين ، وفيها تم نسج خيوط التعاون لإسقاط حكم عبد الكريم قاسم فى العراق ، وحكم الانفصاليين فى سوريا(١) .

ومن أرض الجولان . . . انطلقت الوحدات ليلة الثامن من آذار ١٩٦٣ ، لتنفذ المؤامرة الكبرى ، تحت ستار من الشعارات الكاذبة المضللة على نحو نوهنا عنه فى صفحات مضت .

---

(١) كان ذلك فى ربيع عام ١٩٦٢ ، وبمناسبة زيارة وفد من الضباط العراقيين للجبهة السورية ، عقب معركة تل النيرب التى وقعت بين سوريا وإسرائيل ليلة ١٦ - ١٧-٣-١٩٦٢ .

وعلى أرض الجولان . . . كان مقرراً أن تقوم المشاريع الضخمة لتحويل مصادر مياه نهر الأردن . . . ليتم حرمان العدو من مشاريعه التوسعية الخطيرة . . . وفى مقدمتها مشروع تحويل نهر الأردن .

وشهدت أرض الجولان . . . صدامات عنيفة ، واعتداءات متكررة ، حقق العدو منها منع العرب تنفيذ مشاريعهم فى تحويل منابع المياه ، وكان لذلك أثره وصداه العميقان فى ضمير كل مواطن فى دنيا العرب .

وعلى أرض الجولان ، تمت تصفية عدد كبير من العسكريين ، قتلا وتسريحاً وتعذيباً . . . بأيدى جلادى حزب البعث الذى حكم سوريا اليوم ، تمهيداً لإضعاف قوة الجولان ، ثم تسليمه للعدو . كما اتفقوا عليه .

وفى أرض الجولان ، دفنت ملايين الليرات (للتحصين) ، وعلى أرضه وذراه وروابيه ، وفى وديانه ومنحدراته أقيمت المنشآت المختلفة ، لإيواء الناس والقوات . . . استعداداً لساعة محنة يطلب فيها الصمود . . . ولكن جيش حزب البعث لم يصمد . . فسلم الجولان للعدو ، غنيمة سهلة ثمينة .

وعلى أرض الجولان . . . تم تنفيذ المسرحية الكبرى فى تاريخ المسرح الدولى . . . مسرحية الحرب التى سموها (عدوان ٥ حزيران) . . . وكان الختام المقرر لهذه المسرحية . . . تسليم الجولان . . . بالتمام والكمال ، كما اتفق عليه وكلاء حزب البعث ، مع وكلاء إسرائيل . . . فى باريس .

ذاك كله . . . وأكثر منه بكثير وأخطر . . . كانت أرض الجولان مسرحاً له ، مما ليس هذا مجال ذكره ، وفى الصفحات القادمة ، سنشرح جزءاً خطيراً منه . . . وهو الجزء المتعلق بحرب حزيران عام ١٩٦٧ ، على أمل لقاء آخر ، نشرح للقارىء فيه أسرار وخفايا الجولان ، قبل الخامس من حزيران .

* * *

-٣-

لمحة تاريخية عسكرية

ويرجع تاريخ اهتمام الجيش بالجولان ، ودخول هذه المنطقة فى حيز الاهتمامات الكبرى للدولة السورية ثم لمجموع الدول العربية . . . إلى أوائل عام ١٩٤٧ ، حيث بدأت عصابات مسلحة بقيادة أكرم الحورانى وأديب الشيشكلى مهاجمة بعض المستوطنات اليهودية قرب الحدود السورية الفلسطينية ، ثم تركز الاهتمام على الجولان منذ ١٦ أيار ١٩٤٨ حيث دخل الجيش السورى أرض فلسطين المحتلة للاشتراك فى الحرب ضد إسرائيل ، وكانت أهم انطلاقات القوات السورية من أرض الجولان .

ولكن حين تدخلت القوى الاستعمارية وفرضت وقف القتال ، ثم الهدنة ، تحولت القوات السورية إلى اتخاذ الموقف الدفاعى ، حماية لحدود الأرض السورية من أى هجوم يقوم به العدو ، وخاصة لابتلاع الأراضى المجردة ، ذات الأهمية الكبيرة .

ولقد خضعت أعمال القوات وواجباتها الدفاعية وأماكن تمركزها ، وأعمال التحصين فى الأرض لعوامل ومؤثرات عديدة تعاقبت عليها ، حتى استقرت منذ عام ١٩٥٤ ، على تقسيمات عسكرية قسمت الجبهة (الجولان) إلى قطاعات أربع هى :

الشمالى : وقيادته فى مسعدة .

الأوسط : وقيادته فى العليقة .

الجنوبى : وقيادته فى العال .

قطاع القنيطرة الذى يضم قيادة الجبهة .

ولكن هذا التقسيم عدل فى خلال سنى الوحدة ، وأصبحت القطاعات خمسة وهى :

الشمالى : وقيادته فى مسعدة .

قطاع واسط : وقيادته فى واسط .

الأوسط : وقيادته فى العليقة .

الجنوبى : وقيادته فى العال .

قطاع القنيطرة : ويضم قيادة الجبهة ومركزه الرئيسى القنيطرة .

وكانت الأحداث الكبرى فى تاريخ الجولان التى كان لها صدى ووقع فى العالم ، واهتمام على مستوى الجامعة العربية ، هى على التتالى :

١ ـ توقيع الهدنة الدائمة بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٤٩ .

٢ ـ مشروع العدو لتجفيف الحولة ، وقد أتمه رغم كل اعتراضات سوريا والدول العربية والدول المؤيدة لها . وكان ذلك منذ عام ١٩٥٢ .

٣ ـ أعمال العدو للبدء بتحويل نهر الأردن ، وقد تصدى لها الجيش السورى وانتقل النزاع إلى أروقة مجلس الأمن . . . واستطاعت سوريا إجبار العدو على وقف الأعمال فى الجزء الأول من هذا المشروع ، وهو الجزء الواقع فى مواجهة الجولان ، ويشكل اعتداء على قسم من الأراضى المجردة العربية ، وعلى المياه العربية فيما لو نفذ .

٤ ـ هجوم العدو على الحمة ومحاولة احتلالها ، ورد ذلك الهجوم ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٣ .

٥ ـ الإغارة الكبرى التى قام بها العدو على منطقة البطيحة وسكوفيا (شمال شرق بحيرة طبريا) بتاريخ ١١ ـ ١٢ ـ ١٩٥٥ ، وقد أدان مجلس الأمن العدو إدانة واضحة عقب ذلك الهجوم .

٦ ـ مشاكل التوافيق التى أسفرت عن اشتباكات عنيفة مع العدو خلال عامى ١٩٥٧ و ١٩٦٠ .

٧ ـ معركة تل النيرب عام ١٩٦١ ، وفيها هاجم العدو موقع تل النيرب شرق بحيرة طبريا ، وفشل فيها هجومه وكانت خسائره كبيرة ، وكان نصراً للمدفعية السورية فريداً من نوعه فى تاريخ الجيش .

٨ ـ هجوم الطائرات العدوة على الجبهة (منطقة بانياس) ، فى ١٣ - ١١ - ١٩٦٤ ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تستخدم فيها الطائرات المعادية النابالم ضد القوات السورية . وقد كان موقف طيران حزب البعث فى الهجوم فى غاية الذلة والخزى .

٩ ـ هجوم العدو بالطائرات على مواضع ومشاريع تحويل روافد نهر الأردن (منطقة بانياس) وتدميره المنشآت العربية والآليات التابعة لها ، وقد أسفر عن توقف سوريا عن متابعة المشروع رغم دعم الجامعة العربية لها وكان ذلك فى أيام ٦ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٥ - ١٩٦٥ .

١٠ ـ وأخيراً .. المؤامرة التى سميت « حرب الخامس من حزيران » عام ١٩٦٧ . وكانت نتيجتها تسليم الجولان للعدو ، بعد مسرحية قتال ، بلغت غاية السخف والهزال .

- ٤ -

أسباب تكالب العدو على الجولان

ترجع أهمية الجولان ، وأسباب تكالب العدو حتى حصل عليه ، لأسباب هامة نوجزها فيما يلى :

(أ) الأسباب الدينية : فالعدو يعتبر الجولان ، من الأرض التى يزعمون أنهم وعدوا بها على لسان أبيهم إسرائيل ، وآبائه إسحاق وإبراهيم :

« فى ذلك الوقت قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »(١) .

« الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا : كفاكم قعود فى هذا الجبل . تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات . انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم »(٢) .

(ب) الموقع السوقى(٣) :

يتمتع الجولان بموقع جغرافى فريد من نوعه ، فهو يسيطر على أهم مصادر المياه التى تزود فلسطين ويسيطر سيطرة مطلقة على القسم الأعظم من شمال فلسطين وخاصة سهل الحولة والسفوح الشرقية للجليل الأعلى .

---

(١) سفر التكوين : الإصحاح ١٥ .
(٢) سفر التثنية : الإصحاح الأول .
(٣) الاستراتيجى .

هذا من ناحية الأرض المحتلة ، أما من الناحية المقابلة ، فإن العدو الذى ملك الجولان ، أصبح مصدر خطر كبير على كل من دمشق ودرعا ، لأن الطريق إليهما قد أصبحت أمامه مكشوفة ليس فيها أية عقبات تعترض تقدمه إليهما — اللهم سوى ما تقيمه القوات فى وضع دفاعى .

(ج) الغنى الطبيعى :

١ — فالجولان يتمتع بوضع طبيعى عجيب ، ففى تلك المساحة الضيقة الصغيرة من الأرض ، يجد المرء تنوعاً كبيراً فى الأجواء .

ففى الشتاء ، تجد الأجواء المثلجة الباردة فى القنيطرة ومسعدة ومجدل شمس ، إلى جانب الجو الدافئ الممطر فى باقى المناطق . وفى الصيف تجد الجو اللطيف المعتدل حيث كانت الثلوج فى الشتاء ، وبجانبه الحار الرطب فى وادى الأردن والبطيحة ، والحار الجاف فى باقى المنطقة .

والمسافر من القنيطرة إلى الحمة مثلا — ولا تزيد المسافة عن ستين كيلومتراً — يجد نفسه يمر بتنوع غريب فى الجو والأرض .

فمن الأحراش المتباعدة إلى الأحراش الكثيفة إلى الأراضى الجرد ، إلى السهول المنبسطة فالوديان السحيقة ، ومنها ما تزين مجارى المياه قاعه ، ومنها ما تغطى الأشجار جانبيه . هذا التنوع فى طبيعة الأرض ، الذى جمع كل صور الجمال والطبيعة ، كاف لجعله منطقة سياحية هامة ، وهو أحد الأسباب التى جعلت العدو يتلمظ عشرين عاماً حتى حصل عليه بالمؤامرة لا بالحرب .

٢ — والجولان يتمتع بغنى كبير — نسبة لصغر مساحته — بالطيور (الوافدة والمقيمة) ، وبأنواع الحيوان الأخرى ، كالأرنب والغزال وحتى البقر الوحشى .

٣ — ومن أبرز مظاهر غنى الجولان ، هى المياه المعدنية فى الحمة التى تحتوى على نسبة جيدة من اليورانيوم والراديوم وهى بحد ذاتها من أفضل ينابيع المياه المعدنية فى العالم ، وأكبر حمامات معدنية فى الشرق الأوسط كله .

وتصلح لتكون من أفضل مراكز السياحة الشتوية فى كل الأرض التى استولت عليها إسرائيل .

هذا بالإضافة إلى مصادر المياه الأخرى التى أشرنا إليها فى صفحات سابقة .

٤ – ولا يقل غنى الجولان فى تربته عن البقاع الخصبة النادرة فى العالم . ولأضرب مثلا على خصوبة تلك الأرض ، أقول : أن الذرة الصفراء ، حين كان يزرعها الفلاحون ، كان يزيد طول ساق الواحدة منها عن أربعة أمتار ، وتحمل من (العرانيس) مقادير عالية جداً ، رغم بدائية طرق الاستنبات .

وإن أنس لا أنس يوماً زرعت فيه حبات من عباد الشمس (دوار الشمس) ، فلقد نما عودها حتى بلغ فى الطول ما يفوق ثلاثة أمتار ، وفى غلظ الساق ما لا يقل عن ٦ – ٧ سنتيمترات . وكانت غلة القرص الواحد كيلوجرام من البذر الجاف .

فالخصوبة فائقة الحد ، وقدرة الأرض على الإنبات عجيبة . وكان سكان البطيحة يستغلون الأرض ثلاثة مواسم فى العام على الأقل ، دونما تقويتها بسماد يذكر .

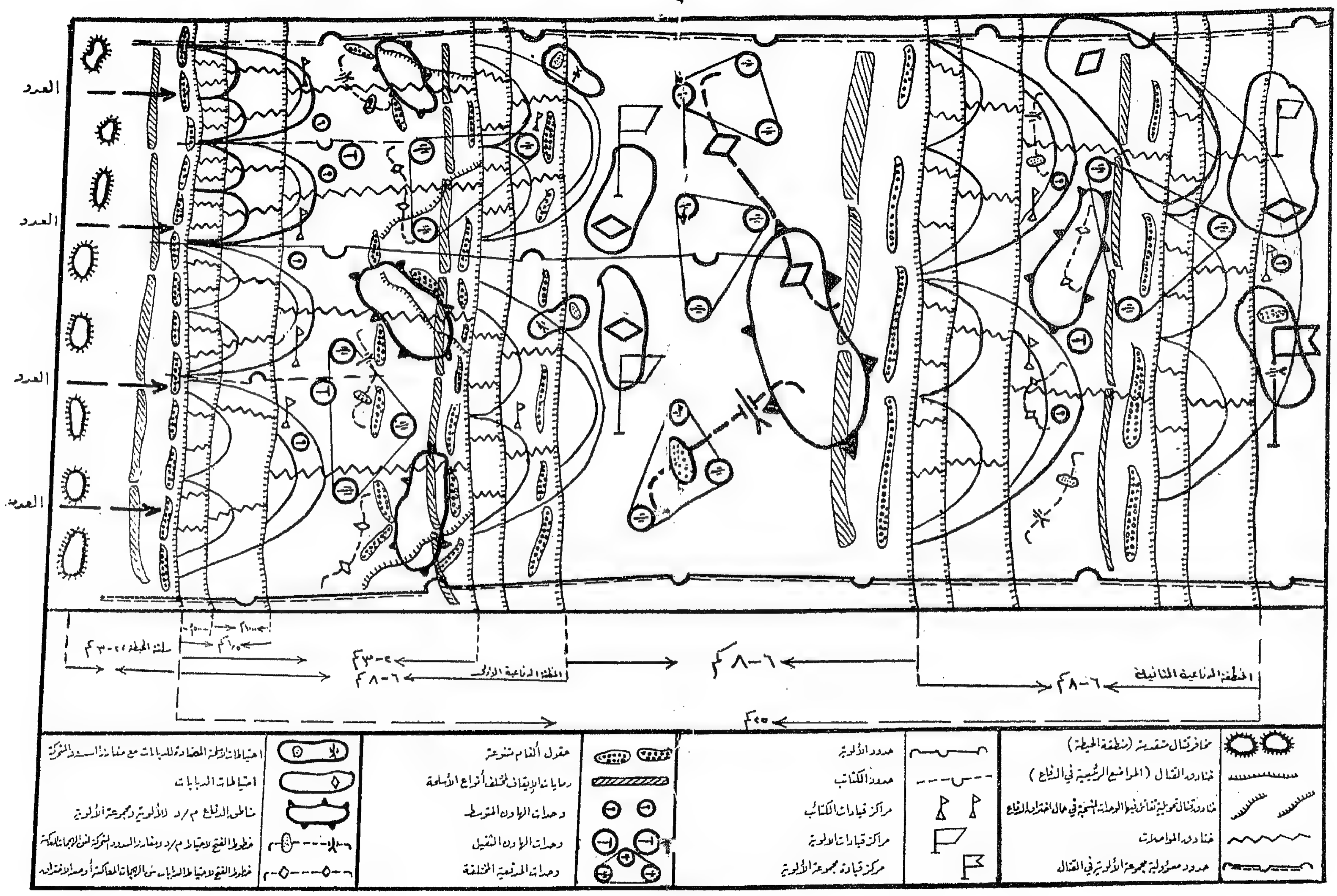
ولقد قال عنها الجنرال كارل فون هورن ، كبير المراقبين الدوليين ، فى كتابه (الخدمة العسكرية من أجل السلام) :

(إن كل شبر من تلك الأرض ، يساوى منجماً من الذهب لكثرة ما يغل من الحبوب) .

(د) الغنى الأثرى : ولعل من أكبر أسباب اهتمام العدو بالجولان وتكالبه عليه ، هو غناه الأثرى ، الأمر الذى يجهله كل الناس ، فليس فى كل أجزاء سوريا منطقة غنية بالآثار المطمورة مثل الجولان .

وكثيراً ما كنا نكتشف منشآت أثرية أو دلائل عليها خلال أعمال الحفر

نموذج (مدرسي) لتنظيم الدفاع حسب الأسلوب الشرقي



التى كنا نقوم بها للتحصين ، وكثيراً ما أخبرنا قادتنا عن تلك الآثار ، وطالبناهم إبلاغ مصلحة الآثار عنها ... ولكن لا حياة لمن تنادى .

ومن أهم الآثار التى شاهدناها ، هى الآثار الرومانية والمسيحية ، وخاصة المقابر الملأى بالثروات والقطع الذهبية . ويتحدث سكان بعض تلك المناطق عن أناس كثيرين ممن اكتشفوا فى السابق كنوزاً من هذه ، فحملوها وسافروا إلى تركيا ، كما يتحدثون عن آثار كثيرة مطمورة ، وكانوا يحددون لنا أماكنها بدقة لا تحتاج لأكثر من إجراء الحفريات لكشفها ولكننا لم نك نملك الوقت والإمكانات والصلاحيات للقيام بذلك ، ومصلحة الآثار لا تعلم ، أو تعلم ولم تفعل شيئاً ؟ .

ولعل من أهم الآثار البارزة فى الجولان ، قلعة النمرود ، تلك القلعة العجيبة ، التى تحتوى على آثار فينيقية ، وإسلامية ، وصليبية معاً ، وتقع قرب بانياس على مرتفع من الأرض لا تصله إلا العقبان ، وتشرف من موقعها على شمالى فلسطين كله ، حتى ساحل البحر الذى يمكن رؤيته خلال أيام الصحو فى الصباح ، فى منظر يكاد يخلب لب الناظرين إليه ..

الفصل الثالث

قبل سقوطه

« . . إن سورية تسيطر على سلسلة من التلال الصخرية الشديدة الانحدار ، تمتد لمسافة أربعين ميلا ، وتشرف على سهول منكشفة للنيران ، وعلى جوانب التلال خطوط دفاعية مستقلة بعضها فوق بعض ، وكل خط منها تحميه ثلاث طبقات من الألغام ، وأسلاك شائكة واستحكامات منيعة ، وللوصول إلى الطبقة العليا يجب عبور تسعة خطوط « ماجينو مصغرة . . »

مجلة « تايم » أول أيلول ١٩٦٧

عن كتاب : « المسلمون والحرب الرابعة ص ١٧١ »

الإعداد المسبق لمنع سقوط الجولان

... ولو أن الجيش (البطل) صمد فى وجه العدو ساعة عن كل مليون من الليرات التى أنفقها فى تحصين الجبهة وتقويتها .. لكان قد أدى الأمانة التى تصدى لحملها عشرين عاماً قبل النكبة الأخيرة .. ولكان قد أسهم فى تحطيم أسطورة التفوق العسكرى للعدو . . . ولكان حقق فعلا أسطورة اختراق الجبهة وتحطم رأس كل غاز على صخورها .

ولكن ما الحيلة مع جيش المراهقين .. ؟ وهل يمكن أن ننتظر الاستبسال من جيش يشعر بقرارة نفسه أنه دخيل على الشعب ومفروض عليه بقوة السلاح .. ويتمتع بامتيازات ترفعه عن باقى أبناء الشعب .

الجبهة محصنة تحصيناً فريداً من نوعه .. كل شبر من أرضها مضروب بالنيران ، وكل ثغرة بين موقعين دفاعيين محمية بالألغام ، والألغام مضروبة بالنيران .. على كل محور يمكن أن يتقدم منه العدو ، حضرت الرمايات الهائلة من مختلف الأسلحة ، وزرعت الأجساد والأسلحة بكثافة تدعو للدهشة .. كل ذلك ... من أجل ساعة خطر كالتى وقعت فى حزيران العار ... ولكن جيش (معلمي المدارس) هرب ، ولم يقاتل .

ولكى نتبين خطورة المؤامرة وعمقها وشمولها .. وقبل أن نشرح الذى حدث خلال أيام الحرب (المسرحية) سأحاول أن أرسم للقارئ صورة الجهود التى بذلت والإمكانات الهائلة التى وضعت خلال العشرين عاماً التى سبقت النكبة من أجل تحصين الجبهة وجعلها سداً لا يمكن اختراقه .

فالتحصينات والنيران والمدافع زرعت ابتداء من الخطوط الأمامية التى هى بتماس مباشر مع العدو . وفى السنوات الأولى من احتلال الجيش للجولان ، كانت التحصينات وطريقة تنظيم المواقع الدفاعية وخطة قتالها ومناوراتها وتعاونها . . ذلك كله كان مبنياً على الأسلوب الغربى الذى ورثه جيشنا عن الجيش الفرنسى بعد الاستقلال . والذى يعتمد على إقامة نقاط استناد محصنة وقوية وقادرة على التعاون فيما بينها بالنيران لسد الثغرات وتحقيق المناورة خلال القتال الدفاعى .

ولكن منذ عام ١٩٥٧ .. ومع تسلط اليسار على الحكم .. دخل عنصر جديد فى حياة الجيش ، وهو التسليح الروسى ، الذى تبعه — لزاماً — أسلوب القتال الروسى ، وأخذت القوات تتدرب بالاستعانة بالخبراء الروس على هذا النوع من القتال .

ومن تحصيل الحاصل أن يمتد التغيير إلى طبيعة تمركز القوات فى الجبهة وأسلوب التحصين ، وخطة قتالها .. وقد بدأ ذلك فعلا ، واعتمدت خطة الدفاع على أساس أن الجبهة (بعمقها الطبيعى) ، تشكل منطقتين دفاعيتين مضافاً إليها منطقة حيطة(١) .

١ — فمنطقة الحيطة هى المنطقة التى تبدأ من خط الهدنة وبعمق ٢ - ٣ كم وتشتمل على مجموعة من المخافر ومواقع الدفاع . وواجبها الإنذار والقتال التأخيرى ، وتحتلها قوات الحرس الوطنى شبه النظامية ، وسيرد تفصيل آخر لهذه المنطقة فى الصفحات الآتية .

٢ — وأما المنطقة الدفاعية الأولى فتحتلها وتقاتل فيها ألوية النسق الأول لمجموعة الألوية ، وتشتمل على موضعين دفاعيين ، كل منهما يشتمل على ثلاثة خنادق .

الخندق الأول وهو خط الدفاع الرئيسى والأهم والأكثر كثافة وتركيزاً بالسلاح والرجال والنيران والموانع ، وواجبه صد العدو وكسر هجومه ومنعه من الاختراق ، وتحتله الفصائل الأمامية من السرايا الأمامية من كتائب الدفاع الأمامية .

والخندق الثانى ويبعد عن الأول ٥٠٠م وواجبه مساندة الخندق الأول وسد الثغرات وتغطية الأرض فيما بينه وبين الأول ، وإذا اخترق الخندق الأول يتحول الخندق الثانى إلى أول بصورة آلية ، وتحتله الفصائل الخلفية من السرايا الأمامية .

والخندق الثالث ، ويبعد ١٠٠٠ م عن الثانى وتحتله السرايا الخلفية من كتائب الموضع الأول ، ومنه تنطلق هذه السرايا لتنفيذ الهجمات المعاكسة فى حال حصول الاختراق ، وفيه تدافع لمنع العدو من متابعة التقدم فيما لو سقط الخندقان الأولان .

وبذلك يكون عمق الموضع الأول للواء المشاة ٢ — ٣ كم تحتله كتيبتان مع الأسلحة الملحقة .

---

(١) انظر المخطط المدرسى النموذجى المرفق .

وأما الموضع الثانى فيبعد عن الموضع الأول ٢ – ٣ كم وتحتله الكتيبة الخلفية من اللواء ويشبه فى تنظيمه الخطى ، الموضع الأول ، وفيه أو قريباً منه تتمركز قيادة اللواء والوحدات الأخرى المعدة لتنفيذ الهجمات المعاكسة .

وفيما بين الموضعين ، وخلف الموضع الثانى تتمركز وحدات المدفعية وتقع منطقة الدفاع م ـ د ، والأسلحة المضادة للطائرات .. وخطوط انتشار الدبابات واحتياط أل م ـ د(١)وخطوط الفتح لشن الهجمات المعاكسة. إلخ .

٣ – وتكوين المنطقة الدفاعية الثانية لا يختلف عن الأولى إلا أنها تكون عادة أقل كثافة بالأسلحة ، وتبتعد عن المنطقة الأولى ٦ – ٨ كم وعمقها كذلك ، ويحتلها اللواء الخلفى من مجموعة الألوية مع الوحدات الملحقة ومنها تنطلق الهجمات المعاكسة الكبيرة (تنفذها الألوية) وبينها تتمركز وحدات المدفعية التابعة لمجموعة الألوية وتقع كذلك منطقة الدفاع م ـ د لمجموعة الألوية وخطوط انتشار الدبابات واحتياط ال م ـ د العائدة لمجموعة الألوية أيضاً .. وخطوط الفتح لشن الهجمات المعاكسة ... إلخ .

ولشرح تنظيم الدفاع على أرض الجبهة ، سنأخذ مثالا القطاع الأوسط .

فالقطاع الأوسط اعتبر محور الجهد (٢) فى خطة عمليات الجبهة ، وكان يحتله اللواء الخامس عشر ، وقد نظم دفاعه على الأساس التالى :

١ – منطقة الحيطة وتشمل مخافر جليبينة ، الدريجات ، الحصن ، مرتفع ٢١٧ ، علمين ، تل المشنوق ، المرتفع ٦٢ ، (تل الشعير) منطقة البطيحة ، ويضاف إلى هذه المواقع المخافر الصغيرة الأمامية التى سميت بـ (الجميات) ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ ... والتى كان دورها مراقبة الحدود مباشرة فى النهار ، ونصب الكمائن على طرق التسلل فى الليل .

---

(١) م ـ د : الأسلحة المضادة للدبابات .

(٢) محور الجهد : هو الاتجاه الأساسى والأهم ، الذى يتم عليه أكبر تركيز فى القوات المساحة والنيران (فى الهجوم والدفاع) بنية تحقيق المهمة القتالية للوحدات على أفضل وجه .

٢ ـ الموضع الدفاعى الأول وهو منطقة : مرتفع نذير وجيار الجمرك ـ أشرف حمدى ـ الدورة ـ السنابر .

٣ ـ الموضع الدفاعى الثانى و : منطقة دير سراس ـ نعران ـ العليقة .

٤ ـ منطقة الدفاع م ـ د للواء : هى منطقة الأبراج .

٥ ـ خطوط انتشار الدبابات واحتياط الـ م ـ د منطقة نعران .

٦ ـ مرابض المدفعية : نعران ـ دير سراس ـ وادى حواء ـ الفاخورة .

٧ ـ مربض الهاون ـ ١٢٠ مم : جورة أم العسل ،فرع وادى حواء غرب السنابر .

ثم لنأخذ مثالا على الموضع الأول هو قطاع الكتيبة ١٣ ويشمل نقاط الاستناد : أشرف حمدى ـ الدوره ـ السنابر الشمالية . وتحتل كل نقطة من هذه النقاط سرية مشاة مع أسلحة التعزيز .

... ولشرح التحصين بصورة مفصلة ، نأخذ مثالا على ذلك نقطة استناد أشرف حمدى ، وهى نقطة قوية وتقع فى الموضع الدفاعى الأول ، وعلى محور جهد القطاع الأوسط الذى هو بدوره محور جهد الجبهة .

... هذه النقطة كانت تحتلها القوى الآتية :

سرية + فصيلة مشاة (١) + فصيلة رشاش متوسط(٢) + فصيلة دفاع م ـ د (ب ١٠) (٣) فصيلة دفاع م ـ ط . ١٢.٧ مم (٤) + جماعة

---

(١) السرية المشاة يقارب عددها المائة وهى ثلاث فصائل والفصيلة ثلاث جماعات .

(٢) فصيلة الرشاش المتوسط هى وحدة ملحقة على السرية من قبل الكتيبة (الكتيبة ثلاث سرايا واللواء ثلاث كتائب) .

(٣) فصيلة الدفاع م ـ د هى وحدة إضافية ملحقة على السرية من قبل الكتيبة .

(٤) فصيلة الدفاع م ـ ط هى وحدة إضافية ملحقة على السرية من قبل الكتيبة والرمز م ـ ط يعنى المدفعية المضادة للطائرات .

م ـ د ت ٢١ وصع (١) + جماعة قاذفات اللهب الثقيلة المضادة للآليات (٢)

ولقد كان تمركز هذه القوات على الشكل التالى :

الخندق الأول : وقد حفر على حدود النقطة فى اتجاه الغرب والجنوب الغربى (٣) وبعيداً عن الأسلاك الشائكة ١٥ — ٢٥ متراً . واحتلته فصيلتان من فصائل السرية مضافاً إليها الأسلحة م ـ د وقاذفات اللهب والرشاشات المتوسطة .

الخندق الثانى : ويبعد عن الأول ٥٠٠ — ٦٠٠ متر واحتلته الفصيلة الثالثة من السرية مضافاً إليها الأسلحة م ـ ط ١٢،٧ مم ويربط الخندقين الأول والثانى خنادق المواصلات التى حفرت بمعدل خندق لكل فصيلة وذلك لمنع تحرك العسكريين خارج الخنادق .

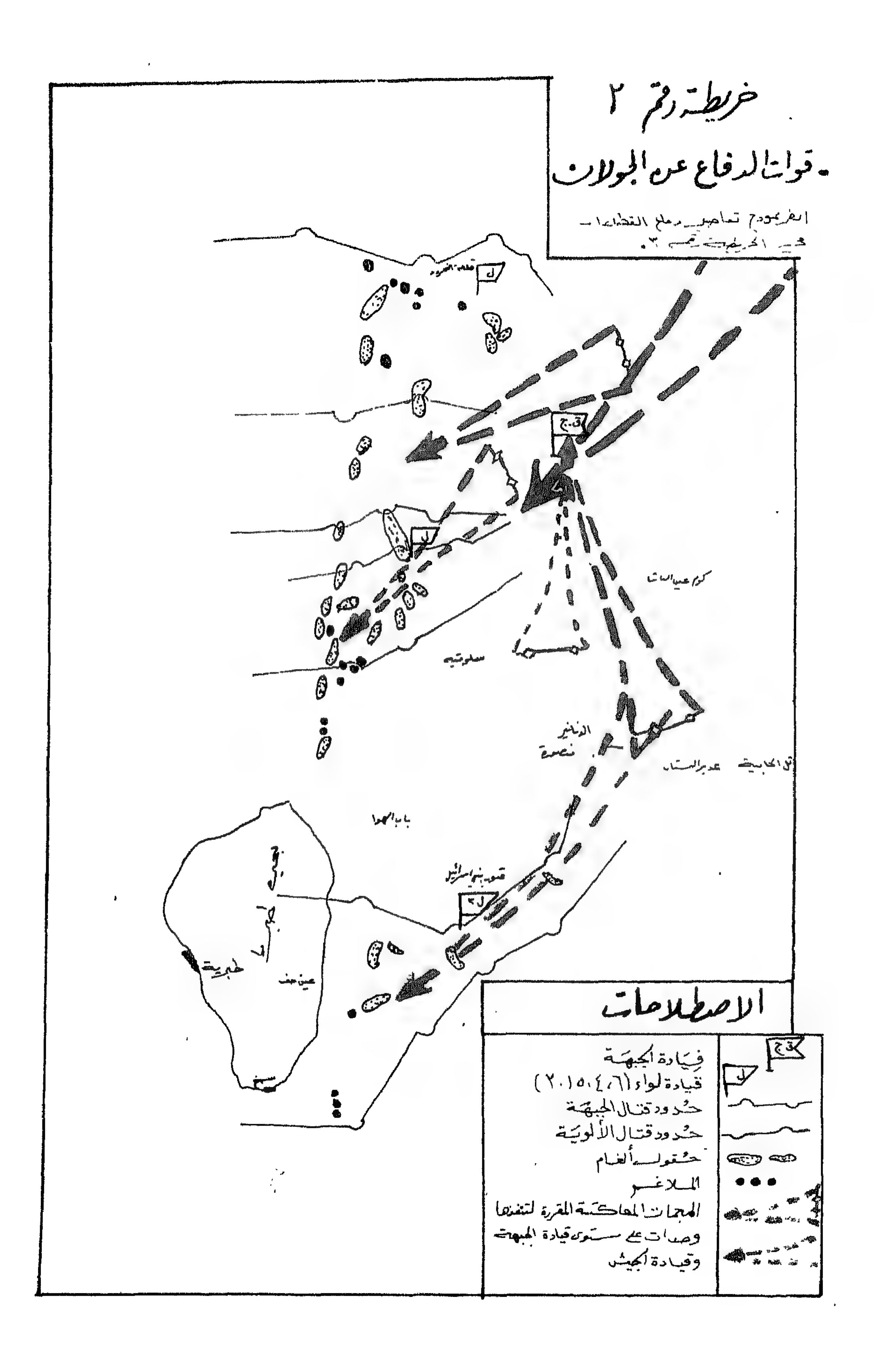
وأقيمت الملاجىء قريباً من خنادق القتال وذلك بمعدل ملجأ لكل جماعة مشاة أو ما يعادلها من التعداد من الأسلحة الأخرى . وقد أقيمت هذه الملاجىء على أيدى الخبراء الروس وبطريقة القطع الأسمنتية مسبقة الصنع . التى تركب الرافعات أو بواسطة الجنود (حسب ثقل القطع) ثم تهال الأتربة فوق الملجأ بعد إتمام صنعه بسماكة ١ — ١،٥ متراً وتترك للملجأ فتحات للتهوية وبذلك أصبحت قادرة (حسب تقدير الخبراء الروس) على تقديم حماية نسبية ضد الضربات الذرية الصغرى أو القصف بالغازات السامة .

---

(١) المدفع ت ٢١ سلاح مضاد للدبابات ذو فعالية جيدة يخدمه جنديان ويقذف حسب مبدأ الاندفاع الذاتى على غرار البازوكا . وأسلحة الوضع هى أنواع من الأسلحة المختلفة ، التى لم تكن تدخل فى ملاك الوحدات لغربتها عن التسليح العام للوحدات ، ولذلك اعتبرت أسلحة ثابتة لخدمة (الوضع الدفاعى) وسميت « أسلحة الوضع » وشملت بعض دبابات البانزر وأسلحة م ـ د مختلفة الأنواع والعيارات ، وبعض الرشاشات الثقيلة والمتوسطة من أنواع وعيارات مختلفة .

(٢) أسلحة فعالة مضادة للدبابات تقذف بصفقات متتابعة من النابالم المشتعل . ومداها المجدى ١٥٠ متراً .

(٣) أى فى اتجاه الأرض المحتلة وكذلك فى اتجاه بحيرة طبريا (البطيحة) وهما الاتجاهان الأكثر تهديداً لهذه النقطة التى نشرح كل شىء عنها كنموذج لتنظيم الدفاع فى الجولان .


خريطة رقم ٢
قوات الدفاع عن الجولان
الاصطلاحات
ق.ج
ل
قيادة الجبهة
قيادة لواء (٦، ٤، ٥، ١، ٢٠)
حدود قتال الجبهة
حدود قتال الألوية
حقول ألغام
الملاغم
الهجمات المعاكسة المقررة لتنفيذها
وحدات على مستوى قيادة الجبهة
وقيادة الجيش

والأسلاك الشائكة تحيط بالمنطقة من كل جانب وتبعد عن الخندق الأول ١٥ — ٢٥ متراً ، وبعرض ٥ — ٨ أمتار . وبالإضافة إلى ذلك كله : كانت الألغام تحمى النقطة من الجهة الغربية والجنوبية الغربية وتسد الثغرة الواقعة بينها وبين نقطةالدورة ، كما تسد الثغرة بينها وبين نقطة الجمرك (أى بين الموقع وجواره) .

هذا ... ولم يكتف القادة المسئولون ، بتنظيم الدفاع على الأسلوب الخطى (الروسى) ، وإنما أرادوا الجمع بين مميزات هذا الدفاع ومميزات الدفاع السابق (الأسلوب الغربى) وهو الدفاع الدائرى ، فبالإضافة إلى مواضع الرمى الأساسية والتبادلية للأسلحة المختلفة جهزت لها مواضع رمى تكميلية (١) بحيث أصبحت رمايات أسلحة الموضع نفسه تغطى مواجهته من كل الجهات ، وتتيح له أن يدافع بصورة دائرية . بالإضافة إلى الرمايات الأخرى المحضرة من قبل الأسلحة الأكبر .

وأما نيران الموقع فقد نظمت على أن تغطى مواجهته تغطية كاملة وأن تشكل حاجزاً لا يخترق على بعد ٤٠٠ متر من الخندق الأول ، كما نظمت بشكل يحقق تشابك رمايات جميع الأسلحة فلا تدع ثغرة بين النيران قد يستفيد منها العدو المهاجم . ولقد شملت النيران التى حضرت للدفاع عن نقطة مثل أشرف حمدى (التى نشرح كل شىء عنها كنموذج لكل مواقع دفاع الجبهة) ، الأنواع الرئيسية التالية :

١ — نيران الموقع نفسه : أى النيران المنبعثة من الأسلحة المتمركزة فى الموقع والتى تقع تحت إدارة قائد الموقع مباشرة ، ويملك المناورة بها حسب تقلبات المعركة ، ولقد نظمت بحيث تغطى مواجهة الموقع من جهة

---

(١) موضع الرمى التبادلى هو الموضع الذى ينتقل إليه السلاح بعد إجراء الرماية من موضعه الأساسى خوفاً من أن يكتشفه العدو فيدمره . ويؤدى السلاح من موضعه التبادلى المهمة التى يؤديها من موضعه الأساسى دونما أى تغيير . أما موضع الرمى التكميلى فهو نوع آخر من المواضع تجهز لتحتلها الأسلحة فى اتجاه آخر (ضمن حدود الموقع الدفاعى نفسه) ولتحقيق مهمات أخرى وذلك بغية استكمال الدفاع عن الموقع فى كافة الاتجاهات .

الهجوم الرئيسى المحتمل وأعطيت كذلك إمكانية الانتقال (كلياً أو جزئياً) لسد الطريق بوجه أى تقدم آخر من كافة الجهات .

ولقد روعى فى تنظيمها إمكانية سد الثغرات التى قد تحصل أثناء اختراق العدو للخندق الأول ، ومواكبته خلال زحفه بعد الخرق بحيث لا يتاح له الاحتلال إلا بعد أن يكون قد أنهك ودمر تدميراً كبيراً ، وبهذا تكون الفرصة مواتية لسرية النسق الثانى لتنفيذ الهجوم المعاكس وطرد العدو المهاجم وملاحقته حتى أثناء تراجعه .

والمهم فى الأمر كذلك أن نيران الموقع نفسه هذه قد حسب لها حساب تغطية الثغرات مع الجوار ، فالثغرة الواقعة بين أشرف حمدى ونقطة الجمرك كانت مغطاة كلها بنيران الموقعين المتشابكة ، وكذلك الثغرة الواقعة بين أشرف حمدى ونقطة الدورة .

٢ ــ **نيران وحدات الكتيبة :** وتشمل نيران وحدات الهاون ٨٢ مم والأسلحة م ـ ط وأ.م ـ د التابعة للكتيبة أو الملحقة بها ، وقد كان تنظيم هذه النيران من واجب قيادة الكتيبة بالتعاون والتشاور مع السريتين الأماميتين وقد روعى فى تنظيم هذه النيران ما يلى :

ــ إمكانية مساعدة السرايا الأمامية فى تحقيق رمى الإيقاف لكسر هجوم العدو ورده على أعقابه .

ــ إمكانية سد الثغرات بين السريتين الأماميتين ، وكذلك سد الثغرات مع الوحدات المجاورة (الكتائب المجاورة) .

ــ إمكانية مواكبة العدو المخترق بالنيران طيلة فترة إتمامه لاحتلال موقع أمامى أو أكثر .

ــ إمكانية تحقيق رمايات التمهيد من أجل الهجوم المعاكس الذى تقوم

به سرية النسق الثانى للكتيبة أو الاشتراك فى رمايات التمهيد التى تنفذ لفتح الطريق أمام الهجوم المعاكس الذى تنفذه كتيبة النسق الثانى من اللواء .

٣ ـ نيران المدفعية والهاون ١٢٠ مم والأسلحة م ـ د والدبابات التى هى بتصرف قيادة اللواء : وهذه النيران كانت مهمتها تحقيق الإمكانات التالية :

ـ تنفيذ الرمايات البعيدة (وخاصة المدفعية) . وذلك خلال تحضيرات العدو للهجوم ، بقصد تدمير تشكيلاته وإجبارها على الفتح قبل الوقت المناسب من أجل إنزال أكبر الخسائر بها ، أو تدميرها على قاعدة انطلاقها للهجوم .

ـ الاشتراك فى رمايات الإيقاف أمام الخندق الأول ومن ثم مواكبة العدو بالنيران خلال إتمامه لعملية الاختراق .

ـ سد الثغرات بين الكتائب ومع الألوية المجاورة .

ـ التمهيد للهجمات المعاكسة .

ـ رمايات التدمير على المواقع المحتلة نفسها .

ـ ملاحقة العدو خلال تراجعه بعد انكسار الهجوم .

كل هذه النيران كانت محضرة ومجهزة لتنطلق من فوهات الأسلحة المختلفة ، ومثل هذا التنظيم شمل كل موقع وكل مخفر فى أرض الجبهة حتى لنكاد نقول بمطلق الثقة ، أنه ما من شبر من أرض الجبهة صالح لتقدم العدو ، إلا وهو مغطى بالنيران والألغام واحتمالات الدفاع ، واحتمالات الهجمات المعاكسة بحيث تكون أرض الجبهة أشبه بجحيم مسعرة ، تنبعث منها النيران وتتساقط عليها الحمم من الجو ، فلا تدع مجالا لعدو مهاجم أن يتقدم شبراً واحداً ، دون أن يغطيه بجثث القتلى ، وحطام الآليات ، ويساعد فى ذلك حسن تنظيم الدفاع ، ومتانة الملاجىء ، ودقة تحضير الرمايات (حتى الليلية)، ووعورة الأرض ،وقلة الطرق المناسبة لمناورة آليات المهاجم..

ولكي تتضح أبعاد الصورة وتبرز ملامحها ويتبين القارئ فداحة الخطب الذي نزل بالجولان الحصين ... يجب أن نعلم أن هذه النيران كانت محضرة لتنفذ من قبل أنساق متتابعة من القوات ، فمن الحرس الوطني المدافع في منطقة الحيطة وعنها ، إلى كتائب النسق الأول من الألوية الأربعة ، إلى كتائب النسق الثاني من هذه الألوية ، إلى ألوية احتياط قيادة الجبهة ، إلى مجموعة الألوية التي احتفظت بها قيادة الجيش (١) ، مضافاً لذلك كله نيران المدفعية من كل عيار ومن كل المستويات ، ونيران الصواريخ ، ونيران الطيران ، أضف إلى ذلك كله الهجمات المعاكسة المقرر القيام بها ابتداء من سرايا النسق الثاني لكتائب النسق الأول المتمركزة على الموضع الدفاعي الأول ، ومروراً باحتياطات الألوية فقيادة الجبهة وانتهاء بالهجمات المعاكسة التي كان مقرراً أن تقوم بها ألوية احتياط الجيش وفي مقدمة تلك الألوية ... اللواء ٧٠ ـ المدرع .

وهناك أمر آخر في غاية الخطورة والأهمية .

فالطرق والمحاور في منطقة الجبهة قليلة جداً ، والأرض غاية في الوعورة وانعدام صلاحيتها للحركة السريعة للآليات ، وقد سبق أن أفادت القيادة من هذه الخاصية ، فحضرت التخريبات المختلفة على محاور التقدم المحتملة لقوات العدو ، وقد كان من أبرز هذه التخريبات المحضرة : **الملاغم** .

ففي النقاط التي تشكل ممرات إجبارية على الطرق ، وضعت **الملاغم** بحيث لو نسفت سدت الطريق أمام الآليات وتضع العدو ساعات طوالاً تحت رحمة نيراننا . في انتظار مرير مشحون بالخسائر والضحايا ريثما يقوم بإصلاح المخرب لمعاودة التقدم . وكانت خطة عمليات الجبهة تقضي بأن تكون قيادة هذه **الملاغم** وصلاحية نسفها بيد قائد الموقع الذي تقع مباشرة تحت سيطرته (حتى ولو كان برتبة عريف) . وكان الذي يحصل في الأيام السابقة وخلال فترات التوتر ، أن تنتقل قيادتها فعلاً إلى القادة المباشرين

---

(١) ذلك كله حسب خطة العمليات .

وتجهز تحسباً لكل طارىء ، ثم إذا ما خفت حدة التوتر وعادت الأمور طبيعية هادئة ، تعود قيادة هذه الملاغم إلى قيادات القطاعات (خوفاً من خطأ قد يقع) ، وتبقى كذلك حتى يقع التوتر مجدداً ، فتعود قيادتها إلى القادة المباشرين .. وهكذا دواليك .

هذه الملاغم لو نسفت لكان لقوات العدو اليوم شأن آخر ... ولكنها لم تنسف . وفي ذلك تقع نقطة من نقاط الإجابة على السؤال المحير ... (كيف سقط الجولان الحصين ؟) .

ولابد لنا من أن نرسم صورة بسيطة لما احتوته الجبهة حسب خطة العمليات الموضوعة في عام ١٩٦١ والتي استمرت حتى يوم تسريحي من الجيش ، ثم لست أدري إن كان طرأ عليها تغيير أم لا .. لتبيان خطورة المؤامرة التي سلمتها للعدو ببلاغ فاجر وقعته يد متآمرة ، وأذاعه صوت شؤم من إذاعة حزب البعث .

(أ) **فمن ناحية وضع القوات على الأرض** ، شملت المنطقة خمسة قطاعات كان من واجب قوات الجبهة الدفاع فيها وعنها(١) .

١ ـ **القطاع الشمالي** يحتله اللواء السادس ومحور الجهد فيه طريق : **بانياس ـ مسعدة ـ قنيطرة** ، وقيادته في **مسعدة** ، وكتائبه الأمامية في النقاط : (**زعورة ، تل الفخار ، تل مالك**) ، ومدفعيته في **زعورة** ، **عين فيت** ، ودباباته في منطقة **حرش مسعدة** ، **بقعاتا** . واحتياط الم . د في **القلع** .

٢ ـ **قطاع واسط** ومحور الجهد فيه اتجاه **الدرباشية ، حفر ، واسط ، قنيطرة** . ويحتله اللواء الرابع (يتحرك لهذه الغاية من منطقة السويداء) ، ونقاطه الأساسية حفر ، **تل شيبان** ، وقيادته ودباباته في منطقة **واسط** ومدفعيته في منطقة **حفر** ، **راوية** .

٣ ـ **القطاع الأوسط** يحتله اللواء الخامس عشر وهو محور جهد الجبهة

---

(١) انظر الخريطة رقم ٢ لتستطيع فهم تقسيم القوات وتوزيعها على الأرض .

والجيش ، ومحور الجهد فيه طريق الجمرك ــ عليقة ــ القنيطرة ، وكتائبه الأمامية فى الجمرك ، أشرف حمدى ، الدورة ، مرتفع نذير وجيار ، السنابر : ومدفعيته فى نعران ، دير سراس ، جورة أم العسل ، ودباباته فى منطقة نعران ، وقيادته فى العليقة .

٤ ــ القطاع الجنوبى وتحتله اللواء الثانى ومحور جهده هو طريق فيق ــ العال ــ القنيطرة ، وكتائبه الأمامية فى سكوفيا ، فيق ، نقطة الجسر وكفر حارب ، وقيادته فى العال ، ومدفعيته ودباباته فى ما بين فيق والعال ، حيتل ، الياقوصة .

٥ ــ القنيطرة وهى المنطقة الدفاعية الثانية ويدافع عنها اوراء احتياط بالإضافة إلى الوحدات المتراجعة من القطاعات إن تم الاختراق ، وبالإضافة إلى وحدات مستقلة كثيرة شملت كتائب هاون ، وكتائب مدفعية ، وكتيبة استطلاع ، وكتيبة هندسة وسرية قاذفات لهب وغيرها من الوحدات المساعدة الكثيرة ، وقد دخلت فى عمليات الجبهة الهجمات المعاكسة التى تنفذها مجموعة الألوية (١٨ ، ٧٢ ، ٩٠ ، واللواء ٧٠ المدرع) ، وذلك لصالح الجبهة ولرد الهجوم واستعادة الأرض وإعادة تنظيم الدفاع مجدداً .

ويضاف إلى هذه القطاعات والوحدات التى تحتلها ، منطقة الحيطة التى شملت كل المواجهة مع العدو ابتداء من النخيلة وحتى الحمة ، ومن أبرز المواقع الدفاعية فى منطقة الحيطة :

١ ــ فى الشمالى : تل الأحمر وتل العزيزيات ، مخفر البرجيات ، وتشغلها كتيبة الحرس الوطنى الثانية وقيادتها فى بانياس .

٢ ــ فى قطاع واسط : العقدة ، الدرباشية ، وتشغلها عناصر تابعة لكتيبة الحرس الوطنى الثانية :

٣ ــ فى القطاع الأوسط : تل هلال ، الدردارة ، جليبينة ، الحصن ، ٢١٧ ، علمين ، تل المشنوق ، وتحتل هذه المواقع كتيبة الحرس الوطنى الثالثـــة وقيادتها فى ٢١٧ ، ثم تل ٦٢ ، وتل أعور ، ومخافر الدكة ،

الحاصل ، المسعدية ، الدوكا ، وتحتلها كتيبة الحرس الوطنى الأولى وقيادتها فى تل الأعور .

٤ ــ فى القطاع الجنوبى : الكرسى ، مرتفع ــ ٦٩ ، مزرعة التوافيق ، باب الحديد ، وتحتلها كتيبة الحرس الوطنى الرابعة وقيادتها فى مزرعة عز الدين .

(ب) ومن أنواع التحصينات شملت الجبهة ما يلى :

١ ــ خنادق القتال وهى فى كل موقع دفاعى سواء أكان فى منطقة الحيطة ، أم على محور رئيسى أم محور ثانوى وسواء أكان فى الموضع الأول أو الثانى أم فى المنطقة الأولى أم الثانية .

٢ ــ خنادق المواصلات وقد أقيمت بالمعدلات الآتية :

ــ خندق لكل فصيلة يصل الخندق الأول بالثانى .

ــ خندق لكل سرية يصل الخندق الثانى بالثالث .

ــ خندق لكل كتيبة يصل الموضع الأول بالثانى .

ــ وفى الموضع الدفاعى الثانى أقيمت الخنادق هذه حسب النظام والمعدل نفسه :

٣ ــ خنادق الدفاع السلبى ضد الطائرات وقد أقيمت أكثر ما يمكن حول المبانى والمنشآت فى المعسكرات وفى منطقة القنيطرة .

٤ ــ الملاجىء وهى بالأسمنت المسلح ، وقد أقيمت تحت الأرض لتحمى من نيران المدفعية والطيران . كما طورت منذ عام ١٩٥٨ لتقى نسبياً من الضرب الذرى أو القصف الكيماوى .

٥ ـ منعات(١) الرمى : وهى أبنية من الأسمنت المسلح معظمها تحت الأرض ولا يرتفع منها عن الأرض إلا المقدار الذى يمكن الأسلحة المتمركزة فيها من تنفيذ الرمايات وهى تمتـــاز عن مواضع الرمى المكشوفة بأنها تقدم حماية جيدة ضد نيران الطيران والمدفعية وتمكن فى الوقت نفسه الأسلحة وسدنتها من متابعة القتال رغم القصف .

ولقد وجد هذا النوع أكثر ما يمكن فى المناطق الأمامية وفى منطقة الحيطة ، وذلك لأن أوامر الدفاع فى الجبهة لا تبيح الانسحاب بأى شكل ، بل وتنص صراحة على التشبث بالأرض حتى اندحار العدو المهاجم أو الموت .

٦ ـ مراكز القيادة : وهى أبنية كبيرة وواسعة بنيت بالأسمنت المسلح تحت الأرض وقد بنيت بمعدل مركز قيادة لكل لواء ، ومركز قيادة كبير لقيادة الجبهة وكانت تسمى : « المقرات التعبوية » ولا يتم احتلالها إلا فى حالات احتمال القتال أو أثناء التمارين . وقد بنيت لتقدم حماية كاملة ومطلقة ضد قصف الطيران والمدفعية مهما بلغت كثافته وعنفه ، وحماية كاملة ضد القصف الكيماوى وحماية نسبية ضد الضربات الذرية الخفيفة .

٧ ـ المراصد : ومنها مراصد الألوية ومراصد المدفعية ومراصد القادة وكلها مجهزة تجهيزاً حسناً ، ومبنية بالأسمنت المسلح ، ومتصلة بخنادق المواصلات ليكون الوصول إليها خفية عن أعين الرصد المعادى .

هذا بالإضافة إلى القرى الدفاعية التى أقيمت لتساهم فى دورها بالدفاع عن الجبهة .

(جـ) النيران : وقد شملت كل سلاح فى الجبهة وهى :

١ ـ نيران الأسلحة الفردية أينما وجدت .

٢ ـ نيران الأسلحة الجماعية لوحدات المشاة (الرشاشات المتوسطة والثقيلة) .

---

(١) كانت تسمى (البلوكوهاوزات) .

٣ ــ نيران الهاونات بمختلف عياراتها (ابتداء من الهاون ٦٠ مم وحتى الهاون ١٢٠ مم) .

٤ ــ نيران المدفعية ابتداء من مدفعية الألوية حتى مدفعية الجيش ، والصواريخ .

٥ ــ نيران المدفعية المضادة للآليات وكذلك نيران الدبابات سواء منها (الوضع) أم الداخلة فى عضوية الألوية والمستعدة للمناورة وتنفيذ الهجمات المعاكسة أم الملحقة على الجبهة للتعزيز .

٦ ــ نيران الأسلحة المضادة للطائرات من العيارات المختلفة ابتداء من عيار ٧ ، ١٢ مم وحتى عيار ١٠٠ مم :

٧ ــ نيران قاذفات اللهب ، الخفيفة منها والثقيلة المضادة للآليات .

(د) الموانع : الموانع التى تستخدم عادة فى القتال كثيرة جداً ، ومتنوعة بمقدار ما يتنوع شكل القتال وطبيعة الأرض التى تدور عليها ، ولقد استخدمت فى منطقة الجولان أنواع محدودة من الحواجز هذه ، ولكنها استخدمت بكثافة كبيرة جداً .

١ ــ فالأسلاك الشائكة : على اختلاف أنواعها وطرق نصبها ، كانت تحيط كل موقع أو مخفر أو مطلق مكان تتمركز فيه القوات ، ويكاد يكون مستحيلا أن تجد مكاناً فيه وحدات دون أن تكون قد أحاطت نفسها بنوع واحد أو أكثر من الشبكات الشائكة .

والجدير بالذكر أن هذه الأسلاك قد دخلت فى صلب مخططات التحصين وحملت على الخرائط الخاصة بذلك بإحداثياتها وأصبح من غير الممكن لأى قائد أن يأمر بإزالتها أو تعديلها نحو الضعف دون أن يقدم لذلك مبرراً معقولاً . ثم يأخذ موافقة قيادة الجبهة على هذا التغيير .

٢ ــ سدادات الطرق : وسواء أكانت من الحديد ، أو الصهوات الشائكة ، فلقد استخدمت هذه الأنواع بكثرة وخاصة لسد مداخل المواقع

الدفاعية فى الليل أو وقت الاشتباك ، وكذلك جهزت لتستخدم وقت الاختراق كعنصر مساعد فى تأخير قوات الهجوم .

٣ ــ **الألغام المتحركة** : وكانت تزرع فى نقاط معينة على الطرق كل يوم مع حلول الظلام ثم تنزع صباح اليوم التالى وتخلو منها الطرق طيلة النهار .

٤ ــ **الملاغم** : وهى تخريبات معدة مسبقاً على الممرات الإجبارية ، ولا تعدو كونها أماكن خاصة لوضع المتفجرات تحت الطريق ، ومجهزة لنسفه فى اللحظة المناسبة فتشكل تدميراً (يختلف حجمه باختلاف حجم المتفجرات وتوزيعها) ، فى نقطة العبور الإجبارية هذه ، مما يجبر العدو على التوقف ريثما يتمكن من إصلاح الطريق لمعاودة التقدم .

وقد شرحنا عنها مفصلا فى موضع سابق من هذا الفصل ونضيف هنا أن سعة كل ملغمة كان فى الجبهة ـ ٢٠٠ ـ تنكة من متفجرات الـ ت . ن.ت . وهذه الكمية قادرة على إحداث حفرة عمقها عشرون متراً ولا يقل قطرها عن ٧٠ متراً ، وهو حجم هائل فيما لو وقع على نقطة مرور إجبارية .

٥ ــ **حقول الألغام** : إننى أستطيع أن أؤكد أن على طول المواجهة وابتداء من خط الهدنة حتى الخط : مسعدة ــ واسط ــ العليقة ــ القادرية ــ القصبية ــ العال ــ حيتل .

فى هذا الشريط من أرض الجبهة الذى يتفاوت عمقاً ٤ ــ ٩ كيلو مترات ، أستطيع أن أؤكد أنه لم تكن هناك قطعة أرض صالحة لتقدم قوات العدو إلا وزرعت بحقول الألغام .

فحقول الألغام غطت جزءاً كبيراً من المناطق القريبة من العدو والصالحة لتقدم آلياته ومشاته . ولقد زرعت فى الأراضى الفسيحة وعلى طرق التسلل ، وعلى جوانب محاور التقدم ، وأحاطت بالمواقع الدفاعية كما سدت الثغرات بينها واحتوت الأنواع العديدة من الألغام ، من مضاد للأشخاص إلى مضاد للآليات ، ومن عادى إلى وثاب إلى مفخخ . . . إلخ .

والأكثر من ذلك . . . وهو أن هذه الحقول كلها كانت مضروبة

بالنيران لحمايتها ومنع العدو خلال تقدمه من فتح الثغرات فيها ، ولقد غطت هذه الحقول بجميع أنواع الرمايات التى سبق أن نوهت عنها فى الصفحات السابقة . ولذلك فإنها كانت تعتبر — لو صمدت القوات — من أفضل الحواجز فى وجه العدو وأكثرها فعالية ضد تقدمه .

٦ — **مفارز السدود المتحركة :** وهى مجموعات من وحدات الهندسة مزودة بأنواع خاصة من الآليات المصفحة ، تتحرك مع احتياطات الأسلحة المضادة للدبابات ، وتقوم خلال القتال بنشر الألغام بصورة سريعة — هكذا على المكشوف وعلى وجه الأرض — وذلك كجزء من خطة الدفاع ولقد حددت خطوط انتشارها على الأرض (بموجب خطة العمليات) ، وجهزت وزودت بكل احتياجاتها لساعة أداء الواجب ودربت على هذا العمل مرات ومرات ، منفردة أحياناً ، ومشتركة مع باقى وحدات القطاعات أحياناً أخرى . ومما هو جدير بالذكر أن ملاك كل مفرزة من هذه المفارز لعملية واحدة هو - ٤٠٠٠ - أربعة آلاف لغم مضاد للآليات .

٧ — ونستطيع أن نضيف إلى ذلك كله ، **قلة الطرق الصالحة للتقدم** ، وخاصة فى المناطق المتقدمة القريبة من الحدود ، وقد كان ذلك مقصوداً تعمدته القيادات المتعاقبة ، بل وحالت دون نجاح بعض المحاولات لشق طرق جديدة لأن ذلك سيضيف أعباء جديدة على عاتق الوحدات .

وتتضح لنا شدة فعالية هذه الموانع حين نعلم أن الله قد وهب تلك المنطقة وعورة غريبة من نوعها فأرضها من أصل بركانى مغطاة على مسافات شاسعة بالصخور والأحجار البازلتية التى تجعل من العسير على الآليات السير فيها خارج الطرق .

(**هـ) الهجمات المعاكسة المقررة :** الحديث عن هذا الأمر ، يصعب الخوض فيه دون توفر مخططات واضحة تبرز أهميته ، ولكنى سأحاول أن أرسم صورة للهجمات المعاكسة المقررة (فى القطاع الأوسط) ، وذلك بسبب أننى لم يتح لى الاطلاع على ذلك فى باقى القطاعات ، ثم الهجمات المعاكسة المقررة لتقوم بها وحدات على مستوى قيادة الجبهة وقيادة الجيش .

فى القطاع الأوسط : تضمنت خطة العمليات الهجمات المعاكسة الآتية :

١ ــ هجوم معاكس رئيسى بسرية مشاة فى اتجاه الجمرك ــ مرتفع ٢١٧ ينطلق من مرتفع نذير وجيار وتقوم به سرية النسق الثانى للكتيبة الرابعة .

٢ ــ هجوم معاكس ثانوى بسرية مشاة فى اتجاه جليبينة ــ الدردارة ينطلق من مرتفع نذير وجيار وتقوم به السرية نفسها .

٣ ــ هجوم معاكس ثانوى باتجاه الدورة ــ أبو فولة ــ ينطلق من السنابر الشمالية وتقوم به سرية النسق الثانى للكتيبة ١٣ .

٤ ــ هجوم معاكس رئيسى باتجاه أشرف حمدى ينطلق من السنابر الشمالية وتقوم به السرية نفسها(١) .

٥ ــ هجوم معاكس رئيسى باتجاه الجمرك ــ ٢١٧ ينطلق من نعران وتقوم به ك ٤٣ + كتيبة الدبابات + سرية م ـ د اللواء + مفرزة السدود المتحركة للواء .

٦ ــ هجوم معاكس ثانوى باتجاه السنابر ــ الدورة ينطلق من نعران وتقوم به القوة نفسها أو جزء منها (حسب أوضاع المعركة) .

أما قيادة الجبهة فلقد كان مقرراً أن تقوم بالهجمات المعاكسة الآتية :

١ ــ هجوم معاكس رئيسى أول باتجاه كفرنفاخ ــ العليقة ــ الجمرك ينفذه لواء مشاة معززاً بالدبابات والمدفعية ومفارز السدود المتحركة . وينطلق من السفوح الغربية لحرش عين زيوان .

٢ ــ هجوم معاكس رئيسى ثانوى باتجاه قنيطرة ــ منصورة ــ واسط تقوم به القوة نفسها وينطلق من خان أرينبة .

---

(١) انظر الخريطة رقم ٢ .

٣ ـ هجوم معاكس ثانوى باتجاه الرفيد ـ العال وتقوم به القوة نفسها وينطلق من الرفيد(١) .

وأما قيادة الجيش فلقد كان مقرراً أن تقوم بالهجمات المعاكسة الآتية :

١ ـ هجوم معاكس رئيسى باتجاه سعع ـ القنيطرة تقوم به مجموعة الألوية ٢٩ المؤلفة من اللواء ١٨ ، واللواء ٧٢ ، ولواء احتياطى مع اللواء ٧٠ المدرع بالإضافة إلى وحدات كبيرة من المدفعية والهندسة وباقى الصنوف . ثم تقوم المجموعة هذه بعد تنفيذ الهجوم بملاحقة وحدات العدو حتى يتم تدميرها أو أسرها أو ضمان تراجعها عبر الحدود ، وتعيد احتلال الجبهة وإعادة التنظيم بينما تتراجع قوات الجبهة السابقة لتتجمع فى منطقة دمشق وتعيد تنظيمها .

٢ ـ هجوم معاكس ثانوى باتجاه درعا يؤدى المهمة نفسها وتؤديه القوات التى ذكرت أو جزء منها وذلك حسب ضخامة القوة المهاجمة وحسب أحوال المعركة .

هذا بالإضافة إلى الهجمات المعاكسة المقرر أن تقوم بها وحدات القطاعات الأخرى ، ومن أهمها هجوم معاكس مقرر أن تقوم به وحدات الدبابات من الجوخدار والخشنية معززة بكتيبة مشاة من القطاع الجنوبى ، وذلك باتجاه القنيطرة ، لطرد العدو منها فى حال وصوله إليها ، حتى لا يتمكن من تطويق القطاعين الأوسط والجنوبى . ومن هنا يبرز لدينا أن جميع الاحتمالات القائمة لحدوث الاختراق والتوغل المعادى فى أرضنا ، كانت مغطاة بالهجمات المعاكسة وعلى مختلف المستويات ، بالإضافة إلى ما ذكرنا من التركيز فى النيران والموانع والتحصينات . . . إلخ ، فكيف إذن يمكن لهذه الجبهة أن تسقط وبمثل هذه السهولة ؟؟

(و) المقاومة الشعبية : . . . شملت الجبهة تنظيماً جيداً لعناصر المقاومة

---

(١) انظر الخريطة رقم ٢ .

الشعبية ، كان شبيهاً بتنظيم القوات النظامية . . حيث قسمت المنطقة إلى أربعة قطاعات للمقاومة الشعبية يضم كل منها عدداً من كتائب المقاومة :

١ ــ الشمالى وقيادته فى مسعدة .

٢ ــ الأوسط وقيادته فى العليقة .

٣ ــ الجنوبى وقيادته فى العال (على ما أذكر) .

٤ ــ قطاع القنيطرة وقيادته فى القنيطرة كما كان أيضاً فى هذه المدينة القيادة العامة لقوات المقاومة الشعبية فى الجبهة . وقد شملت المقاومة الشعبية تسليح كل قادر على القتال حتى أصحاب الأعمار الكبيرة (١) ، وقد وزعت على هذه الوحدات أسلحة مختلفة من البنادق والرشاشات المتوسطة والثقيلة . والأسلحة الخفيفة والمتوسطة المضادة للدبابات بالإضافة إلى كميات كبيرة هائلة من الذخيرة وكميات كبيرة من الأسلاك الشائكة والألغام والمتفجرات وأجهزة الهاتف وأجهزة اللاسلكى والإشارات الضوئية والمناظير والخرائط المختلفة ، كلها لتساعد فى إسهام السكان فى الدفاع وتغطية كل حبة من تراب المنطقة بالنار القاتلة التى كان مفروضاً أن توجه إلى صدور الغزاة المجرمين ... فى ساعة عصيبة كالتى وقعت يوم المسرحية .

(ز) الدفاع ضد أسلحة التدمير الجماعى : أسلحة التدمير الجماعى ، تشمل فى عرف القوات السورية ما يلى :

١ ــ **الأسلحة الذرية** بشقيها الأساسيين ، المتفجر ، والمشع .

ويتمثل المتفجر خير تمثيل بالقنابل الذرية ، بمختلف أحجامها وقدراتها التدميرية .

كما يتمثل المشع بالغبار الذرى ، الذى ينتج عقب الانفجارات الذرية ،

---

(١) وجد رجال من المقاومة الشعبية تجاوزوا الستين من العمر وكانوا يؤدون واجبهم فى الحراسة والكمائن أحسن من قسم كبير من الشباب .

أو الممكن رشه بوسائل مختلفة على شكل مساحيق تنشر فى جو وأرض المعارك ، فتنشر الإشعاعات الخطرة والقاتلة على حد سواء .

٢ ــ **الأسلحة الكيميائية** : وهى المواد السامة التى جهزت للاستعمال فى الحروب ، لتنشر الغازات القاتلة أو المشوهة أو المخدرة . . . والتى يمكن بها تلويث مناطق الأهداف ، بوسائل مختلفة ، (قنابل المدفعية ، قنابل الطيران الرش بالطائرات . . . إلخ) . والتى تتفاوت مدة تأثيرها وبقائها فى الجو أو على الأرض ، من بضع دقائق إلى بضعة أيام .

٣ ــ **الأسلحة الجرثومية** : وهى أنواع من الأسلحة التى تنشر بواسطتها الأوبئة والأمراض المختلفة ، فى مناطق الأهداف ، وهى عبارة عن الحشرات المشحونة بالجراثيم ، أو الجراثيم نفسها ــ لمرض ما ــ ويمكن إيصالها إلى الأهداف بالوسائل المختلفة (المدفعية ــ الطيران ــ المخربون (العملاء) . إلخ). ولقد سبق للقيادة العامة أن اتخذت وسائل متعددة ، لحماية القوات من هذه الأسلحة ، والتخفيف من أضرارها إلى أدنى حد ممكن ، للحفاظ على أفضل مستوى قتالى لها ، فى حالة نشوب الصراع .

١ ــ **ففيما يخص الأسلحة الذرية المتفجرة** (القنابل) ، كانت هناك الملاجىء التى أقيمت ــ بإشراف الخبراء السوفييت ، والتى بنيت لتقدم ــ حسب تقديرات الخبراء ــ حماية ضد الانفجارات النووية الصغيرة (التعبوية) وذلك على الشكل التالى :

ــ بالنسبة للمناطق التى تقع ضمن قطر دائرة مركز الانفجار(١) ،

---

(١) هذه التقديرات بنيت على أساس أن العدو قد يستخدم قنابل ذرية من العيار ذى القوة التدميرية التى تعادل القوة التدميرية لكتلة ــ ٢٠ ــ ألف طن من المادة المتفجرة (ت . ن . ت) وهى مماثلة للقنبلة التى ألقيت على مدينة هيروشيما فى نهاية الحرب العالمية الثانية . وأما بالنسبة للقنابل ذات المفعول الأكبر ، فلقد قدر الخبراء أن العدو لن يستعملها ضد الجبهة السورية لسببين :

أولها ــ حسب تقديرهم ــ أن العدو لن يملك هذه القنابل قبل سنوات طويلة (هذا كان فى عام ١٩٥٨) .

وثانيهما ــ أن استخدام مثل هذه القنابل على منطقة الجولان يشكل خطراً حقيقياً على قوات العدو وأراضيه بسبب اتساع الدائرة التدميرية لهذه القنابل ودائرتها الإشعاعية لتشمل أرضه .

والتى يبلغ نصف قطرها ٥٠٠ متر ، فالحماية تكون نسبية ، ضد الأثر الحرارى والتدميرى للانفجار .

– بالنسبة للمناطق التى تبعد عن مركز الانفجار أكثر من المسافة المذكورة (٥٠٠ متر) ، فالحماية كاملة ، ضد الأثر التدميرى ، وتزداد نسبة الحماية ضد الأثر الحرارى تصاعداً كلما بعد الملجأ عن مركز الانفجار .

وأما بالنسبة للإشعاعات الذرية ، سواء أكانت ناتجة من الانفجار ، أو من الغبار الذرى أو أى مصدر آخر ، فلقد وزعت القيادة على جميع العسكريين – بدون استثناء – الأردية الواقية (على شكل المشمعات الواقية ضد المطر) ، وهى تقدم حماية جيدة ضد الإشعاعات (ألفا ، بيتا) ، وضعيفة جداً ضد إشعاعات (غاما) ، ولكنها تساهم مساهمة فعالة فى الحفاظ على مستوى الوحدات مرتفعاً .

وكذلك جهزت مراكز التطهير (الثابتة ، والمتنقلة) ، والتى سيأتى بحثها قريباً .

٢ – **وأما بالنسبة للأسلحة الكيميائية** ، فلقد كانت هناك إجراءات واقية وهى :

– **على المستوى الفردى** : وزعت الكمامات الواقية ، وهى تقدم حماية كاملة ضد جميع أنواع القصف الكيماوى للوجه وجهاز التنفس ، والجهاز الهضمى للإنسان .

وأما حماية باقى الجسم ، فتساهم فيها الملابس العادية ، وكذلك الأردية الواقية التى تكلمنا عنها قبل قليل .

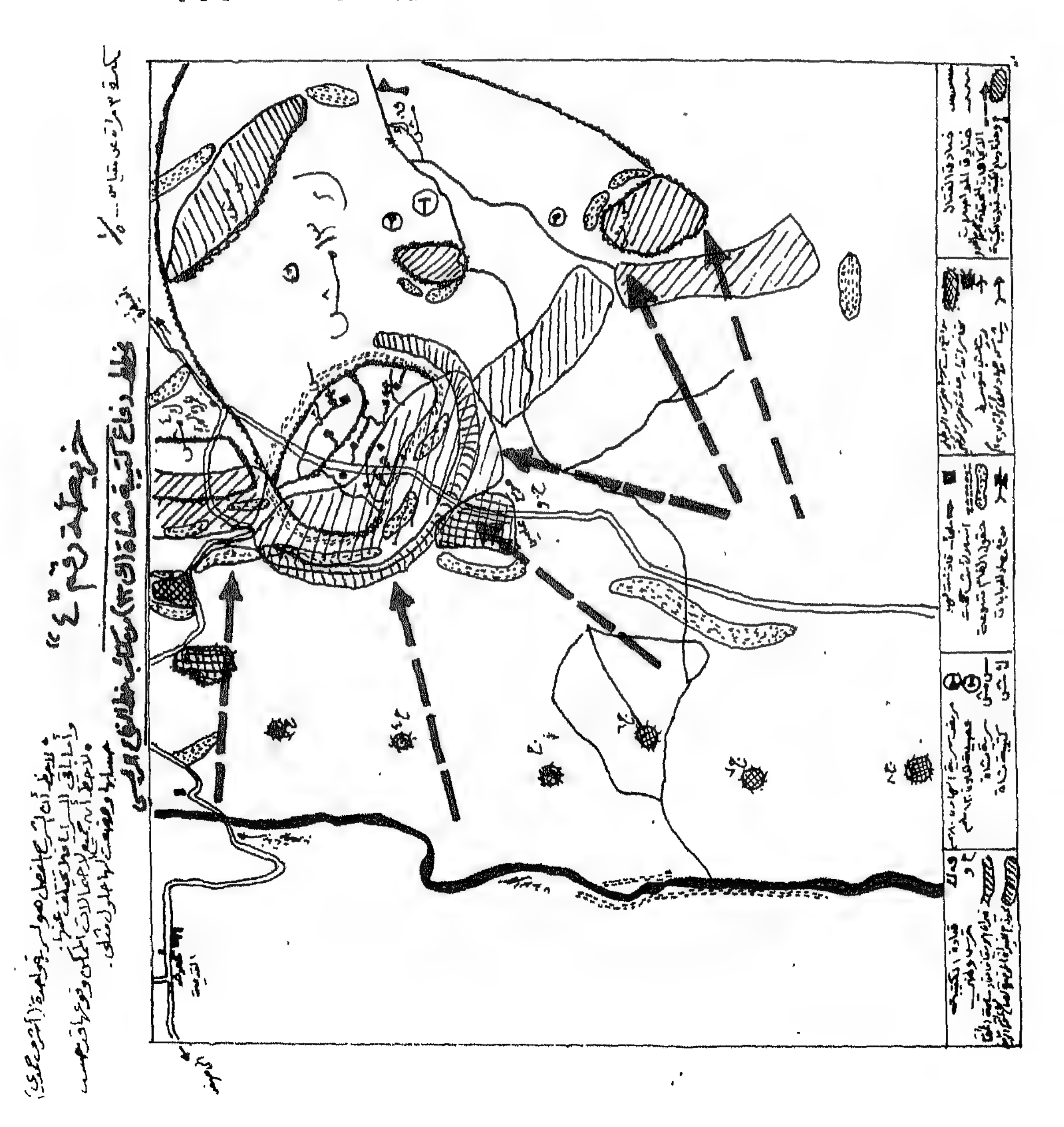
– **وأما على المستوى الجماعى للوحدات** ، فلقد كان مقرراً تزويد الملاجىء بمضخات خاصة تقوم بضخ الهواء الملوث المستقر فيها ، وإبدال الهواء المنقى به ، للإبقاء على حياة الأفراد وسلامتهم طيلة فترة لجوئهم إلى الملاجىء ، ولكن هذه المضخات لم تصل إلا إلى مستوى القيادات الكبيرة فقط (قيادات الألوية وقيادة الجبهة) ووضعت فى المقرات القتالية لتعمل عند الحاجة إليها .



خريطة رقم "٣"
مخطط دفاع القطاع الأوسط
أنظر نموذج تفاصيل دفاع الكتائب والسرايا في الخريطة رقم "٤"
الدردارة
القادرية
عامودية
بحيرة طبريا
الاصطلاحات
مواقع رئيسية للحرس الوطني (منطقة الحيطة)
مخافر انذار تابعة للحرس الوطني
مواقع رئيسية لدفاع كتائب المشاة
منطقة الدفاع المضاد للدبابات الرئيسية للواء
مدفعية اللواء في وضعية انتشارها للقتال
احتياط المدفعية م/د م
خط الفتح لاحتياط الم/د بنية الاشتراك في الهجمات المعاكسة
خط الفتح للدبابات بنية شن الهجمات المعاكسة
هجمات معاكسة مقررة لتنفذها احتياطات الكتائب الامامية
هجمات معاكسة مقررة لتنفذها احتياطات اللواء
ش. أ
الشؤون الادارية
سرية الاستطلاع
ك. د
كتيبة الدبابات
ك. مد
كتيبة للمدفعية
سرية الهاون ١٢٠ م م
ق. ل
قيادة اللواء
ك. مش
كتيبة مشاة
حدود اللواء
ح/م. د
احتياط ال م/د

أما وصولها إلى الملاجيء المنتشرة فى كل مكان ، والمخصصة للوحدات كلها ، فإن هذا لم يتم أبداً ، وبقيت الملاجيء محرومة منها .

هذا من جانب . وأما من الجانب الآخر ، فلقد كانت هناك إجراءات الوقاية والتطهير ، وهي إجراءات خاصة فنية ، تقوم بها الوحدات الكيميائية



أما وصولها إلى الملاجيء المنتشرة فى كل مكان ، والمخصصة للوحدات كلها ، فإن هذا لم يتم أبداً ، وبقيت الملاجيء محرومة منها .

هذا من جانب . وأما من الجانب الآخر ، فلقد كانت هناك إجراءات الوقاية والتطهير ، وهى إجراءات خاصة فنية ، تقوم بها الوحدات الكيميائية (صائل الكيمياء فى الألوية ، والسرية الكيميائية فى قيادة الجبهة) الخاصة بقوات الجبهة ، أو المعينة لديها — موقتاً — من قبل القيادة العامة .

هذه الإجراءات . سبق لها أن درست وأجريت لها تجارب وتمارين مختلفة ، وجهزت مقرات التطهير الثابتة فى القنيطرة وهيئت وحدات التطهير المتنقلة فى القطاعات ودخل كل هذا فى صلب خطة عمليات الجبهة . تحسباً لساعة حاسمة . يقوم العدو فيها بالضرب على القوات . بسلاح كيميائى ، أو بآخر .

٣ — وأما **الأسلحة الجرثومية** ، فلقد كان البحث حولها ضعيفاً . ولم يحسب لها أى حساب ، ولم تجاوز إجراءات الوقاية منها . مستوى الأعمال الوقائية الصحية العادية ، فى طول الجبهة وعرضها .

(ح) الاتصالات : فى الجبهة . وكما فى أى دفاع ثابت . اعتمد نظام الاتصالات السلكية ، ومددت على الأرض (أو على الأعمدة) ، خطوط الهاتف الميدانية منذ قيام الوضع الدفاعى ، ولم تفكر قيادة ما . طيلة ثلاثة عشر عاماً ، بإدخال التعديل أو التغيير على نظام الاتصالات هذا .

ولكن مع بداية عام ١٩٦٠ ، قررت القيادة العامة إجراء تعديلات هامة على وسائل الاتصال ، فقامت بتمديد خط جديد ، يصل بين القنيطرة ودمشق ، وبين القنيطرة وكل من مسعدة ، والعليقة ، والبطيحة ، والعال .

وقد مدد هذا الخط تحت إشراف خبراء أجانب . وعلى عمق ٥٠ سنتيمتراً ، وسمى « الخط الرباعى » .

أما استعمال اللاسلكى فقد كان ممنوعاً إلا فى حالات خاصة سنفصلها عما قريب .

١ ـ **الاتصال السلكي :** أقيم نظام الاتصال هذا معتمداً على الخطوط والمقاسم .

أولا : الخطوط : كان فى الجبهة نوعان من الخطوط :

أولها : الخطوط المرفوعة على أعمدة ، وقد كانت بنسبة قليلة فى منطقة الجبهة ، نظراً لصعوبة تغطية كل احتياج القوات بها بسبب صعوبة تمديدها فى الأماكن المتقدمة نحو العدو ، ولكلفتها الغالية واستهلاكها وقتاً كبيراً فى إقامتها ، وكذلك بسبب عدم إمكانية نقلها من مكان لآخر .

ولكنها مع ذلك تمتاز عن الأسلاك الميدانية الأرضية بعدم التعرض للتشويش أو السرقة من قبل العدو إلا بنسبة ضئيلة جداً وعدم التعرض للتلف السريع بسبب الأمطار والعوامل الأخرى .

وثانيهما : الخطوط الميدانية ، وهى تمدد على الأرض ـ هكذا على المكشوف ـ ، وهذه أسلاك تصلح لقتال متحرك ومن الخطأ استعمالها لدفاع ثابت كل تلك السنين .

من مميزات هذه الخطوط : سرعة تمديدها ، وإمكانية رفعها ونقلها من مكان لآخر بمنتهى السهولة .

ومن سيئاتها : تعرضها للتلف بفعل عوامل مختلفة (سيارات ، المواشى ، الاحتكاك بالصخور ، العوامل الجوية . .) ، وتعرضها للسرقة من قبل العدو .

ومن المشاكل التى كانت تعانيها القوات ، ما يلى :

ـ احتراق قسم من الأسلاك خلال حرق الأعشاب أو أى حريق آخر يشب فى المزروعات أو الأعشاب .

ـ تقطيع الأسلاك ، إما خلال الحراثة ، أو حركة الآليات المختلفة ، أو بيد عابث أو مخرب ، أو بيد سارق من أهل المنطقة ، يقطع منها احتياجه ويترك الوحدات خلفه محرومة من الاتصال ريثما يتم إعادة وصلها .

ـ التآكل بفعل المطر والرياح ثم الشمس ، مما يسبب أعطالا خفية

فى الأسلاك ، يصعب تحديد أماكنها بسهولة ، مما يضطر الوحدات إلى تسيير دوريات من الاختصاصيين لفحص الخطوط قطعة فأخرى ، حتى تتمكن من كشف العطل وإصلاحه .

— التداخل بين الخطوط ، بسبب خطأ فى وصلها بعد إصلاحها أو بسبب تآكل العازل وانكشاف السلك الناقل فى أجزاء متقاربة من الخطوط العائدة لأكثر من وحدة ، وهذا كان يسبب كثيراً من المشاكل والتشويش تضطر الوحدات إزاءها إلى فحص الخطوط ، وفصلها ثم إصلاحها .

ولقد كان الحل الوحيد للتخفيف من هذه المساوىء ، هو تسيير الدوريات المستمرة — إن على مستوى الكتائب أو الأعلى — ، للتفتيش على الخطوط ، وإصلاح ما فسد منها ، ولذلك كنا نرى يومياً ، الجند يروحون ويغدون على طول الخطوط ، ممسكين بها يتفحصونها ويجربونها بين مسافة وأخرى ، وكل منهم يحمل عدة الإصلاح بيمناه ، وبندقيته على كتفه أو بيسراه .

ثانياً : المقاسم :

المقاسم هى مراكز تحويل المخابرات (سنترال) ، وقد أقيمت كلها — تقريباً — على الأسلوب الميدانى القابل للحركة وحسب المعدلات الآتية :

— فى قيادة كل كتيبة مقسم أو اثنان ، لتأمين الاتصالات بين قيادة الكتيبة ووحداتها من جهة ، وبين قيادة الكتيبة وقيادة اللواء من جهة ثانية ، وبين قيادة الكتيبة والوحدات المجاورة من جهة ثالثة .

— فى قيادة كل لواء عدد من المقاسم — مجمعة أو موزعة — لتأمين الاتصالات مع الجهات الثلاث (الوحدات — القيادة الأعلى — الجوار) .

— فى قيادة الجبهة مجموعة كبيرة من المقاسم لتأمين هذه الاتصالات مع الجهات المختلفة .

وإضافة لذلك ، فلقد وجدت كثير من المواقع الدفاعية والمخافر ، التى

هى دون مستوى الكتيبة ، (سرية أو فصيلة منعزلة ؛ أو جماعة متقدمة) ... ، اقتضى وضعها القتالى وجود مقسم لديها ، ولذا فقد تم تأمين هذه المقاسم بنسبة كافية .

ولقد كانت خدمة هذه المقاسم تقع على عاتق وحدات الإشارة الداخلة فى صلب تشكيل الوحدات (فصيلة إشارة الكتيبة ، سرية إشارة اللواء...إلخ) وأما حين يوجد مقسم ما ، لدى وحدة صغيرة فرعية « سرية أو فصيلة مشاة . . » . فكانت خدمة هذه المقاسم تؤمن من قبل عناصر تعينها لهذه الغاية وحدات الإشارة التابعة للقيادات الأعلى ، أو يعين عليها أفراد من الوحدة الصغيرة نفسها بعد إلحاقهم بدورة محلية مدتها لا تتجاوز الأسبوع ، ليتم تعليمهم على هذه المقاسم ، ثم . . . يقومون بخدمتها .

وأما أماكن إقامة هذه المقاسم ، فغالباً ما تكون فى الملاجىء الحصينة ، قريباً من القادة — ما أمكن — وأحياناً ، اضطرت الوحدات لتأمين إقامة المقاسم فى الخيام ، أو البيوت العائدة للقرى النموذجية ، أو البيوت المستأجرة من المدنيين .

٢ — الاتصال اللاسلكى :

هذا النوع من الاتصال محرم فى منطقة الجولان طيلة فترة حياة الجيش فيها . ولم يسمح به إلا فى حالات نادرة جداً . وقد حددتها الأوامر الدائمة ، وكانت تصدر أوامر خاصة تسمح باستعمال الأجهزة اللاسلكية فى فترة خاصة وضمن شروط وأحوال تفصلها الأوامر .

هذه الحالات التى كان يسمح بها استخدام الاتصال اللاسلكى ، هى :

(أ) حالات القتال ، وبعد فقدان الاتصال السلكى ، وفقدان إمكانية إعادته خلال فترة لا تؤثر تأثيراً سيئاً فى سير القتال .

(ب) حالات التدريب سواء أكان تدريب العناصر الفنية أو تدريب الضباط ، أو تدريب القوات ، وكانت لذلك تصدر أوامر تفصيلية دقيقة ،

تحدد الوقت وأنواع الأجهزة الممكن استخدامها ، والرموز الواجب استعمالها خلال التخاطب لاسلكياً .

(ج) حالات صيانة الأجهزة وإصلاحها . وذلك أيضاً ضمن شروط وأوقات ورموز محددة مفصلا بالأوامر .

(د) حالات خاصة ، وضمن فترات معينة ، لتجريب الأجهزة ، والتأكد من صلاحها للعمل وقت الحاجة ، وذلك أيضاً ضمن منهاج خاص بذلك ، يحدد أنواع الأجهزة ، والرموز ، وفترات الاستخدام وغيرها من الأمور التي تفرض سرية استخدام الأجهزة .

٣ – وسائل أخرى فى تأمين الاتصال :

إضافة إلى الاتصال بوسيلتيه الرئيسيتين . كانت هناك وسائل أخرى تبادلية ، تم استخدامها فى حالات مختلفة ، وضمن برامج خاصة لبعضها ، وأهم هذه الوسائل :

(أ) الاتصال الشخصى : بين القادة لتبليغ أوامر أو الإبلاغ عن أمور ذات أهمية خاصة .

(ب) المراسلون : الذين يكلفون بنقل أمر ما ، – شفهياً أو كتابياً – لقائد ما ، من سلطة أعلى أو من سلطة أدنى ، وسواء أكانوا راجلين – أم راكبين .

(د) شهب الإشارة : وهى وسائل ضوئية نارية ، ذات رموز خاصة معروفة للقوات ، وموزعة على الوحدات حسب ملاك معين ، مع أوامر خاصة باستخدامها تحدد أوقات الاستخدام ، وحالاته ، وأنواع الشهب الخاصة بكل حالة منها .

(ط) الاستطلاع (١) :

اعتمدت فى منطقة الجبهة أعمال الاستطلاع ، بصورة محدودة . وبوسائل بدائية إذا قيست بطرق ووسائل الاستطلاع الحديثة المستخدمة فى جيوش العالم اليوم .

ولسنا بصدد التعرض للبحث فى تفصيلات عن طرق الاستطلاع ووسائله ، وإنما يهمنا عرض موجز لما اعتمد واستخدم وطبق فى الجبهة ، خلال فترة حياة القوات فيها وما أعد للاستخدام فى حالات الاشتباك .

١ ــ **الرصد** : كان من أكثر طرق الاستطلاع استعمالا وشيوعاً فى الجبهة . ويعتمد على إقامة مراصد يخدمها أفراد يراقبون العدو ليل نهار ، وينقلون مشاهداتهم إلى القيادات المسئولة فتقوم هى باستنتاج ما يهمها من هذه المعلومات وسنتكلم عنه مفصلا جداً فى كتابنا القادم إن شاء الله .

٢ ــ **رصد الضباط** : كان يتم فى حالات خاصة من أجل التأكد من مشاهدات ذات طابع خاص ، ويؤديه غالباً ، القائد المسئول ، يرافقه ضباط الاستطلاع ، وضباط من ذوى الاختصاص الذى تقع فى دائرته المشاهدات التى تستدعى مثل هذا الاستطلاع .

٣ ــ **الاستماع اللاسلكى** : ويتم بواسطة أجهزة خاصة يعمل عليها اختصاصيون ، للتفتيش عن شبكات العدو والاستماع إلى مخاطباتها ، ونقلها إلى المراجع المتخصصة فى شعبة المخابرات ، وقد أقيمت ثلاثة مراكز ، فى كل قطاع واحد منها ، يضم مجموعة من أجهزة الاتصالات ذات الحساسية العالية ، ويقوم على خدمتها عدد من ضباط الصف المدربين تدريباً عالياً ويتقنون استعمال الأجهزة كما يتقنون اللغة العبرية ، وترفع التقارير يومياً إلى القيادة العامة عن نشاط شبكات العدو وتبادل البرقيات فيما بينها .

---

(١) الاستطلاع : تعبير استخدم فى الجيش السورى ، ليدل على جميع الأعمال التى تقوم بها القوات فى الميدان ، من أجل الحصول على المعلومات الكافية عن أوضاع العدو وقواته ونشاطاته ونواياه . . . إلخ .

ولقد ساهمت هذه الأجهزة إلى حد كبير فى الحصول على معلومات عن العدو ، وكان من أبرز ما حققته من فائدة ، ما التقطته من برقيات متبادلة بين وحدات العـدو فى الاشتباكات ٣ ـ ١٢ ـ ١٩٥٨(١) ، والتوافيق ١٩٦٠ ، وتل النيرب ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٦٢ .

ولا يخفى أن كثيراً من البرقيات التى كانت تتبادلها أجهزة العدو — خصوصاً أوقات الهدوء — كانت للتضليل والتشويش أو بغاية تجريب الأجهزة ، أو تدريب وحداته وعناصره . وقد كان بإمكان سدنة الأجهزة فى مراكز الاتصالات — إلى حد كبير — أن يحددوا نوعية البرقيات وأهميتها وما إذا كانت حقيقة أو للتضليل .

٤ ــ الاستطلاع بالدوريات : وقد مارس الجيش هذا النوع من العمل على نطاق محدود جداً ، وذلك تمشياً مع سياسة الدولة ، التى سادت كل تلك السنوات ، والتى انعدمت فيها لدى المسئولين — عسكريين وسياسيين — فكرة الهجوم ... بل وحتى فكرة الدفاع المتحرك الفعال .

ومن أبرز أعمال الاستطلاع بالدوريات ، التى نفذت :

(أ) سلسلة طويلة من أعمال الدوريات ، نفذها فوج المغاوير عام ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثى على مصر ، وبعده بفترة وجيزة ، وقد استغرق تنفيذها ما يقارب شهراً ونصف الشهر . وذلك من أجل التعرف على أهداف حددت لهذا الفوج داخل الأرض المحتلة ، وتمهيداً لمقاتلتها — حين تصدر الأوامر

---

(١) فى ليل ٤ — ٥ / ١٢ ـ ١٩٥٨ تمكنت هذه الأجهزة من التقاط اتصال لاسلكى واضح مكشوف قامت به أجهزة للعدو تبين بعد تدقيقها أن العدو أرسل فى تلك الليلة وحدة إغارة بقوة فصيلة مشاة معززة لضرب مخفر الدريجات والعودة وذلك للانتقام الفورى والثأر لخسائره فى اشتباك ٣ ـ ١٢ ـ ١٩٥٨ . وقد تمكنت قواتنا فى الدريجات وجليبينة من احباط هذه المحاولة قبل وصولها إلى هدفها ، وجرت محاولة لتطويق القوة المغيرة ، ولكن قائدها كشف الأمر فاتصل بقيادته ، فأمرته هذه بالانسحاب دون تأدية المهمة . وقد فتحت نيران الكمائن عليها وأجبرتها على الجرى فى طريق العودة مخلفة وراءها جهاز اللاسلكى وبعض مخازن الذخيرة .

بذلك – ولكن الأمر اقتصر على أعمال الاستطلاع ، وعاد الفوج بعد مدة وجيزة إلى معسكراته ، بعد انتهاء حالة التوتر .

(ب) سلسلة طويلة جداً ، ومستمرة من أعمال الدوريات الخاصة ، التى مارسها الفدائيون من أبناء فلسطين ، والتى كانت تنفذ بدقة ، وتحت إشراف شعبة المخابرات فى القيادة العامة ، والفروع التابعة لها فى الجبهة .

(ج) أعمال استطلاعية محدودة جداً ، وخاصة ، وبدون علم القيادات ، أو إذن منها ، نفذها عدد ضئيل من الضباط ، بغية الحصول على معلومات أوفى وأدق ، عن بعض أعمال العدو فى الطرف المقابل لقواتنا ، وكان من أبرز ما تم من هذا النوع ، هو دخول بعض الضباط إلى الأرض التى تضم المرحلة الأولى من مشروع تحويل نهر الأردن ، بغية استكمال دراسة هذا المشروع بصورة دقيقة .

٥ – **الاستطلاع الجوى :** وكثيراً ما كان يكلف سلاح الطيران بطلعات استطلاعية فوق الأرض المحتلة ، ومن هذه الطلعات ماكان لصالح قوات الجبهة بصورة مباشرة ، ومن أبرز الحالات التى نفذت فيها مثل هذه الطلعات – لصالح الجبهة – هى الاستطلاعات الجوية التى نفذت عقب معركة التوافيق (عام ١٩٦٠) ، وعقب معركة تل النيرب (عام ١٩٦١) ، وذلك من أجل الكشف عن طبيعة التحركات الضخمة التى مارسها العدو خلال هاتين الفترتين ، وغيرهما كثير .

٦ – **التصوير الأرضى :** استعمل هذا النوع من الاستطلاع فى حدود ضيقة ، وحين كان الأمر يقضى بمراقبة دقيقة ومستمرة لتغيرات الأرض فى الطرف المقابل لقواتنا ، وذلك بغية مقارنة سلسلة من الصور لمنطقة واحدة من الأرض ، فتظهر عندها جلياً أية تغييرات قد طرأت ، وبدراستها مع مصادر المعلومات الأخرى ، يمكن الخروج بمعلومات صحيحة ما أمكن عن طبيعة الأعمال التى يقوم بها العدو فى المنطقة المقصودة بمثل هذه الدراسة .

وكذلك استخدم التصوير الأرضي لتقديم صور إيضاحية للقيادة عن أنواع من الزوارق وجدت في بحيرة طبريا ، وعن بعض الأعمال الإنشائية التي استأثرت باهتمام القيادة ، مثل الأعمال التي نفذت بين جسر بنات يعقوب وجسر بستان الحوري ، وكذلك قناة التحويل (المرحلة الأولى من تحويل نهر الأردن) ، وكذلك حفريات العدو جنوب تل المطلة على حدود الأرض المجردة (سيرد تفصيل واف لهذه الأمور في كتابنا القادم) .

٧ ــ **التصوير الجوي** : ولم يستخدم هذا النوع من الأعمال الاستطلاعية إلا لصالح القيادة العامة ، وأحياناً قليلة جداً نفذ لصالح قوات الجبهة ، وقد نفذ منها ما هو ليلي وما هو نهاري ، ومن أهم الطلعات التصويرية التي نفذها الطيران لصالح الجبهة ، كانت :

ــ طلعات ليلية للتصوير ، فوق منطقة صفد ــ الجاعونة ــ الخالصة . وذلك في شباط عام ١٩٦٠ ، عقب معركة التوافيق .

ــ طلعات نهارية للتصوير . فوق منطقة كفر شامير ، للتأكد من صحة الخبر الذي أدلى به أحد أعضاء لجنة الرقابة الدولية ، عن وجود عدد كبير من الدبابات في تلك المنطقة وكان ذلك في عام ١٩٦٢ .

هذه الأنواع من طرق الاستطلاع ، نفذت قبل الحرب ، واعتمدت مع طرق أخرى أهم وأكثر ، في خطة الاستطلاع ، وهي عبارة عن أمور عسكرية معقدة ليس لنا أن نفصل فيها لأنها من الأمور التي تهم العسكريين أكثر مما تهم القارىء الآخر .

وأخيراً : لقد كانت الصفحات السابقة موجزاً لما بذل من جهود ووقت وأموال ، وتصويراً سريعاً لضخامة الإمكانات ــ البشرية والمادية الأخرى ــ التي حشدت في منطقة الجولان ، تحسباً لساعة خطر ، كالتي جاءت يوم حزيران العار .

ولعل الذي شرحناه ، ليس إلا جزءاً من جهد أكبر ، استهلك الكثير جداً من الوقت ، والجهد والمال ، استعداداً لمثل هذه الساعة .

هذا الجهد ، هو خطة عمليات الجبهة . ولقد استعرضت فى صفحات سابقة ، بصورة موجزة جداً ، وواضحة ، لمحات مما ورد فى خطة العمليات هذه لأن من غير الممكن كشف ذلك كله للقارىء ، والحرية بعد ذلك للعقل المتبصر ، لينطلق من المستوى الذى تمكنا من شرحه ، فيتصور ضخامة الجهد الذى بذل حتى أصبحت الجبهة – ومن ورائها الجيش – ، جاهزة لتأدية واجبها ، وسداد الدين الذى عليها ، فتحمى البلاد من عدو غاز طماع ، وترد عار النكبة إلى جباه الذين سعوا إليه وساهموا فى صنعه ، وتحطم أسطورة الجيش الإسرائيلى المتغطرس .

ولكى نسهم أكثر فى تسهيل مهمة المخلصين الذين يريدون الوقوف على الأبعاد الحقيقية للجريمة . . . سأضع لهم على الطريق بعض الصوى ، علها تعينهم فى الوصول إلى فسحة التصور الحقيقى ، لفداحة الخيانة التى ارتكبت بحق هذه الأمة .

فخطة عمليات الجبهة ، هذه التى نتحدث عنها ، لم تكن مجموعة من الأوامر والمخططات ، ضمها مجلد أو أكثر . . .

إن هذه الوثائق . . . هى فعلا جهد ضخم جبار ، استغرق إعداده وقتاً طويلا . . . واستهلك الكثير من الجهد والمال . . . حتى أصبحت هذه الوثائق جاهزة .

ولكن الأضخم والأكبر بكثير . . هو :

(أ) ما يعتبر من مقدمات لتحقيق هذه الخطة من : تدريب للضباط بمختلف اختصاصاتهم – استقدام الخبراء الأجانب – استطلاعات الأرض حتى غطت كل شبر لدراسة إمكاناته وفاعليته – الدراسة النظرية للفرضيات القتالية المتعددة ، والخروج بالأكثر احتمالا للوقوع ، والتخطيط لقتال ناجح يتناسب معها – الجهود الجبارة المبذولة من قبل كافة الأجهزة (السياسية والعسكرية) للحصول على أدق المعلومات عن العدو ، ثم التعرف على نواياه ، والتحسب لكل نية من هذه النوايا . . . إلخ .

(ب) ما يعتبر نتائج طبيعية لهذه الخطة من : — إجراء التعديلات فى أوضاع التمركز (تقوية أو تخفيفاً ، إضافة أو إلغاء) ، — تدريب القوات على فرضيات الخطة والحلول التابعة لها ليكون القتال (عند وقوعه) أمراً مألوفاً لدى القوات — وما يلحق بذلك من تفصيلات تخص الرجال والتسليح والعتاد ، ووسائل حفظ الوثائق و . . . إلخ .

هذه الجهود التى قد لا يتمكن عقل ما ، من حصرها جميعاً فى دائرة تصوره ، والتى حاولت أن ألقى عليها الأضواء من زوايا متعددة . . . فى ما مضى من صفحات . . . قد تكون قصرت فى مهمة التوضيح هذه . . . فلعل المخططات المتواضعة المرافقة ، تسهم فى رسم الصورة الحقيقية الواضحة . . . فتبرز بعد ذلك لكل مخلص ، الأبعاد الواضحة والعمق الحقيقى للخيانة التى أقدم عليها أهل السلطة المستولون فى حزب البعث فى سوريا . . . إذ أقدموا على إلغاء ذلك كله . وتعطيله عن تحقيق فعاليته التى جهز لها خلال عشرين عاماً . . . وقدموا الجبهة الحصينة ، هدية سهلة لينة لقوات العدو . . . دونما أى جهد بذلته سوى ما اقتضته ضرورة التمثيل وغير ما لاقت من الضراوة بسبب المقاومات الفردية التى مارسها بعض القادة (غير البعثيين) وبعض أفراد الشعب حين تجاهلوا أوامر قيادة البعث التى طالبتهم بالانسحاب ، ثم عززت مطالبتها تلك ، ببيانها الفاجر الذى أذاعته معلنة سقوط القنيطرة ، قبل سقوطها بسبع عشرة ساعة على الأقل .

ولكن . . كيف حدث ذاك ؟ ؟

• • •

القسم الثاني

المؤامرة يوم التنفيذ

الفصل الأول

الوجه الكالح

« . . . إنه لا بد على الأقل من اتخاذ حد أدنى من الإجراءات الكفيلة بتنفيذ ضربة تأديبية لإسرائيل تردها إلى صوابها . . .

إن مثل هذه الإجراءات ستجعل إسرائيل تركع ذليلة مدحورة ، وتعيش جواً من الرعب والخوف يمنعها من أن تفكر ثانية فى العدوان . . .

إن الوقت قد حان لخوض معركة تحرير فلسطين ، وإن القوات السورية المسلحة أصبحت جاهزة ومستعدة ليس فقط لرد العدوان الإسرائيلى ، وإنما للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود الصهيونى من الوطن العربى . . .

إننا أخذنا بعين الاعتبار تدخل الأسطول الأمريكى السادس . . .

إن معرفتى لإمكانياتنا تجعلنى أؤكد أن أية عملية يقوم بها العدو هى مغامرة فاشلة . وهناك إجماع فى الجيش السورى الذى طال استعداده ويده على الزناد ، على المطالبة بالتعجيل فى المعركة ، ونحن الآن فى انتظار إشارة من القيادة السياسية . . . »

من تصريح رسمى للواء حافظ الأسد وزير الدفاع السورى نشرته جريدة « الثورة » شبه الرسمية فى عددها الصادر فى ٢٠ أيار سنة ١٩٦٧ .

- ١ -

سير الحوادث

إن الذى حصل . . يكاد يكون كالخيال . . فالذين يتصورون أن قتالا ناجحاً قد نفذ ، وأن معركة نموذجية قد أديرت . . . فالحقائق التالية ستخيب ظنونهم . . . وتريهم أن مجال دراساتهم التاريخية العسكرية ، ليس هنا . . . فلم يدر قتال صحيح على أى مستوى كان .

ولكن الذى حصل . . . هو مجال جيد لدارسى تاريخ المؤامرات والباحثين عن أسباب انهزام الأمم وانهيارها ، ويشكل معيناً قد لا ينضب ، لكاتبى قصص التجسس ، والمولعين بالكشف عن خفايا أعمال الخيانة الكبرى فى تاريخ الشعوب .

وما لنا وللتعليق الطويل – ها هى الأحداث كما حصلت :

(أ) منذ الساعات الأولى لبدء إسرائيل القتال . . . أخذت القوات السورية وضع الترقب دونما تحريك لساكن على الجبهة . . بل اكتفت بالبلاغات (كاذبها أو صادقها . . . الله يعلم) ودامت الحال هكذا طيلة يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ .

(ب) ومنذ صباح ٦ حزيران قامت المدفعية السورية بقصف مركز منهك ، استمر أيام ٦ ، ٧ ، ٨ حزيران ، وأنزلت خلال هذا القصف آلاف الأطنان من القذائف من كل عيار وكل نوع . . . حتى بدا للناظرين أن شريط المستعمرات المقابل للجبهة السورية قد غطيت أرضه بالقنابل . . . لكل ذراع قنبلة ، وقد شوهدت الحرائق تتصاعد مدة خمسة أيام .

(ج) تم حشد ألوية الاحتياط للقيام بالهجوم من قطاع – بانياس – البطيحة – وذلك على الشكل التالى :

١ ــ اللواء ١٢٣ احتياط ، أعطي أوامر الهجوم ، وحددت له منطقة تجمع فى منطقة عين الحمراء ، وعينت له قاعدة الانطلاق ، على الخط : (جليبينة ــ الدريجات الجمرك ــ أشرف حمدى) وبذلك بلغ عرض جبهة هجوم هذا اللواء ٥ ــ ٦ كيلومترات .

٢ ــ اللواء ٨٠ احتياط ، تم حشده فى منطقة تجمع فى (وادى حواء قرب الفاخورة ــ السنابر) ، وحددت له قاعدة الانطلاق على الخط : (علمين ــ تل المشنوق ــ مخافر المخيمات حتى الدكة ــ تل الأعور) وبذلك بلغ عرض جبهة هجوم اللواء (٩ ــ ١٠ كم) . أى أن هذا اللواء كلف الهجوم على جبهة واسعة . وبذلك يكون قد حدد فى أوامر الهجوم هذه أن قطاع الخرق الرئيسى هو قطاع (جليبينة ــ أشرف حمدى) ، ويقابله فى الأرض المحتلة قطاع بستان الخورى ــ طوبا . وأن محور الهجوم الرئيسى هو محور : قنيطرة ، عليقة ، جسربنات يعقوب ــ روشبينا ــ صفد .

٣ ــ هذان اللواءن يشكلان النسق الأول لمجموعة ألوية ، يفترض فيها أن تضم لواء ثالثاً من المشاة مع لواء مدرع ، ولواء مدفعية وكتيبة هندسة ، وكتيبة إشارة وأكثر من كتيبة مدفعية م ـ ط وكتيبة مدفعية م ـ د مع باقى الوحدات المساعدة كسرايا الكيمياء وسرايا الشرطة العسكرية ، وكتائب النقل والشئون الإدارية ... إلخ .

هذه الوحدات والقطعات الأخرى ، لم يعرف حتى الآن إن كانت قد حشدت ضمن نطاق مجموعة الألوية ــ المفترضة هذه ــ أم لا ... وأن كل ما استطعنا الوقوف عليه ، هو حشد لواءى المشاة الاحتياط المذكورين فى المناطق التى ذكرت وأعطيت واجب اليوم ، احتلال مدينة صفد(١) .

---

(١) واجب اليوم : تعبير قتالى مستخدم فى الجيش السورى ، ويقصد به الواجب القتالى الذى يعطى لوحدة ما ، لتنفيذه خلال يوم قتالى واحد ، ويبلغ طوال اليوم القتالى عشر ساعات قتال . وللإيضاح مثلا ، يكون واجب اليوم لمجموعة ألوية فى الهجوم ، احتلال المنطقة الدفاعية الثانية فى دفاع العدو ، والتى يبلغ فيها العمق ما بين خط الدفاع الرئيسى ، ونهاية هذه المنطقة ، حوالى ٢٥ كيلو متراً .

(د) قامت وحدات الهندسة ليل ٥ – ٦ حزيران بتركيب الجسور العسكرية فوق نهر الأردن وعلى المخاضات بالذات ، وكان عملا – من الناحية الفنية البحتة – ممتازاً ، وقد كانت أبرز المخاضات التي ركبت الجسور عليها : (مخاضة قصر عطرة – مخاضة الغوراني – مخاضة السمردل – مخاضة الدكة – مخاضة الشمالنة ... إلخ) .

(هـ) تم احتلال كتائب الهجوم لقاعدة الانطلاق ، في الساعة السادسة(١) من صباح الثلاثاء ٦ حزيران ، مما أدى إلى أن يقوم الطيران المعادي بالقصف المنهك على هذه القوات – وهي في العراء – مدة أربع عشرة ساعة . فكان من نتائج ذلك القصف فشل الهجوم على صفد قبل بدئه ، وتحولت مهمة هذه القوات إلى الدفاع ، بعد إلغاء خطة الهجوم الكاذبة .

(و) صباح الثلاثاء ٦ حزيران ، نفذت مجموعة – تركيبة (تشمل سريتي حرس وطني وسرية دبابات ، لـ « فصيلة » التصوير للتليفزيون ، هجوماً تمثيلياً ، انطلق من (هضبة المغاوير – تل العزيزيات) ، واستهدف مستعمرة شرياشوف ، وحين وصلت هذه المجموعة – التركيبة – إلى الهدف السخيف ، وجدته قاعاً صفصفاً ، وقد أخلي من السكان ، وأحرق تماماً بسبب القصف المدفعي الهائل – مع باقي المستعمرات .

(ز) بغية « تسهيل مهمة ألوية (الهجوم) » أعطيت الأوامر للقوات المتمركزة سابقاً في المواقع التي شملتها قاعدة الانطلاق ، بالانسحاب على الشكل التالي :

١ – القوات الموجودة في منطقة السنابر ، والقادرية ، أمرت بالانسحاب (عرضانياً) (٢) إلى واسط .

---

(١) المفروض أن يتم احتلال قاعدة الانطلاق ليلا ، وتعطى أوامر الهجوم النهائية عليها ، وقبل انبثاق أول ضوء ، تبدأ نيران التمهيد ، ثم ينفذ الهجوم مع أول ضوء ، وذلك تفادياً للقصف المعادي ، الذي يشكل خطراً كبيراً على قوات الهجوم ، وهي في مرحلة احتلال قواعد انطلاقها .

(٢) عرضانياً : هو الخط الموازي لجبهة المواجهة مع العدو .

٢ — القوات المتمركزة فى جلبيينة وتل ٦٢ . والبطيحة قوات حرس وطني (، أمرت بالانسحاب — طولانياً —(١)لتتجمع فى نقاط تجمع خلفية بعيداً عن مجال تحرك الألوية المهاجمة .

هذان التحركان ، اللذان نفذا أصلا لتسهيل حركة ومهمة القوات المكلفة « تنفيذ الهجوم » شكلا أكبر عقبة فى وجه هذه القوات ، فاختلط الحابل بالنابل ، وعجت الطرق بالآليات والقوات والأسلحة المقطورة ، فكان ذلك كله هدفاً (لقطة) ، للطيران الإسرائيلى ، فأخذ يتسلى بضرب هذه القوات ، بالرشاشات ، والقنابل وصواريخ النابالم ، ... وكانت كارثة حطمت « الهجوم » ، أفرغت المواقع الدفاعية من حماتها .. وتركت الأرض عراء أمام العدو ... تغطيها الجثث وهياكل الآليات ، وحطام الأسلحة ، بدلا من أن تغطيها النيران ، لتدفع عنها شره ، وترده خائباً يجر الخزى والانكسار .

(ح) عملت المدفعية المضادة للطائرات — بعياراتها المختلفة — عملا رائعاً ، ونموذجيا ، وساهمت إلى حد كبير فى إسقاط أو إعطاب عدد من طائرات العدو ، والتخفيف من وطأتها على القوات الصديقة .

(ط) الطيران السورى — لم يظهر فى سماء المعركة أبداً . وكل ما قام به هو طلعات متفرقة نفذتها مجموعات تتألف كل منها من أربع إلى ست طائرات اتجهت نحو فلسطين المحتلة يوم ٥ حزيران ، وأذاعت إذاعة دمشق ، أنها قامت بضرب أهداف فى داخل الأرض المحتلة .

وبعد هذا ، ... وطيلة أيام الحرب المسرحية ، اختفى اسم الطيران ، ولم يظهر إلا بعد انتهاء الحرب .

(ى) الانسحاب — أو الهروب — الكبير :

---

(١) طولانياً : هو الخط العمودى على خط المواجهة مع العدو .

منذ مساء الخميس ٨ حزيران ، بدأت الشائعات تسرى سريان النار فى الهشيم ، عن أوامر صدرت بالانسحاب .

وبدلا من أن يملك القادة أمرهم ، ويضبطوا أعصابهم ، ويبقوا فى أماكنهم ينفذون واجبهم — الذى على أمل أن يؤدوه احتمل الشعب إساءاتهم التى لا تحصى — ، بدأ قسم من الضباط — وحتى القادة — ، الانسحاب ، ولكى تشيع الجريمة ، ساهموا بنشر تلك الشائعات عن أوامر صدرت من القيادة العامة ، تنص على الانسحاب — كيفياً — .

ويا لهول ذاك الذى حدث ...

١ — فقائد الجيش ... (اللواء) أحمد سويدانى ... انهزم عن طريق (نوى) إلى دمشق تاركاً وحدات الجبهة ووحدات احتياط الجيش دون قيادة . واقعة فى حيرة من أمرها ، وقادتها لا يدرون ماذا يفعلون .

٢ — وقائد الجبهة .. العقيد أ . ح أحمد المير (١) .. غادر الجبهة فاراً على

---

(١) فى هذه المناسبة ، يقودنا الواجب إلى استطراد بسيط نستوقف القارىء خلاله برهة لنذكره بأمور هامة سبق أن جرت فى تاريخ الجيش والبلاد . . . لتلقى ضوءاً ساطعاً يكشف جوانب خطيرة من البلوى التى نزلت بهذه الأمة .

فلو عدنا إلى عام ١٩٦٣ — أى قبل النكبة والعار الأكبر بأربع سنوات تقريباً — ، وعلى وجه التقريب . . فى شهر تشرين الأول من العام نفسه ، صرح العقيد أحمد المير (وكان يومذاك برتبة مقدم) ، لإحدى الصحف اليسارية قائلا : « لقد اشتاقت سلاسل الدبابات للنزول إلى دمشق ، لسحق المؤامرات » وجاء هذا التصريح ، بعد ما لا يزيد عن أربعة أشهر على حادث ١٨ تموز الذى نفذه الناصريون بزعامة جاسم علوان ، وهاجموا يومها الأركان العامة ودار الإذاعة وبعض المعسكرات الهامة ، ثم فشلت المحاولة هذه ، وأعقبتها موجة من أعمال الإعدام والإرهاب ، والإعتقالات . . . وكان للواء السبعين المدرع ، دور كبير جداً فى إحباط تلك المحاولة ، حيث نزلت الدبابات — فعلا — بسلاسلها ، لتنشر الرعب والإرهاب بحجة قمع المؤامرات . وحين صرح العقيد المذكور بذاك التصريح ، كان قائداً لذلك اللواء ، الذى حوله الحزب الحاكم فى سورية ، من وحدة ضاربة ضد أعداء البلاد ، إلى وحدة ضاربة ضد الشعب كله .

وعقب حرب حزيران العار ، عين العقيد هذا عضواً فى القيادة القومية لحزب البعث ، مكافأة له على دوره فى (. . خدمة الحزب والثورة) .

، فى عام ١٩٦٥ ، وعقب موجة من قرارات التأميم ، أصدرتها السلطة فى سوريا ، وشملت =

ظهر حمار لأنه لم يجرؤ على الفرار بواسطة آلية عسكرية ، فالطيران المعادى كان يقضى على كل آلية يراها مهما صغر شأنها .. ولكن الحمار عجز عن متابعة رحلة الهروب فتخلى عنه أحمد المير وأكمل الرحلة إلى دمشق على قدميه فلم يصلها إلا وقد تورمت قدماه وخارت قواه ، وألقى بنفسه بين يدى أول صاحب مروءة لينقذه من حاله التى هو عليها .. وكان فى حالة الزراية يثير الضحك حقاً .

٣ ــ اتصل عدد من الضباط بقائد الجبهة قبل فراره فرفض التصرف ، وقال لهم بالحرف الواحد : « أنا لست قائد جبهة ، اتصلوا بوزير الدفاع » فأقيم الاتصال مع وزير الدفاع ، بواسطة الأجهزة اللاسلكية ، وجرت الاتصالات بين (قمر ١ وقمر ٢)(١) فأجاب وزير الدفاع : « أنه قد أخذ علماً بالوضع ، وأنه قد اتخذ الإجراءات اللازمة . » ؟

٤ ــ لجأ بعض الضباط من وحدات اللواء (٨٠) احتياط إلى قيادة موقع القنيطرة بعد فقدانهم الاتصال بقائد اللواء وأى مسئول فى قيادة اللواء . . . فوجدوا المقدم (وجيه بدر) ماكثاً فى القنيطرة يترقب الأخبار ، ولما حاولوا أن يفهموا منه صورة حقيقية عن الوضع ، تبين أنه لا يفقه شيئاً ، وحاول الجميع الاتصال بقيادة الجبهة ، فوجدوها خلواً من أى مسئول . . عندها

=عدداً من المؤسسات الصناعية والتجارية ، قام (اللواء) أحمد سويدانى ــ وكان يومذاك رئيساً لشعبة المخابرات ، وبرتبة مقدم ــ ، قام بتدبير مؤامرة جر إليها الشعب كله وفى مقدمته طبقة التجار وقسم من علماء المسلمين ، وحدثت يومها مجزرة الجامع الأموى فى دمشق ، وأعقبتها موجة رهيبة من الاعتقالات وأحكام الإعدام ، وقام السويدانى نفسه ، بالإشراف على أعمال التعذيب والإضطهاد وإهانة علماء وفضلاء المجتمع . . . فى ظل رئاسة وتشجيع الفريق أمين الحافظ رئيس الدولة يومذاك .

هذان موقفان بارزان ، لقائدين ، هما أكبر قائدين مباشرين يجب أن يسألا ، عن الذى حدث فى الجبهة (الجولان) خلال حرب حزيران من عام ١٩٦٧ ــ وقفاهما ضد الشعب الأعزل المغلوب على أمره . . . أردنا أن نذكر بهما . . ليكونا نموذجين واضحين لمواقف كل رجال السلطة البعثيين وأتباعهم . . . ضد الشعب كله . . . ولإجراء المقارنة بينها وبين مواقف الأشخاص أنفسهم ، ضد عدو البلاد الأخطر والأكبر ، وفى هذا ما يغنى عن كثير من البيان .

(١) نموذجان للرموز التى يتم بها التخاطب عبر الأجهزة اللاسلكية ، وهما يرمزان إلى وزير الدفاع ، وقيادة الجبهة . وهذه الرموز اصطلاحية يتم تغييرها بين آونة وأخرى . . .

دب الفزع فى قلوب عدد كبير منهم ، واتخذوا وجهتهم نحو دمشق ، طالبين النجاة بأرواحهم ، تاركين جنودهم كتلا لحمية تتدافع على الطرقات ، يدوس القوى منها على الضعيف ، ... وأنين الجرحى والمشوهين ، يملأ سهول القنيطرة ، وترجع أصداءه سفوح التلال المتباعدة المتناثرة هنا وهناك ، لا يشوه هذا الأصداء ، إلا أزيز الطائرات المعادية .. وأصوات المكبرات المنبعثة من طائرات الهليكوبتر .. ينادى بواسطتها الإسرائيليون جنودنا الفارين .. أن ألقوا سلاحكم ، تنجوا بأرواحكم . . فيستجيب الفارون للنداء ويتخلصون من هذا السلاح ، الذى أصبح اليوم مبعث تهديد لهم بالموت .. بدل أن يكون مستقراً للطمأنينة . ومبعثاً للثقة بالنفس ، وعاملا مشجعاً على الوقوف برجولة فى وجه العدو الغازى .

٥ – عند فقدان كل الاتصالات ، وانفراط عقد السيطرة القيادية الذى كان ينظم الوحدات كلها ، أخذ كل من القادة الصغار يتصرف حسب هواه . أو حسب بداهته .

فالكثيرون هربوا ... نعم هربوا .. وأعطوا الأوامر لجنودهم بالهروب .. والقلائل جداً ، – وهم من غير البعثيين – ، صمدوا .. وقاتلوا .. وظهرت بطولات فردية ، سنتكلم عنها بعد قليل ..

المهم ... أن الهرب من القتال ، وتولية الدبر للعدو . قد بدأ منذ مساء الخميس ٨ حزيران .. وبدأ يستشرى ويتسع ويمتد . حتى بلغ ذروة تفاقمه يوم السبت ، ١٠ حزيران . بعد إذاعة البيان الفاجر ، الذى أعلن سقوط القنيطرة ، ... ولم يك جند العدو قد رأوها بأعينهم بعد – بله أن تكون أقدامهم وطئت أرضها .

ومنذ صباح الجمعة : وحتى صباح الأحد - ١١ - حزيران ، شهدت أرض الجولان ، وما حولها من أراض وطرقات مؤدية إلى دمشق أو إلى الأراضى اللبنانية ، أو إلى منطقة حوران ، أو إلى منطقة أربد .. شهدت

هذه المناطق ، منظراً ، لو أتيح لعدسة تصوير أو ريشة رسام أن تحيط به كله مرة واحدة ، لكانت لقطة من أندر ما عرف فى تاريخ التصوير أو الرسم ، ولبقيت صورة حية ناطقة شاهدة على ما أصاب هذه الأمة من عار وخزى ... ولكانت أقوى حجة أمام محكمة التاريخ ، تقودها إلى إدانة الحزب بالجريمة الكبرى ، التى لم يعرف لها تاريخ المنطقة مثيلا فى العمق والدقة والإحكام ... والفجور .

هذه الصورة المحزنة .. التى أقل ما يمكن أن يقال عنها ، أنها تقطع نياط القلوب ، وتجرح كل كريم من هذه الأمة بجرح ينز دماً وألماً وحسرة ... كيف يمكن للوصف أن يحيط بها ، حتى يعطى للقارئ وللأجيال المقبلة .. فكرة واضحة عن الذى حدث ... وعن درجة الانهيار التى بلغتها هذه الأمة .. فى أسوأ طور من أطوار تخلفها وانحطاطها ؟

إننا لو حاولنا أن نتصور الطرق المعبدة (المفروشة بالأسفلت) ، لرأيناها تغص بالحفر التى أحدثتها قنابل الطائرات المعادية .. وقد نقشت أمامها أو خلفها وعلى جوانبها ، بقع صغيرة من البياض الموسخ أحدثتها رشات الرشاشات المنبعثة من طائرات العدو ... خلال انقضاضاتها المتتابعة المتكاثرة ، على الأرتال والآليات الفرادى . .

إن تلك الطرق ... قد أصبحت تشبه عقداً مشوهاً طويلا متلوياً ، تتابعت حباته بغير نظام ، وهى آليات محروقة ، أو حفر مسودة بتأثير النابالم أو عربات انقلبت خلال محاولتها الفرار من الطائرات المنقضة .. والجثث المحترقة قد تناثرت هنا وهناك .. والأسلحة تلمع فى أشعة الشمس بعد أن أفلتت من أيدى حملتها وهم يهربون ، أو بعد مقتلهم أو جرحهم ... والإطارات قد تناثرت ، وترى هنا وهناك ، بقعاً من الزيت .. مشعلا أو مدخناً .. وأكواماً من الحديد .. هى كل ما تبقى من العربات بعد احتراقها .. وأبراجاً حديدية مزقتها القنابل ، هى الدبابات والآليات المصفحة ، بعد أن هجرها سدنتها للهروب ، أو لتفادى الإصابات بنيران الطائرات ..

هذه المناظر .. كنت تراها على الطرق المعبدة .. أو الممهدة .. أما الأراضى الأخرى خارج الطرقات .. فى السهول والمنحنيات .. والأماكن التى ظن سالكوها أنها تغنى عنهم شيئاً من غضب الطائرات المغيرة .. فلقد كانت الصورة فيها أوسع وأكثر شمولا وأبلغ تعبيراً عن المأساة الفاجعة .

فلقد غصت الأرض بأسراب الجراد البشرى الزاحف (عسكريين ومدنيين) . ... يتحركون جميعاً كل إلى مأمنه لا يلوون على شىء .. الضعيف يسقط وما من قوى يحمله أو يعينه على معاودة النهوض ... وستشهد الأرض أمام باريها .. عن هول ما قاسى الكثيرون من الناس (وخاصة المدنيين) ، من جوع ، وعطش ، حتى اضطر الكثيرون — وخاصة الجنود — إلى الاقتيات بالأعشاب (أخضرها وجافها) ، أو السطو على ما يصادفون من مزروعات ... تفادياً للموت فى تلك المخمصة .

والدواب ... حملت ما خف من المتاع ، وفوق كل كومة من ذاك المتاع .. كنت ترى ، طفلا أو أكثر ، أو امرأة أو شيخاً ... وأفراد العائلة الآخرون ، يمشون متهالكين خلف الدواب .. والعيون قد تسمرت نحو هدف واحد ، هو الوصول إلى دمشق أو إربد ، أو إحدى القرى اللبنانية — أو درعا — ..

إن الهول الذى صادفه «المنسحبون» الفارون ، من كثرة الرؤى الفاجعة . وأصوات الأنين والاستغاثة والتنادى وعويل الثكالى والفاقدات أهلهن أو بكاء الأطفال الذين شردوا .. وهاموا فى الأرض لا أب يحنو ، ولا أم تضم إلى صدرها ابنها ذا أو ذاك .. والموج البشرى يتتابع .. وأرتال الجراد الزاحف تتلوى مع كل انحناءة أرض ، أو نحو أى مصدر للطعام أو الماء .. لتعب منه ثم تغذ السير .. حتى تصل إلى حيث تعتقد أنها نجت من الخطر .

إن هذا الهول الذى صادفه المنسحبون « الفارون » ، قد أنساهم هول القصف الذى أنزلته على رؤوسهم طائرات العدو حين كانوا فى مواقعهم .. وودوا لو يعودون إليها .. يحتمون بها ويردون عن الأرض أعداءها ولكن :

قد فات الأوان .. ولم يبق أمامهم إلا الانسياح بين أمواج الفارين .. « **حط رأسك بين الروؤس وقل يا قطاع الروؤس**(١) » .

نعم ... هكذا كان الانسحاب الذى نصر على تسميته بالهروب الكبير — . أما الانسحاب المنظم ، « تحرفاً للقتال .. أو تحيزاً إلى فئة » .. وكما تعلمناه وعلمناه للكثيرين من جنودنا وضباط الصف .. الانسحاب .. الذى نفهمه وتعلمناه على أنه حالة من حالات القتال . . لها أسسها وأساليبها وطرق حمايتها بالنيران والمناورة ...

الانسحاب الذى نعلمه قتالاً منظماً مدروساً متتابعاً ، يتم بضراوة وعنف يعرض لقوات العدو المتقدمة ، ويحاول تأخيرها أو صدها عن متابعة التقدم . وينزل بها الخسائر كلما سنحت الفرصة بذلك .. الانسحاب الذى نعلمه ... أسلوباً من أساليب المناورة والخداع .. بغاية استعادة القوى وإعادة تجميعها والقذف بها مجدداً فى وجه العدو المهاجم ..

الانسحاب الذى سبق أن مارسته جيوش محترمة ، ونفذه قادة هم عباقرة الحرب ... أمثال خالد بن الوليد فى تاريخنا القديم ... وأمثال رومل فى تاريخ العالم الحديث ....

الانسحاب المشرف الشجاع .. الذى تمارسه القوات وهى فى حالة معنوية ممتازة لا تقل عنها وهى مهاجمة أو مدافعة على خطوط الدفاع ...

هذا الانسحاب .. لم تعرفه القوات السورية يوم عار حزيران .. ولم تشهده الأرض السورية يوم مسرحية العار .. بل كان الهروب الكبير .. والهزيمة الذليلة .. والفرار الجبان .. الذى دونه فرار الأرانب .. كنت ترى خلاله موجات متلاحقة من الجند والسكان .. تميل يمنة ويسرة .. من جوع

(١) مثل عامى معروف فى دمشق يستعمل للتعبير عن الحالات التى تعم فيها البلوى . فيستسلم المرء لها وهو يواسى نفسه بأنه ليس الوحيد الذى نزلت المصيبة به .

ونصب ورعب .. حتى ليخيل إليك أن هؤلاء الناس ما هم إلا سكارى .. وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ..

٦ – ولقد كان القادة أول الفارين .. وأول من تبعهم وحدات الدبابات (وخاصة اللواء السبعين ، بقيادة العقيد عزت جديد) والكتائب التي يقودها كل من المقدم رئيف علواني والنقيب رفعت أسد (١) ... التي تركت ساحة القتال وعادت إلى دمشق (لتحمي الثورة) .. والضباط الحزبيون على اختلاف رتبهم .. (الذين تركوا قواتهم وفروا .. إلى القيادة لحضور اجتماع حزبي هام) ! ثم .. انفرطت المسبحة على الشكل الذي بيناه .

(ك) ثم .. صدر البلاغ الفاجر ، من إذاعة حزب البعث في دمشق .. (يوم السبت ١٠ حزيران ، الساعة التاسعة والنصف صباحاً) يعلن سقوط القنيطرة بيد قوات العدو ، ويحمل توقيع وزير الدفاع – اللواء حافظ الأسد – ويحمل الرقم ٦٦ ... وكان هذا البيان ، هو طلقة الخلاص (٢) ... سددتها يد مجرم إلى رأس كل مقاومة استمرت في وجه العدو رغم كل تلك المخازي .. فانهارت القوى ، واستسلمت المقاومات الفردية المعزولة ، أو استشهد رجالنا ... وعلم الجميع أن لا أمل في متابعة القتال . . لأن القيادة البعثية قد أنهت كل شيء ..وسلمت للعدو الإسرائيلي .. مفاتيح أحصن وأمنع قطعة

---

(١) المقدم رئيف علواني ، هو من أبرز الضباط البعثيين الذين ساهموا (بأيديهم) في أعمال القتل – التي سموها إعداماً – عقب محاولة انقلاب ١٨ تموز التي قام بها الناصريون في عام ١٩٦٣ ، وأحبطها اللواء السبعون بالاشتراك مع وحدات المغاوير بقيادة النقيبين سليم حاطوم وسليمان العلي .

والنقيب رفعت الأسد هو – غالباً – شقيق (الفريق) حافظ الأسد ، وقد كلف هذا الضابط منذ تخرجه من الكلية الحربية – وحتى اليوم – بحماية مطاري (المزة والضمير) العسكريين اللذين هما مرتكز شقيقه (الفريق) حافظ الأسد .

(٢) طلقة الخلاص ، أو طلقة الرحمة ، هي رصاصة واحدة ، يطلقها آمر مفرزة الإعدام على رأس المحكوم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص . . وذلك بعد تنفيذ الحكم به .. وغايتها التعجيل بوفاته للتخفيف عن آلامه وعذابه .

من أرض العرب ... بل وتكاد تكون من أكثرها غنى ووفرة بالكنوز الدفينة .. من آثار ومعادن .. وخصب تراب .. ووفرة مياه .

(ل) وقد يكون من المفيد أن نثبت فى خلال سرد الوقائع هذا ، تصريحاً لضابط لبنانى ، شهد المعركة يوم ٩ حزيران ، ورأى بأم عينه كيف اخترقت القوات الإسرائيلية تحصينات ومواقع القطاع الشمالى (قطاع بانياس) ففيه أضواء هامة على أبعاد النكبة .

ولكن تجدر الإشارة إلى أن فى هذه الرواية بعض الأخطاء ، سنبينها بعد سرد الرواية كاملة ، ونبين وجوه الصحة فى الوقائع ، مع ما يلزم من تعليق يأتى فى حينه .

يقول الضابط اللبنانى :

« بدأت أسراب الطائرات الإسرائيلية – وكان كل سرب مؤلفاً من أربع طائرات – تتدافع ، سرباً أثر سرب ، لضرب التحصينات السورية فى (تل القاضى) .

ومنطقة (تل القاضى) ، هى الجزء الوحيد فى التحصينات السورية ، التى لم تبن فيه المواقع الدفاعية بالأسمنت المسلح ، لأن هذه المنطقة محصنة بشكل طبيعى ، وتعتبر الصخور التى تحميها من أقسى وأقوى المواقع الجبلية فى سورية .

ولم ندرك فى البداية سر اختيار الإسرائيليين لهذه المنطقة بالذات ، التى كانت الفكرة السائدة عنها أنها أصعب نقطة فى التحصينات السورية .

واستمر ضرب الطيران الإسرائيلى للمنطقة بالقنابل والصواريخ حوالى الساعة . وعندما خف نشاط الطيران بدأ ضرب المدفعية .

ومع أن تحضير أرض المعركة من قبل المدفعية(١) يستغرق عادة بين

---

(١) تحضيرات المدفعية للهجوم (رمايات التمهيد) .

الأربع والست دقائق ، نظراً للمصروف الباهظ بالذخيرة ، الذى يحتاجه ضرب المدفعية ، إلا أن الإسرائيليين استمروا فى الضرب حوالى ١٥ دقيقة انتهت بتوجيه كمية من قنابل الدخان الكثيف ، دليلا على بدء المعركة الفعلية على الأرض .

وفى الساعة العاشرة ، تحرك لواء مدرع من جرافات البلدوزر الضخمة - وهى آليات مدرعة ولها جنزير ، وبرج لحماية السدنة فيها - وأخذت توجه جرافاتها المسنونة إلى الكتل الصخرية التى تحمى تحصينات موقع (تل القاضى) والتى كانت التقديرات العسكرية تؤكد استحالة اختراقها من قبل أسلحة الدروع .

ووقع ما لم يكن بالحسبان ، واستطاعت مدرعات البلدوزر اختراق الصخور ، وبعد ذلك أخلت الطريق للدبابات الإسرائيلية التى أخذت تتسلق الطريق فى محاولة لتطويق التحصينات السورية وضربها من الخلف . وكانت كل دبابة مزودة بسيارتين مصفحتين ، إحداهما للذخيرة والثانية للوقود .

وكان فى برج المراقبة المشترك على الحدود السورية - اللبنانية ضابط سورى ، كان المفروض أن يتصل بمقر قيادة الجيش السورى على الجبهة ليحيطها علماً بأخبار محاولة اختراق الجبهة بمدرعات البلدوزر وتعيين زوايا تحرك الدبابات الإسرائيلية بواسطة المنظار المكبر ، لتتمكن المدفعية السورية من توجيه ضربات قاتلة إليها . .

ولكن سرعان ما تبين أن الضابط السورى لم يكن يعرف لا استعمال المنظار المكبر ولا تعيين زوايا تحرك الدبابات وإبلاغها إلى سلاح المدفعية .

لقد كان الضابط السورى وطنياً مندفعاً ، ومن أشد المتحمسين للنظام القائم ، ولكنه كان معلم مدرسة ، لم تمض عليه أكثر من ستة أشهر فى الجيش وبالتالى لم تكن لديه أية مبادهة عسكرية ، أو معرفة فى فنون القتال ...

ومع ذلك ، فلم يكن لذلك أية أهمية ، لأن المعركة فى الأساس لم تكن معلقة على مقدرة ضابط برج المراقبة بقدر ما كانت متوقفة على مقدرة

القيادة السورية على الجبهة ، للقيام بهجوم مضاد يقوم به اللواء المدرع الذى لم يصب — وهو فى تحصيناته — بالقذف الجوى . . . وذلك فى الوقت الذى تكون فيه المدرعات الإسرائيلية قد وصلت إلى رأس (تل القاضى) أى فى اللحظة التى تعتبر منتهى الإرهاق بالنسبة للمهاجم . .

فى تلك الدقائق الحاسمة ، أخذت الدبابات السورية تخرج من تحصيناتها .. ولكن المفاجأة التى أذهلتنا أن هذه الدبابات بدلا من القيام بهجوم معاكس مضمون النتائج ، اتجهت نحو القنيطرة . .

لماذا ؟ . . ما هى الحكمة ؟ . .

إلى الآن ، لم أستطع أن أعرف ، وبالتالى أن أفهم ، ولا سيما أن القنيطرة سقطت بعد ذلك بدون قتال ، وبإعلان مسبق بالإذاعة . . .

وقد وقع أثناء انسحاب اللواء المدرع السورى حادث طارىء ، كشف عن مدى الخسائر التى كان يمكن إلحاقها بالمدرعات الإسرائيلية لو قامت الدبابات السورية باله

لقد تعطلت إحدى الدباب
هذه الدبابة فى أواخر الرتل
إلا أن يحارب ، فأدار مدفعه
دقائق معدودة ، أن يدمر س

واستنجد العدو بالطائرا
جوى ، ولولا ذلك لاستطا
أن تصاب وتحترق(١) .

---

(١) مجلة الحوادث ، العدد ر
والحرب الرابعة) .

تصويب وشرح :

(أ) إن أول ما يجب لفت النظر إليه وتصويبه ، هو أن (التل) الذى يتحدث عنه الضابط اللبنانى ، ليس (تل القاضى) ، لأن هذا التل هو بيد السلطات الإسرائيلية ، ويقع ضمن الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٩ ، ويشرف على مستعمرة دان ، وعليه نفسه تقوم إحدى المستعمرات ، ومن سفحه الجنوبى الغربى ، تنبع مجموعة ينابيع تشكل نهر « اللدانى » وهو أكبر الروافد الرئيسية التى تشكل فى مجموعها نهر الأردن ويبلغ تصريفه السنوى من المياه ٢٥٨ مليون م ٣ . (انظر موقعه على الخريطة رقم ١) وهو مبين بدائرة حمراء تحيط بها دائرة خضراء .

ولكن التل المقصود حقيقة فى رواية الضابط اللبنانى ، هو ما يلى :

أولا : هضبة المغاوير (انظر موقعها عند رأس السهم الأخضر الذى يشير إليها ، وذلك على الخريطة رقم ١) . وهى هضبة ذات جرف صخرى وعر جداً ، ولم يكن فى تقدير أية قيادة احتمال اختراقها من قبل الآليات المعادية . ورغم ذلك ، فقد زرع فيها حقل ألغام استراتيجى مختلط (مضاد للأشخاص ومضاد للآليات ، وبعض ألغامه مفخخة) .

وثانياً : تل العزيزيات . هو من أمنع وأحصن المواقع الدفاعية السورية طبيعة وإعداداً ، ولكن القيادة البعثية أخلته من قواته لتشترك مع وحدات أخرى فى الهجوم (التمثيلية) على شرياشوف(١) .

(ب) يقول الضابط اللبنانى أن الطائرات الإسرائيلية كانت تغير على المواقع السورية فى تشكيلات مؤلفة من أسراب يضم كل سرب أربع طائرات . والصواب أن تشكيلة الأربع طائرات تسمى « رفاً » وليس سرباً ، ويضم السرب عدداً من « الرفوف » يتراوح بين (٣ – ٥) .

---

(١) انظر فصل : (نقاش الإثبات) .

(ج) ليس غريباً أن تلجأ القوات الإسرائيلية إلى القيام بأعمال وحركات غير مألوفة فى القتال الكلاسيكى ، ومن أبرز الأعمال « غير المألوفة » فى قتال القوات الإسرائيلية ضدنا ، رحلتها صباح ٥ حزيران لضرب الطيران المصرى ، فقد تميزت هذه الرحلة بأمور عديدة أهمها :

أولا : انطلاق الطائرات من على الأوتوسترادات وليس من على مهابط المطارات .

ثانياً : قطع الرحلة كلها (تقريباً) على ارتفاع منخفض ، وعلى سطح البحر ، تفادياً لخطر كشف أمرها من قبل أجهزة الرادار .

ثالثاً : تجاوز الطائرات الإسرائيلية حدود مصر بما لايقل عن مائة كيلومتر ، نحو الغرب ، ثم انكفاؤها لتهاجم الطائرات الجاثمة على أرض المطارات مثل مجموعات الأوز السمين .

وقد اعترف بهذا الرئيس جمال عبد الناصر نفسه فى خطابه التاريخى يوم الجمعة ٩ حزيران ، فقال :

« كنا نتوقع مجىء الطائرات من الشرق ، فجاءتنا من الغرب » .

والعدو يهدف فى عمله الذى قام فيه بقصف هضبة المغاوير (الخالية من القوات) إلى أمور هامة جداً :

أولا : إيهام المراقبين السوريين بجهله وخطأ معلوماته عن قواتنا ومواقعنا حين يرى الرصاد والقادة ، أن القصف مركز على أرض خلو من القوات والتحصينات .

ثانياً : إحداث المفاجأة — وهو يعتمد كثيراً على مبدأ المفاجأة فى عملياته .

ثالثاً : إيقاع القادة السوريين فى حيرة مما يرون ، والحيرة هذه كفيلة مع ما رافق العملية من قصف ونيران شديدة مركزة — ؛ بشل تفكير القادة فترة من الزمن ، تجعلهم حيارى عاجزين عن اتخاذ قرار معين حاسم ، ويفيد هو من هذه الحيرة فيعمل بحرية على تحقيق خطته .

رابعاً : تفادى خطر الصدام مع الأسلحة المضادة للآليات ، فيما لو هاجم فى اتجاه مواقع مشغولة بالقوات ، وخاصة أن المواقع الأمامية — مثل تل العزيزيات — مزودة بأسلحة فعالة ، من بينها بعض دبابات البانزر ، وهى ذات مدفع يتمتع بفاعلية هائلة ضد الدبابات .

ولكن ... ما حيلة هذه الأمة المنكوبة بقيادة من أمثال — الضابط السورى القابع فى برج المراقبة المشترك — ، جهلة وعديمى الخبرة ، إن لم نقل إن من بينهم خونة من أمثال أحمد المير وسويدانى وباقى السلسلة من الحزبيين !؟

(د) سبق للقوات الإسرائيلية أن استخدمت الجرافات (البلدوزر) فى عملياتها ضد قواتنا ، وكان من أبرز الوقائع التى قدم فيها العدو مثل هذه الجرافات « معركة تل النيرب عام ١٩٦٢ » ، ولكن ما حيلتنا مع جيش غر ، سرح حزب البعث جميع قادته وضباطه القدامى المخلصين ، أصحاب التجارب والخبرات ، والمعرفة الدقيقة بأساليب قتال العدو ، تمهيداً ليوم هزيمة متفق عليها ... ! ؟ .

(هـ) لم يكن فى المنطقة المقصودة من شرح الضابط اللبنانى ، اواء مدرع ، لأن طبيعة الأرض لا تتسع لقتال لواء مدرع — مع القوات الأخرى ولكن لعل الدبابات المعنية ، والتى قامت بالانسحاب فى لحظة الحاجة إليها هى إحدى كتائب الدبابات التى ألحقتها قيادة حزب البعث على القطاع الشمالى أو هى كتيبته الأصلية .. ؟ وفى أية حالة .. ينكشف لنا هنا موقف من أخطر مواقف الخيانة التى ارتكبها القادة البعثيون ، إذ انهزموا مع دباباتهم — من وجه القوات الغازية ، متحركين باتجاه دمشق ، بغية « حماية الثورة » كما أعلن أحد قادتها ، المقدم « رئيف علوانى » .

وفى هذا ... يكمن تفسير التساؤل الذى يطلقه الضابط اللبنانى الذى يشرح المعركة ... فالدبابات والأسلحة الفعالة فى جيوش الدول الثورية هى لحماية « المكاسب الاشتراكية ، ومسيرة الثورات فى صراع الطبقات » وليست للاستخدام فى وجه قوات الغزو الإسرائيلية ، أو لحماية حدود البلاد وترابها الكريم من أن تدنسه أقدام الغزاة .

وهذا ليس من عندياتنا ... وإنما هو سياسة الاتحاد السوفياتي الذي زود الدول الثورية بهذه الأسلحة ، وسياسة هذه الدول نفسها .

لنقرأ معاً ، ونتمعن :

« . . . ونحن واثقون من صدق التأكيدات السوفييتية الرسمية لحكومة إسرائيل التي تقول بأنه ليس في علاقات الاتحاد السوفيتي مع مصر ، أو غيرها من الدول العربية الأخرى في مسألة بيع السلاح وتقديم القروض المالية والتعاون العقائدي ما يؤذي إسرائيل في المرحلة النهائية . . . »(١) .

« . . . نحن مستعدون لحظر السلاح عن المنطقة العربية ، لكن حركات التحرر اليسارية في العالم العربي ، تحتاج إلى السلاح لتكافح الرجعية العربية ، وتقضي عليها وعلى من يساعدها من قوى الاستعمار » .

« وأن القضاء على الرجعية العربية سيزيل خطر العدوان العـــربي على إسرائيل(٢) » .

(م) ورواية أخرى ، أتت على وصف موجز لسقوط الجولان ، نشرتها صحيفة النهار ، في عدد خاص بالحرب اسمه (النكسة) ، لابد لنا من ذكرها في هذا الكتاب ، وإعطائها ما تستحق من شرح أو تعليق أو تصحيح(٣) .

---

(١) صحيفة الهامشمار الناطقة بلسان حزب « مابای » ، ٧ تشرين الأول ١٩٦٤ . (كتاب المسلمون والحرب الرابعة) .

(٢) من محاضرة ألقاها المستشار الأول للسفارة السوفيتية في تل أبيب على طلبة الجامعة العبرية نشرتها صحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية ، ٤ شباط ١٩٦٥ .

(عن كتاب : المسلمون والحرب الرابعة — ص ١٠٥) .

(٣) الرواية هذه ، هي — كما قالت النهار — خلاصة ما نشرت وسائل النشر في العالم الغربي ، عن النكسة ، ويبدو أن قسماً كبيراً من هذا الوصف ، جاء من كتاب : « حرب الأيام الستة » لـ : « راندولف تشرشل » ، كما أن النهار تقول بأن هذا الوصف مستمد من صحف غربية مختلفة .

تقول النهار :

« . . . لم تبدأ سوريا الحرب إلا صباح ٦ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ ، رغم أن سوريا هي سبب الحرب ، وهي الداعية إليها » .

« ... الهجمات السورية اقتصرت على «دان ، تل دان ، شرياشوف(١) » ولم تخرج القوات الإسرائيلية للرد بسبب انشغالها بالقتال على باقي الجبهات » .

« . . . وتتلخص خطة الهجوم السورية ، كما يلي :

١ ــ جعل الهجوم على مستعمرة مشمارهايردين(٢) هدفاً رئيسياً تنتقل منه وحدة سورية إلى ضرب حيفا في الغرب بينما تتمكن وحدة أخرى من التوغل باتجاه الناصرة .

٢ ــ التقدم نحو تل الفصر(٣) في الطرف الجنوبي من بحيرة طبريا عن طريق وادي الأردن ثم الالتفاف إلى الجهة الشمالية الشرقية نحو العفولة .

٣ ــ دخول الأراضي اللبنانية ومهاجمة المواقع الإسرائيلية منها . . . »

« . . . ولم يدخل الإسرائيليون المعارك الفعلية ضد سوريا إلا يوم الخميس ٨ ـ ٦ ، حيث تفرغوا لجبهتها ، ورغم أن السوريين كانوا يتعرضون لغارات جوية مستمرة ، وأن طائراتهم تغير على مدينة ناتانيا الساحلية والمدن الإسرائيلية الأخرى ، وأن مدافعهم المضادة أسقطت عدداً كبيراً من الطائرات الإسرائيلية ، رغم هذا كله لا يمكن الحديث عن معارك فعلية قبل يوم الخميس .

---

(١) مستعمرات إسرائيلية ثلاث تقع في مواجهة القطاع الشمالي (مقابل بانياس وتل العزيزيات) وتشكل هذه المستعمرات الثلاث رؤوس مثلث قائم الزاوية ، قاعدته ١ كم ، وارتفاعه ٢ كم تقريباً . وتل دان يقصد به (تل القاضي) .

(٢) هي مستعمرة كدوش ، في مواجهة القطاع الأوسط ، وبالقرب من جسر بنات يعقوب وعلى طريق جسر بنات يعقوب ــ صفد ، ولا تبعد عن نهر الأردن أكثر من ٥٠٠ متر ، وتعتبر من المستعمرات المحصنة جيداً .

(٣) جنوب بحيرة طبريا بالقرب من سمخ وهي من أحصن المواقع الدفاعية الإسرائيلية على الخط الأول لتحصينات العدو في مواجهة الجبهة السورية .

ويصف قائد الطيران الإسرائيلي ، الهجوم على المواقع السورية بقوله : « استعملنا مع سورية قنابل موقوتة(١) بحيث تنفجر مباشرة فوق قواعد المدفعية المضادة للطائرات » .

« . . . وحفلت الحرب بكثير من الأخبار المضللة ، ففيما الطائرات الإسرائيلية تغير على الجبهة السورية وتلقي فوقها قنابل النابالم المحرقة ، كانت القوات الإسرائيلية تستمع عبر الترانزيستور إلى أنباء القصف السورية للمستعمرات .. »

« .. ويقال أن سوريا وضعت فى الجبهة ٣ ألوية عادية (١١ ، ٨ ، ١٩(٢)) ، كما وضعت فى المؤخــرة لواءى مشاة : التسعين إلى شمالى القنيطرة ، واللواء الثاني والثلاثين إلى الجنوب منها . ومع كل منها فرقة دبابات ت ٣٤ ، و س يو ١٠٠ ، إلى جانب حوالى ٣٠ دبابة عادية . . .(٣) » .

---

(١) هذا النوع من القنابل ، يسمى فى الجيش السورى : « قنابل المنشار » ، وهو من أشد أنواع القنابل فعالية ضد الأشخاص ، وضعيف الفعالية ضد العتاد ، وتنفجر القنبلة منه على ارتفاع معين فوق الهدف ، فتتناثر شظاياها على شكل مخروط قاعدته إلى الأسفل ، ويستعمل ضد مرابض المدفعية (بأنواعها المختلفة) ، وضد تجمعات المشاة الكبيرة .

(٢) هذه التسميات ، أعطيت للألوية (٦ ، ١٥ ، ٢) التى كانت تحتل القطاعات الثلاثة (الشمالى ، الأوسط ، الجنوبى) ، وذلك بعد أن غيرت قيادة الجيش تلك التسميات ، عقب حركة الثامن من آذار ١٩٦٣ . وأرجو ملاحظة هذه الناحية جيداً فى تسميات الوحدات التى استعملها أنا فى هذا الكتاب ، إذ أنها تسميات الوحدات التى كانت لها قبل حركة آذار المذكورة .

(٣) اللواء التسعين المذكور هنا هو لواء احتياطى ، واسمه يوم الحرب (اللواء ١٢٣) وهو الذى كلف بالهجوم من القطاع الشمالى ، وكانت قيادته فى عين الحمراء شمال غرب القنيطرة وأما فرق الدبابات التى يتحدث عنها الوصف ، فهى فى الحقيقة كتائب وليست فرقاً ، لأن الفرقة تشكيل كبير جداً وأكبر من اللواء ، ولا يمكن للواء مشاة أن يلحق به فرق دبابات .

وأما الـ « س يو ١٠٠ » ، فهى من خيرة الدبابات ، وهى فى الحقيقة قانصات الدبابات وذات تسليح فعال جداً ، وذات قدرة حركية تتمتع بمرونة عالية ورمزها الأجنبى هو SU 100.

وأخيراً ، المقصود بـ « حوالى ٣٠ دبابة عادية .. » ، تشكيل خاص من الدبابات كان يقوده الرائد رئيف علوانى ، وقد كلف بمهمة خاصة ، وهى التمركز خلف الألوية الاحتياطية ، ومراقبتها والتصدى لها فيما إذا حاولت كلها أو أجزاء منها ، القيام بحركة تمرد أوعصيان ، ضد القيادة البعثية ، وهذا يكشف لنا جانباً من أخطر جوانب حياة الحزب مع الشعب ، ويعكس=

« . . . وعند ظهر الجمعة ، شن الإسرائيليون هجوماً شاملا على المواقع السورية فوق كفر زولد(١) ، وهى أضعف النقاط فى الجبهة السورية المنيعة التحصين ، وأرسلت وحدة أيضاً إلى عين فيت والزورة(٢) وسارت الجرارات فى المقدمة فاتحة طريقاً للمدرعات والآليات عبر المرتفعات .

وفجأة وجدت نفسها عرضة لنيران مدافع المدرعات السورية ، التى كانت جاثمة فى الخنادق لا يظهر منها غير المدافع(٣) ، وقد ألحقت بالقوات الإسرائيلية خسائر جسيمة اضطرتها إلى الانحدار حيث كانت .

وكرر القائد الإسرائيلى المحاولة على غير طائل ، عندئذ لم يجد مخرجاً للخطة غير تعطيل مدفعية الدبابات فأرسل وحدة من رجاله تسلقت المرتفعات ، وألقت قنابل يدوية داخل الدبابات ، فقتلت من فيها(٤) ، وبعد ما أمن خطر

= إنما الرعب الذى يملك على الحزب "كل حواسه" ، ويوحى له بكل تصرفاته .. خوفاً من النقمة التى تغلى فى صدور أبناء الشعب من كل الفئات والطبقات .

ويجدر أن نذكر أن هذه الكتائب ومجموعات الدبابات ، لم تقاتل ، وإنما هربت إلى دمشق مع اللواء السمين لحماية الثورة وذلك منذ بداية القتال الحقيقى مع قوات الغزو الإسرائيلى.

(١) هى مستعمرة كفر سلط فى مواجهة محافر العقدة .

(٢) المقصود بها : زعورة .

(٣) هى دبابات البانزر (الوضع) ويقوم بخدمتها عناصر الحرس الوطنى وهم من أبناء المنطقة ومن الفلسطينيين المقيمين فى الجولان .

(٤) وصف شاعرى خيالى ، فى محاولة فجة من القادة الإسرائيليين أو الصحفيين الأجانب الذين كتبوا هذا الكلام ، لإبراز « شجاعة » القوات الإسرائيلية من خلال الاعتراف بصمود القوات السورية .

ولكن الحقيقة ، أن هذا يستحيل أن يحدث بسهولة فى تلك المواقع ، نظراً لما نعرفه من مناعة تحصينها ، وبطولة الرجال الذين صمدوا فيها ، وإنى أؤكد أن ذلك لم يحدث للأسباب الآتية :

(أ) ما دامت المقاومة الضارية قد انبعثت من الدبابات السورية الموجودة فى الخنادق ، فذلك معناه أن عناصر الدفاع فى تلك الخنادق ، مازالوا فى أماكنهم صامدين .

(ب) ومن المستحيل أن تتمكن قوة مهاجمة من المشاة ، من الوصول إلى الدبابات قبل أن تشتبك مع عناصر المشاة المتمركزين حول الدبابات فى الخنادق ، وتقوم بالقضاء عليهم جميعاً .

(ج) والذى تؤكده الروايات الإسرائيلية ، أن النار السورية قد استمرت ، ولكنها =

الدبابات ومدافعها ، أمر « لعازار »(١) الجرارات باستئناف فتح الطريق ، تحت النار السورية المعقولة ، ثم وجه فرقة مشاة إلى منطقة تل العزيزيات حيث دارت معارك بالسلاح الأبيض : بالقبضات والسكاكين والأسنان وأعقاب البنادق ، واستمرت هذه حتى سقطت المواقع فى تلك الناحية(٢) .

= كانت « معقولة » وذلك بعد إسكات مدافع الدبابات . وما دامت النار السورية قد استمرت ، فذلك معناه أن عناصر المقاومة لم يتم القضاء عليهم جميعاً ، فكيف استطاع « شحمان » لعازار من الوصول إلى الدبابات ؟

(د) أن من الطبيعى أن الدبابات حين تقاتل (غالباً) ، تكون أبراجها مغلقة ، فكيف استطاع جنود هذا .. « اللعازار » أن يفتحوا أبراج الدبابات ، ويلقوا قنابلهم اليدوية داخل الدبابات ؟

(هـ) ومن الطبيعى أيضاً ، أن عناصر الدبابات أنفسهم ، حين يشعرون أن جنود العدو قد أصبحوا بينهم ، أن يتركوا دباباتهم ، ويخرجوا للالتحام مع جند العدو ، أو يحركوا بدباباتهم لتغيير مواقعها بعيداً عن الجنود المقتحمين ثم معاودة الاشتباك . ومعروف أن سرعة حركة الدبابة أكبر من سرعة حركة المشاة ، فكيف يستطيع « اللعازاريون » أن يقضوا على الدبابات « بالقنابل اليدوية » ؟ .

(و) وأخيراً أن الدبابة ليست مجهزة بمدفع فقط .. وإنما هى مجهزة أيضاً بأكثر من رشاش واحد للدفاع ضد الطائرات ، والآخر للدفاع ضد المشاة ، وفى حال الالتحام مع العدو يتحول الرشاشان إلى القتال ضد المشاه . . فهل كان جنود « لعاذار الذكى » من الكثرة بحيث لم تعد رشاشات الدبابات وباقى القوات قادرة على حصدهم جميعاً ، حتى تمكنوا من الوصول إلى الدبابات والقضاء عليها بقنابلهم « اليدوية الجيمسبوندية » ؟

إن كان هذا قد حصل ، فيا فخراً لأولئك الجنود الأبطال ، الذين صمدوا فى أرضهم ، وخلف مدافعهم ورشاشاتهم ، حتى ماتوا شهداء أبراراً .. ويا فخر الأمة قادرة أن تنجب مثل أولئك الرجال .. عناصر الحرس الوطنى ، الذين كان كلهم من أبناء الجولان ، ومن أحبائنا الفلسطينيين الذين تطوعوا فى الحرس الوطنى ، واستبسلوا فى الدفاع عن تلك المواقع .

وإن كان ذلك لم يحصل .. فيا عجباً لكتابنا ، وخاصة العسكريين ، كيف لا يتصدون للرد على أضاليل وغطرسات الضباط « اللعازاريين » وأذنابهم من رجال الصحافة والفكر الغربيين أمثال « .. ابن تشرشل العظيم » ! ؟ ؟

(١) لعازار هذا ، هو الجنرال دافيد لعازار قائد القوات التى هاجمت القطاع الشمالى .

(٢) إذن .. فقد صمد عناصر تل العزيزيات .. وإن لهذا التل فى قلوب الإسرائيليين أكثر من ذكرى مريرة ، ويشكل عندهم عقدة فى نفوسهم وقلوبهم ، هى أكبر من حجمه .. وذلك منذ حرب عام ١٩٤٨ ، حيث أبيدت قوات كبيرة منهم ، فى أكثر من محاولة لاحتلاله ، ..

وبدل أن تقصف المدفعية السورية ، القوات الإسرائيلية المهاجمة ، تابعت ضرب المستعمرات وإضرام النار فيها(١) .

وليل الجمعة ، توغل الإسرائيليون داخل الأرض السورية فى الجنوب ، ووصلوا إلى زاوية (قطاع واسط ، أنظر الخريطة) ، تدعيماً لتقدمهم ، وفى خلال الليل ، جمع لعازار قواته ، ولما طلع الصباح ، طلب تغطية جوية لتنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، أى السير نحو القنيطرة ، بعد ما نفذت المرحلة الأولى بتسلق المرتفعات واحتلالها .

وعند الفجر ، دخلت وحدة مدرعة إسرائيلية جديدة المعركة ، فأخذت

= ولكنهم عادوا أذلاء خاسرين ، واستمروا عشرين عاماً ينظرون إليه ، ويحسون به كأنه شوكة فى عيونهم ، حتى أتيح لهم أن يحتلوه .. وإننى أتوقع أن يكونوا الآن قد أزالوه من على وجه الأرض بجراراتهم وآلياتهم الكثيرة .. وذلك ليزيلوا ذكراه المريرة من نفوسهم الحاقدة حتى على ترابه .

(١) إن هذا لغريب جداً أن يصدر من المدفعية السورية ، وهو إن كان قد حصل ، فهو يعزز الرأى القائل ، إن جيش سوريا فى عهد الحزب ، كان غير مؤهل لخوض الحرب ، فكيف يمكن لمعلمى المدارس ، أن يديروا قتال المدفعية ، وهو من أصعب أنواع القتال وأدقها ، وأكثرها اعتماداً على الاختصاص والمران وإتقان الرياضيات ، وخاصة جداول اللوغاريتم ، ودقة حساب الزوايا والأبعاد ؟

إن مثل هذا الخطأ الكبير ، يعزز رأينا فى أن الضباط والقادة (وأكثرهم بعثيون) ، قد هربوا عند بداية الاشتباك الحقيقى ، وبقيت الأسلحة والمدافع ، بأيدى الجنود وضباط الصف وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا قادرين على قيادة قتال المدفعية وإجراء المناورة الناجحة بنيرانها فلم يبق أمامهم إلا أن يفرغوا كل غضبهم ، فى الرمى حسب عناصر الرمى الموضوعة مسبقاً على المدافع ، والتى افتقدت ضباط الرصد المدفعى ، وضباط إدارة النيران ، وهذان النوعان من الضباط هما القادران على تحويل النار حيث يجب أن تحول ، وتوجيهها إلى القوات المعادية لتدميرها وإيقاف زحفها . وليس لدينا مثال قادر على إبراز هذه الناحية الخطرة ، أوضح من مثال الضابط السورى الذى كان فى برج المراقبة المشترك على الحدود اللبنانية السورية ، والذى أتت على وصفه رواية الضابط اللبنانى التى نشرتها مجلة الحوادث ، وتعرضنا لشرحها وتوضيحها فى الصفحات السابقة .

طريق تل تمرا(١) ، داعمة فرقة الجولان لاحتلال مدينة بانياس(٢) .

والساعة الأولى من بعد ظهر السبت ، طوقت القوات الإسرائيلية مدينة القنيطرة ، فقاومهم سكانها (٣)، وظلوا حتى سقوط المدينة ، الساعة الثانية والنصف (بعد ساعة ونصف الساعة) .

وسلم من القوات السورية على الجبهة ما يقارب لواءين ، واحد مدرع ، وآخر آلى ، انسحبا إلى دمشق من أجل تعزيز الدفاع عنها .

وقالت السلطات الإسرائيلية ، إنها فقدت فى الجبهة مع سوريا (١١٥) قتيلا ، وأصيب ٣٠٦ بجراح . وصباح السبت الباكر ، دخلت الأراضى السورية وحدات من المشاة الإسرائيليين ، بقيادة الجنرال (ألاد بليد) ، من الطرف الجنوبى لبحيرة طبريا ، متسلقة مرتفعات التوافيق ، كما دخلت وحدة مدرعة عبر وادى اليرموك(٤) ، بينما حلقت طائرات هليوكوبتر فوق

---

(١) اسم غريب ، لا نعرفه لأية هيئة طبيعية فى أرض القطاع الشمالى ، وأنا اعتقد أن هناك خطأ فى التسمية ، ولعل المقصود به هو « تل الأحمر » الواقع أمام بانياس وعلى طريق : بانياس – رجميون ، وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه من أن الملاغم لم تنسف ، وإلا فإن هذه القوات ، ما كان لها أن تسلك هذا الطريق لو أن الملاغم نسفت .

(٢) إن هذا يؤكد لنا اشتراك اللواء الإسرائيلى الأول « غولانى » مع كتيبة الأقليات ، كرأس حربة فى الهجوم على الجولان ، نظراً لأن هاتين الوحدتين ، هما الوحيدتان فى جيش إسرائيل ، اللتان يشكل الخونة من العرب المتطوعين فى جيش العدو ، الملاك الأكبر لها ، وخاصة فى مستوى الجنود وضباط الصف .. أما ضباط هاتين الوحدتين ، فإن معظمهم من الإسرائيليين .

(٣) إذن .. فإن الذين قاوموا واستبسلوا ، هم السكان ، أما الجيش .. ؟

(٤) ليس ثمة طريق إلا طريق الحمة ، وإن كان هذا قد حصل فعلا ، فذلك معناه أن هذه القوات لم تجرؤ على دخول الأرض السورية من هذا الاتجاه إلا بعد التأكد من خلو الجبهة من القوات ، لأنه لو كانت قد بقيت فيها قوات تقاتل فإن أبسط وحدة دافعة فى هذه المنطقة ، قادرة على إحداث مجزرة رهيبة فى القوات الإسرائيلية دون أن تصاب بأى أذى ، بسبب شدة الانحدار ووعورة الأرض ، ولأن القوات (حتى المشاة منها) ، لا يمكن لها أن تتحرك فى هذه المنطقة إلا على الطريق ، والطريق وحده ، يشكل عقبة رهيبة فى وجه أية قوة تتحرك عليه ، كما أن ذلك يعزز قولنا بأن الملاغم لم تنسف ، وإلا فإنها لو نسفت لما استطاع أحد من جنوده=

منطقة الجبهة ، وأنزلت مظليين قاموا بمهاجمة السوريين من الخلف(١) ، وقطعوا عليهم خطوط التموين .

ثم دخلت وحدة عن طريق ديرباشية(٢) ، والتقت رجال بليد فى البطمية(٣) .

العدو متابعة التقدم فى تلك المنطقة إلا بعد فترة طويلة جداً ، وجهود جبارة يحتاجها العمل لإعادة إصلاح الطريق المنسوف .

(١) لم تثبت صحة هذا الادعاء ، وأن الذى ثبت هو أن طائرات الهلوكوبتر قد ألحقت سدنة الدبابات بوحداتهم قبل دخولها القنيطرة .

(٢) المقصود بها هى : الدرباشية فى قطاع واسط ، وهى من أقوى مواقع دفاع الجبهة ، ويدافع عنها الحرس الوطنى .

(٣) جريدة النهار البيروتية ، عدد خاص صدر باسم « النكسة » ميلاد ١٩٦٧ ورأس سنة ١٩٦٨ .

توضيحات هامة :

(أ) إن هذه الرواية الموجزة جداً ، والمترجمة — كما قالت النهار — عن مجموعة صحف نشرت فى العالم الغربى ، تؤكد لنا أموراً هامة نوجزها فيما يلى :

١ — كذب خطة الهجوم التى اخترعتها القيادة البعثية ، واتخاذها حجة وذريعة لسحب القوات المدافعة التى كانت تتمركز فى المواقع الدفاعية والتى كانت قادرة فعلا على إجراء القتال الدفاعى بشكل فعال ، كان قادراً على إعطاء نتائج — لو تم فعلا — هى أفضل من النتائج التى نراها اليوم والتى تشكل فى مجموعها جزءاً هاماً جداً من نكبة الأمة .

ولو كانت القيادة صادقة فى خطتها ، فلماذا لم تنفذ تلك الخطة ؟ .. إن المصادر الإسرائيلية وكذلك البلاغات السورية الصادرة بصورة رسمية ، تؤكد أن الهجمات السورية لم تستهدف أكثر من جزء صغير جداً من الأرض المحتلة ، هو مثلث (دان ، تل القاضى ، شرياشوف) ، بينما كانت الخطة الهجومية الموضوعة تستهدف الوصول إلى حيفا ، أى ما يمكن أن يسمى فعلا احتلال إسرائيل وتدميرها .

إننا نستطيع أن نؤكد أن تلك الخطة الهجومية لم تكن سوى مبرر ظاهرى لأمر يحمل معنى واحداً ، هو التواطؤ لإخلاء المواقع الدفاعية من القوات .. ونحن كنا نستطيع أن نصدق أن القيادة كانت صادقة فى خططها الهجومية ، لو أنها نفذت تلك الخطط .. وسواء عندنا أخفق الهجوم أم نجح ولكن المهم أن ينفذ ، ولا يضير الجيش السورى بعده أن يخفق هجومه ، لأن كثيراً من جيوش العالم تنجح أو تخفق فى هجماتها (الكبيرة والصغيرة) .. ولكنها على كل حال ، تنفذ الهجوم الذى تخطط له ..

وإن الذى يؤكد للقارىء ما نذهب إليه .. هو أن شيئاً مماثلا لهذا الذى نطلبه من القيادة السورية ، قد حدث فعلا على الأرض ، وفى خلال حرب حزيران بالذات .. ونقصد به هجوم اللواء الستين المدرع الأردنى باتجاه الخليل – بئر السبع ؛ لتطويق تجمعات الدبابات الإسرائيلية وتحقيق الاتصال مع القوات المصرية على مشارف المواقع الأمامية بين إسرائيل ومصر .

صحيح أن الهجوم لم ينجح ؛ ولأسباب عسكرية محضة ولكنه نفذ فعلا .. وأثبتت القيادة الأردنية صدق دعواها ، فى تخطيط الهجوم على الأرض الإسرائيلية .. ولكن القيادة السورية لم تثبت ذلك .. بل اكتفت بأعمال تمثيلية ، رافقها مصورو التليفزيون .. من أجل المزايدة على حساب الأنظمة العربية الأخرى .. وبالتالى المزايدة على مصير الأمة بأكملها ..

٢ – ومما يؤكد أن الموضوع كان تمثيلية ، هو أن الخطة الهجومية السورية ، قد وضعت فى حسابها دخول جزء من القوات السورية ، إلى الأرض اللبنانية ، والانطلاق منها لمهاجمة الأرض المحتلة فى الجليل الأعلى ، ولو كانت الخطة صحيحة .. وهناك عزم جاد على تنفيذها ، فهل نسى القادة السوريون أن دخول قسم من قواتهم إلى الأرض اللبنانية ، سيثير مشاكل دولية هم غير قادرين على مجابهتها ؟ .. أم إن (اللواء) سويدانى .. كان يعتبر نفسه فوهرر ألمانيا ، حتى يعبر للهجوم على إسرائيل ، أرض دولة أخرى بصورة مفاجئة .. ؟ ! ألا يشكل هذا فى عرف القانون الدولى الذى يؤمن به القادة البعثيون ، إعلاناً للحرب على دولة شقيقة مجاورة ؟ .. وهل كان اللواء السويدانى .. ومن خططوا له خطة الهجوم تلك ، قادرين على مجابهة الوضع الخطير الذى سينشأ – لو تم هذا العمل – ومضاعفاته ؟ !

كل هذا يؤكد أن خطة الهجوم لم تكن إلا مسرحية لتبرير سحب القوات المدافعة من مواقعها .. !

٣ – لقد ثبت لدينا أن سوريا لم تمارس العمل الحربى ضد إسرائيل ، إلا بعد مرور – ٢٢ – ساعة على بدء الحرب فعلا بين العرب وإسرائيل ..

وهذه الـ ٢٢ ـ ساعة كانت حاسمة فعلا فى تاريخ هذه الأمة .. فلماذا لم تبادر القوات السورية مباشرة إلى بدء الهجوم الكاسح ضد شمال إسرائيل فتخفف الضغط عن جبهة سيناء ، وجبهة الأردن ! ؟ ..

أوليست سوريا هى الداعية إلى الحرب ؟

فكيف يصح لدولة تدعو إلى الحرب ، وتسبب بدعوتها تلك ، اندلاع الحرب فعلا .. فكيف يصح لها أن تتأخر ـ ٢٢ ـ ساعة عن دخولها بصورة فعلية ، إن كانت جادة فى دعواها ؟ ! ..

قد يقول قائل : إنه لو قامت القوات السورية بالهجوم ، لتم تدميرها كلها على الأرض الإسرائيلية . حسناً .. ولكن القوات السورية قد دمرت وشردت فعلا .. ولكن على الأرض السورية ، وليس على الأرض المحتلة ..

وما دام التدمير قد حصل .. ألم يكن أجدى من الناحية المعنوية .. بل وحتى من الناحية العسكرية ، أن يتم التدمير ذاك .. للقوات وهى فى هجوم فعلى ضد العدو ، بدل أن يتم التدمير ، خلال هروب جبان ذليل ؟ .

٤ – وتثبت هذه الرواية للقارئ ، صحة ما أثبتناه ، من أن الوثائق والخرائط قد تركت سليمة ، واستولى عليها العدو .. ولو أن العدو لم يتمكن من الاستيلاء عليها ، فمن أين له أن يزود الكتاب والصحفيين الغربيين الموالين بتفاصيل خطة الهجوم السورية ، وأسماء الألوية التى حشدتها القيادة ، وأنواع كتائب الدبابات وتسليحها ، والقانصات .. وإلخ من تلك المعلومات ؟ !

(ب) ومن هذه الرواية ، وكل الروايات التى قيلت عن الحرب ، ومن المعلومات التى حصلت عليها من الذين اطلعوا على حقيقة الأحداث ، ومن منطوق البلاغات العسكرية السورية التى صدرت خلال فترة الحرب يتبين لنا ما يلى :

١ – إن القوات السورية الأساسية ، لم تقاتل .. وإن كل ما برز فى وجه الغزاة والأعداء ، لم يخرج عن كونه مقاومة بطولية من عسكريين ، عز عليهم أن يروا أقدام الغزاة تدنس أرضهم ، فمارسوا رجولتهم ، وحققوا

بطولاتهم المعجزة ، التى جعلت العدو نفسه يعترف بعجزه عن مجابهتها .. فاضطر لإخمادها بالكثافة النارية الهائلة ، من الطيران والمدفعية ونيران الدبابات .. وما حيلة الأبطال القلائل .. فى وجه جموع زاحفة وإمكانيات نارية مخيفة ، خلا الجو لها ، فصبت كل حقدها على الأسود الذين وقفوا بعزة ورجولة لحماية الأرض ؟ ..

٢ – وقد ثبت حتى الآن أيضاً ، أن أول ما تمكنت القوات الغازية من اختراق الدفاع السورى ، كان فى قطاع واسط ، ثم القطاع الشمالى .. ثم الأعمال السريعة التى نفذتها القوات العدوة لإجراء الالتفاف ، وحتى التطويق ضد المقاومات التى اعترضتها ، وهذا ما توقعه القادة المتعاقبون على الجبهة .. وما حسب له الخبراء الذين كان لهم دور فى رسم خطة تحصينها وأسلوب قتالها .. ولكن المرسوم لم ينفذ .. فلم يبق أمام قوات الغزو إلا أن تتقدم ، مستفيدة من كل الفرص التى سنحت لها .. وهى والله فرص تاريخية نادرة فى تاريخ الحروب .. !

٣ – اعتمدت القوات الإسرائيلية « وخاصة وحدات الدبابات » اعتماداً كبيراً ، على الجرارات ، (البلدوزر) لفتح الطرق فى أرض وعرة عديمة الطرق تقريباً ، وهذا أمر منطقى ، وطبيعى أن يلجأ العدو لمثل هذا الأسلوب .. ولكن هذا الأسلوب هو بحد ذاته يشكل نقطة ضعف كان فى وسع المدافعين أن يستفيدوا منها ، لو أن القوات صمدت حقاً ، وقاتلت كما كان عليها أن تقاتل .

فالجرارات هذه ، هى فى الحقيقة تشكل هدفاً (لذيذاً) لنيران المدفعية ، والمدفعية م - د ، وحتى ارشاشات المشاة ، وذلك لأن هذه الجرارات ، عديمة التصفيح أو ضعيفته ولو أن القوات كانت واعية لتحركات العدو ، لكان بإمكانها تدمير الجرارات ، فتشكل هذه عقبات كبيرة فى وجه الدبابات التى تتحرك وراءها .. وبذلك كان يمكن إحباط هذه المحاولة التى نفذها العدو وهو يعتقد أنه حقق عملا « ذكياً » .. وكان يمكن بعد ذلك ، تركيز نيران المدفعية وحتى الهجمات المعاكسة على دبابات العدو .. وتكون مجزرة له .

ولكن . . يا حسرتا على ما فرط الجيش فى حق بلاده التى ائتمنته ، فما كان للأمانة أهلا . . !

(ج) الملاحظ أن كل الروايات التى صدرت من القادة الإسرائيليين ، أو التى سردها صحفيون أجانب قالوا إنهم رأوا الحرب . . أن روح الغطرسة والعجرفة تفوح من كل أقوالهم . . وغايتهم فى ذلك ادعاء « الشجاعة والذكاء» فى الجيش العدو وقادته .

وهذا أمر طبيعى أن يصدر من عدو حصل على نتائج مذهلة بأقل ما يمكن من التضحيات . . وبفضل العون الأجنبى والتآمر .

ولكن غير الطبيعى . . والمرفوض رفضاً مطلقاً . . أن لا يتصدى العسكريون العرب ، والكتاب العرب ، لتفنيد تلك المزاعم . . وتحطيم تلك الحرب النفسية ضد شعوبنا ، المغلوبة على أمرها . .

إن من واجب حملة الأقلام . . وأصحاب الخبرات ، أن يتصدوا لتلك التبجحات ، ويكشفوا زيفها . . فإن ترك العدو يمارس تلك الكبرياء فى ادعاءاته . . لهو والله تقصير فى الواجب الذى على مفكرى هذه الأمة أن يقوموا به . .وإن هذا التقصير إن استمر أكثر من هذا . . فهو قد يبلغ حدود الصمت المتواطىء . . فهلا تحرك المفكرون المخلصون لممارسة هذا العبء الكبير .. !

(م) وفى نهاية هذا الشرح المفصل للأحداث ، أرى من الضرورة أن أضع أمام القارىء ، صورة لتسلسل الحوادث والتصريحات والأقوال ، كما جاءت على لسان أصحابها أو كما نشرت ، وفى تواريخها حسب التسلسل اليومى للأيام العصيبة ، فلعل ذلك يفيد فى المقارنة بين الأقوال والتبجحات والتهويشات التى ملأنا سمع الدنيا بها ، وبين حقيقة الأفعال التى صدرت منا ، فجعلتنا فى عيون العالم ، أذلاء مهانين .

(أ) فترة التوتر التي سبقت الحرب :

الجمعة ١٢ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ :

كان هذا اليوم بداية التطور الحقيقى فى تسارع الحوادث نحو الحرب ، ونقطة الانعطاف الخطرة ، للأحداث نحو الاتجاه المحتوم الذى سارت فيه باتجاه الحرب .

فى هذا اليوم ، أعلنت وكالة (يونايتدبرس) للأنباء ، أن مصدراً إسرائيلياً رفيعاً قال :

« إنه إذا ما استمرت سورية فى دعم عمليات التخريب داخل إسرائيل فإن ذلك سيستتبع بالضرورة قيام إسرائيل بعمل عسكرى لقلب نظام الحكم فى سورية » .

وأعلنت وكالة « أسوشيتد برس » ، أن مصدراً عسكرياً إسرائيلياً هدد باستعمال القوة ضد سورية لوقف غارات الفدائيين المنطلقة من سورية ، وقال :

« إن أمام إسرائيل عدداً من الاحتمالات يتراوح بين شن حرب عصابات على سورية ، وبين غزو سورية واحتلال دمشق » .

السبت ١٣ ـ ٥ ـ ١٩٦٧ :

ناطق رسمى فى وزارة الخارجية السورية ، صرح بأن الوزارة استدعت ممثلى الدول الأعضاء لدى مجلس الأمن الدولى فى الجمهورية العربية السورية ، وأوضحت لهم « **المؤامرة التي تحيكها الدوائر الاستعمارية والصهيونية ضد القطر العربى السورى** » .

وأوضحت لهم الأمور التالية :

١ ـ أن التهديدات الإسرائيلية المتعاقبة « **ليست إلا تحضيراً جديداً للرأى العام الدولى من أجل تغطية العدوان الصهيونى المقبل وعملا استفزازياً ضد سورية** » .

٢ — إن محاولة إسرائيل « استغلال المنظمات الدولية لستر عدوانها المقبل ، ستبوء بالفشل الأكيد ، لأننا أبلغنا سفراءنا فى جميع الدول وكذلك الأمين العام للأمم المتحدة والدول الأعضاء فيها حقيقة موقف إسرائيل كأداة بيد الاستعمار . . وكوجود يقوم على الاغتصاب والغزو ، ويتمرد على جميع قرارات المنظمة الدولية » .

٣ — « حجة إسرائيل بأعمال الفدائيين الفلسطينيين وتحميل مسئولية ذلك للجمهورية العربية السورية أمر مرفوض دولياً »لأن الشعب الفلسطينى يرفض الوصاية .

٤ — « إن الانطلاق من النضال العربى الفلسطينى للعدوان على سورية ، لا يمكن أن يخفى المؤامرة الاستعمارية الصهيونية الرجعية . . التى ترتكز على عدوان إسرائيلى كبير يتذرع بمختلف الحجج الواهية ، يتلوه عدوان من مرتزقة وعملاء المخابرات فى الأردن . . مع تحركات الرجعية وفلول العملاء المتضررين بالثورة ، كل ذلك بحراسة الإمبريالية العالمية وتخطيطها . . » .

٥ — « إن التهديد الوقح بالقيام بعمليات عسكرية واسعة ، وبخوض الحرب ضد سورية لن يرهب أحداً » ، لأنه « لن يسقط النظام الثورى فى سورية ، بل سيزيده مناعة وقوة ، وسيسقط الأنظمة الرجعية العميلة ، ويحرك الجماهير العربية فى ثورة عارمة » .

٦ — « إن الأعمال العدائية الموجهة ضد سورية تهدف فيما تهدف إلى صرف الأنظار عما يجرى فى عدن والجنوب العربى ، وتخفيف ضغط الحرب الشعبية على الاستعمار والرجعية » ولكن ذلك كله سيفشل .

٧ — إن الجمهورية العربية السورية « تحمل إسرائيل وحماتها مسئولية ما سيحدث فى المنطقة وأنها لتؤكد استعداد الحكومة والشعب لمواجهة أى عدوان . . وستوضع اتفاقات الدفاع المشترك موضع التنفيذ ، كما أن العدوان سيجابه بحرب التحرير الشعبية التى ستخوضها كل الجماهير العربية » .

وفى اليوم نفسه ، صرح ليفى أشكول ، رئيس الحكومة الإسرائيلية ، فى خلال كلمة ألقاها من الإذاعة الإسرائيلية بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لإقامة الدولة . .

« .. أنه من الواضح أن سورية هى مركز الأعمال التخريبية ، غير أن إسرائيل تحتفظ لنفسها باختيار المكان والزمان والوسائل اللازمة للرد على المعتدى » .

وقام وفد عمالى سورى برئاسة خالد الجندى رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال السورية ، بزيارة الجبهة السورية (الجولان) ، فألقى **العقيد أحمد المير** قائد الجبهة يومذاك ، خطاباً فى الوفد جاء فيه : . . « **أن معنويات جنوده عالية** » ، و « **أن هذه المعنويات مستمدة من إيمانهم بشعبهم الكادح** » وحذر من أن الاستعمار « **قد يجتاح سورية** » ودعا فى هذه الحالة إلى « **شن حرب عصابات عليه فى داخل سورية وخارجها** » على اعتبار أن « **المشكلات مع الاستعمار لا تحل إلا بالحرب الشعبية** » . قائد الجبهة أكد أن الطيران له تأثير معنوى أكثر من تأثيره المادى إلا أنه أهاب بالمواطنين أن يتخذوا كافة الإجراءات الواقية منه .

الأحد ١٤ - ٥ - ١٩٦٧ :

— ناطق رسمى سورى أدلى بتصريح قال فيه : أن الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة فى ج . ع . م عقد فور وصوله إلى دمشق عدداً من الاجتماعات مع كل من اللواء حافظ أسد وزير الدفاع السورى ، واللواء أحمد سويدانى رئيس أركان الجيش السورى . وأضاف الناطق « . . . **أن كلا من ج . ع . م وسوريا تواجهان بجد واجبهما القومى التاريخى إزاء قضية فلسطين خاصة وقضية الشعب العربى عامة** » .

— الميجر جنرال إسحق رابين ، رئيس أركان الجيش الإسرائيلى ، قال فى مقالة نشرت فى تل أبيب اليوم :

« إن إسرائيل تعلم جيداً أن سورية تقف وراء نشاط التخريب » .

وأضاف يقول : « **إن أى عمل تقوم به إسرائيل ضد سورية سيكون مختلفاً عن أية أعمال انتقامية قامت بها القوات الإسرائيلية فى الماضى ، ذلك لأن المشكلة مع سورية مختلفة لأن السلطات هى التى تقوم بدعم نشاط المخربين وبالتالى فإن هدف القيام بعملية ضد سوريا سيكون مختلفاً** » .

— الأنباء الواردة من الأرض المحتلة ذكرت أن تحشدات عسكرية وتحركات غير طبيعية بدأت تظهر على الحدود السورية الإسرائيلية .

الاثنين ١٥ - ٥ - ١٩٦٧ :

- الدكتور جورج طعمة ، مندوب سورية لدى الأمم المتحدة . بعث برسالة إلى رئيس مجلس الأمن لهذا الشهر ، لفت فيها أنظار المجلس إلى الوضع « القابل للانفجار » . . وحذر من « سويس ثانية » . . وأنحى باللائمة على وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية « **لإعدادها وتمويلها مؤامرة لإسقاط نظام الحكم فى سورية** » . وقال : « **إن من المستحيل على سورية السيطرة على نشاط هؤلاء** - يقصد الفدائيين - **أو حماية خط الهدنة الذى يمتد على حدود عدة دول** » .

- غالب كيالى ، القائم بأعمال السفارة السورية فى واشنطن ، صرح بعد اجتماع تم بينه وبين مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأدنى (لوشيوس باتل) قال فيه : « **إن باتل قرأ أمامه مذكرة تعبر عن قلق حكومة الولايات المتحدة إزاء الحالة على خطوط الهدنة** » وأضاف كيالى يقول : **إننى أبلغت مساعد وزير الخارجية الأمريكية أن سورية تتوقع عدواناً صهيونياً قريباً ، وتعتقد أن هذا العدوان يحظى بتأييد الولايات المتحدة . . وقد أبلغته أيضاً أن سورية لا تستطيع منع شعب فلسطين من مواصلة كفاحه من أجل استعادة وطنه المغتصب** » وأعلن كيالى أن سورية سترد على أى عدوان صهيونى بكل ما تملك من قوة ، وقال : « **إن أحداً لا يستطيع أن يحدد منع الانفجار أو أن يمنع اشتعال منطقة الشرق الأوسط بأسرها** » **فى حال تجدد القتال بين سورية وإسرائيل** .

- الوكالة السورية للأنباء ، أوردت نبأ يفيد أن هناك تنسيقاً كاملا بين المخابرات الأردنية والمخابرات الإسرائيلية لقمع أعمال الفدائيين الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة . وأضافت الوكالة تقول أن رجال المخابرات الإسرائيلية وحرس الحدود الإسرائيلى تسلموا بطاقات خاصة تخولهم دخول الأراضى الأردنية لمسافة ثلاثة كيلو مترات لتتبع الفدائيين . وبالمقابل تسلم رجال المخابرات الأردنية بطاقات إسرائيلية مماثلة تخولهم دخول الأرض المحتلة لمسافة ثلاثة كيلو مترات للغرض نفسه .

- جريدة المحرر البيروتية . نشرت تصريحاً أدلى به وزير الإعلام

السوري محمد الزعبي جاء فيه : «... أن المعركة ليست معركة قطرية ، وإنما هي معركة الشعب العربي كله ، وستجعل هذه المعركة لقاء القوى القومية والتقدمية أمراً محتماً ولا بد أن تعجل هذه اللقاءات في الوحدة » .

— الدكتور عدنان الباجه جي استدعى سفراء بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي والقائم بأعمال السفارة الأمريكية في بغداد ، وبحث معهم الحشود والتهديدات الإسرائيلية ضد سورية ، وأبلغهم أن العراق « لن يقف مكتوف الأيدي في وجه أي اعتداء على سورية وأنه سيساهم مساهمة فعالة في رد مثل هذا العدوان » .

— وكالة أنباء (نوفوستي) السوفيتية الرسمية قالت : « أن الاتحاد السوفيتي أعلن عن استعداده لتقديم المساعدة الضرورية للجمهورية السورية التي تدافع عن استقلالها وحقها في البناء السلمي لمجتمع مزدهر » .

الأربعاء ١٧ - ٥ - ١٩٦٩

— جريدتا (البعث) و (الثورة) الدمشقيتان قالتا : أنهما قد علمتا أن القوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية أصبحت في كامل استعدادها تدعمها قوات الجيش الشعبي التي احتلت مكانها وفق المخططات الدفاعية .

— خلال زيارة لبعض وحدات الجبهة (الجولان) قام بها رئيس وزراء سوريا (الدكتور يوسف زعين) ، و (اللواء أحمد سويداني) رئيس أركان الجيش ، و (العقيد أحمد المير) قائد الجبهة (الجولان) . ألقى الزعين كلمة في الضباط قال فيها : « . . . إن بعض أنظمة الحكم العربية ، تتظاهر بأنها تساند قضية الشعب العربي في فلسطين ، ولكن المعركة كفيلة بكشف كل الحقائق » . وأضاف : « أن شعار لقاء القوى التقدمية من خلال المعركة قد ثبتت أصالته » . وأكد أن المعركة « لن تنتهي في شهر أو شهرين بل يجب أن تمضي إلى نهاية الشوط حتى تصبح الأرض العربية حرة في كل مكان » .

— جريدة (ازفستيا) السوفيتية قالت : « إن اليمين في إسرائيل يريد الزحف على دمشق » . وأضافت : « أن الدوائر المتطرفة في إسرائيل تستمر في سياسة إثارة الصدام مع الأقطار العربية المجاورة » وقالت : إن إسرائيل تسير على طريق العدوان لتدفع ثمن المعونات الأمريكية السخية » .

الخميس ١٨ - ٥ - ١٩٦٧

الدكتور إبراهيم ماخوس ، أدلى بتصريح إلى وكالة الأنباء العربية السورية عقب عودته من زيارة للقاهرة استغرقت ثلاثين ساعة اجتمع خلالها بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعدد من القادة الكبار في ج . ع . م . وقد جاء في التصريح :

« . . إن زيارتي للقاهرة كانت لوضع اللمسات الأخيرة على الوضع السياسي العربي والدولي » . « . . إن مخططات الرجعية والاستعمار والصحف الصفراء التي دأبت على التشكيك بلقاء القوى التقدمية قد دحرت » . « .. إن سحب قوات الطوارىء بالشكل الذي تم به يبرهن على أن لا شيء يقف في طريق الثورة ، وأن تشكيك الرجعية حول وجود هذه القوات قد رد إلى نحرها » .

وهاجم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك السعودية والحسين ابن طلال ملك الأردن بأقوال لا يليق أن نذكرها ، ويمكن للراغب الرجوع إليها في المجلدين الرابع والخامس من اليوميات الفلسطينية ص ٤٦٠ . إصدار مركز الأبحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ بيروت .

ـ المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية اليمنية ، أعلن في تصريح له لوكالة أنباء الشرق الأوسط ، أن : « **الجمهورية العربيـــة اليمنيـــة شعباً وحكومة تقف بكل إمكانياتها وطاقاتها بجانب سورية الشقيقة ضد مؤامرة الاستعمار والرجعية والصهيونية** » .

الجمعة ١٩ - ٥ - ١٩٦٧

ـ الرائد محمد إبراهيم العلي قائد الجيش الشعبي في سورية . **أكد أن عشرات الألوف من جنود الجيش أصبحوا في حالة تأهب واستعداد تام للقتال .**

السبت ٢٠ - ٥ - ١٩٦٧

ـ الدكتور إبراهيم ماخوس ، صرح لجريدة أخبار اليوم : « **أن جميع مطارات سورية مفتوحة للطيران المصري ، وأن كل ما يقرره العسكريون سينفذ في الحال ولا دخل للسياسيين في ذلك . ولتثق إسرائيل ومن يشفقون**

على إسرائيل أنها ستواجه ضربات مصرية — سورية من جميع الجهات » .

— محمد الزعبي وزير الإعلام السوري ، أدلى بتصريح إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط قال فيه :

« إن أهم الدلالات التي يشير إليها الوضع الراهن في المنطقة هي :

١ — لقد أثبتت الوقفة الجبارة للقوى الثورية والتقدمية العربية ، أن قوة دولة العصابات .. ليست إلا أقل من نمر من الورق الهش القميء المهترىء .

٢ — هناك علاقة جدلية بين المناخ الثوري ولقاء القوى التقدمية بحيث يتعزز كل منهما بالآخر يدفع به ويندفع معه . .

٣ — هناك علاقة أخرى مضادة بين قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية .

٤ — إن رفع شعار حرب التحرير الشعبية ، وتبني الجماهير له ، ومباشرة العمل الفدائي واتباع سياسة ضرب مواقع العدوان داخل الأرض المحتلة . . أسقط القناع عن وجه دولة العصابات الجبان ، وكشف تفوقها المزعوم .

٥ — لم يعد بإمكان إسرائيل أن تشلك بحق أبناء فلسطين في العمل الفدائي داخل أرضهم المحتلة . .

إن إسرائيل اليوم محصورة بين فكي الكماشة : الجيوش العربية المستنفرة من جهة . وأعمال الفدائيين من جهة أخرى . وهيهات لها أن تفلت من تلك الكماشة » .

الاثنين ٢٢ - ٥ - ١٩٦٧

— الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدولة السورية : ألقى في حفل افتتاح الدورة الطارئة للمجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب في دمشق ، خطاباً قال فيه : « **إن سورية و ج . ع . م اتخذتا ما يلزم ، لا لإحباط المؤامرات الاستعمارية والرجعية والعدوان الصهيوني فحسب ، بل ولخوض معركة تحرير فلسطين عند أول تحرك عدواني » .** وجاء في خطابه : « **إن أصوات التهديدات الإسرائيلية قد خفتت بعد أن أصبحت إسرائيل بين فكي ج . ع . م وسورية » .**

ثم حمل حملة عنيفة على الملك فيصل والملك حسين ، واتهمهما بالتآمر لاستغلال الشعور الديني و . . . إلخ . (انظر التفاصيل في ص ٤٧٤ من المرجع نفسه » .

— جريدة (برافدا) السوفيتية : « . . . إن هناك مؤامرة جديدة تعدها الإمبريالية الأمريكية وإسرائيل والرجعية العربية لضرب نظام الحكم التقدمي في سورية » .

الثلاثاء ٢٣ - ٥ - ١٩٦٧

— الدكتور يوسف زعين واللواء أحمد سويداني وصلا فجأة إلى القاهرة . قال زعين : « ليس هناك أي داع للحديث ، فنحن قادمون من أجل الحرب » .

— العقيد أحمد المير ، قائد الجبهة السورية : صرح بأن الجبهة أصبحت معبأة بشكل لم يسبق له مثيل من قبل . وقال : « إن العرب لم يهزموا في معركة ١٩٤٨ على أيدي الإسرائيليين ، بل من قبل حكامنا الخونة ، وهذه المرة لن نسمح لهم أن يفعلوا ذلك » .

— على أثر حادث انفجار لغم في سيارة في مركز الرمثا الأردني على الحدود الأردنية ، الذي نتج عنه مقتل ١٥ شخصاً وإصابة ٢٦ آخرين بجروح ، تأزمت العلاقات بين سوريا والأردن ، وأمرت السلطات الأردنية سفير سوريا ونائب قنصلها بمغادرة الأردن(١) .

— محمد الزعبي وزير الإعلام السوري صرح لوكالة أنباء الشرق الأوسط : « . . أن الحكومة العميلة في عمان إنما افتعلت هذا الحادث لتبرير قطع العلاقات ، ولأن الملك حسين بحاجة دائماً لأن يعمل في الظلام ، وخاصة في هذه الأيام ، لينفذ مخططات الاستخبارات الأنجلو — أمريكية ، دون رقيب أو حسيب » .

— القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، أصدرت في دمشق بياناً دعت فيه : « جميع التقدميين والمنظمات الشعبية » في الوطن العربي إلى : « الانقضاض ساعة الصفر على الجيوب الرجعية والاستعمارية وإلى تدمير قواعد الاستعمار واحتكاراته النفطية وخطوط مواصلاته وتموينه أينما وجدت » .

---

(١) الحادث هذا دبرته المخابرات السورية كجزء من مخططها التخريبي في المنطقة .

ـ الحكومة السوفيتية أصدرت بياناً أعلنت فيه دعمها للدول العربية ، جاء في البيان : « **إن من يغامر بشن عـــدوان في الشرق الأدنى سوف يجابه لا بالقوة الموحدة للشعوب العربية فحسب بل وبالمقاومة الحازمة من قبل الاتحاد السوفيتي والدول المحبة للسلام** » .

الخميس ٢٥ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

ـ الدكتور نور الدين الأتاسي ، تحدث إلى أعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب الذين زاروه بعد انتهاء مؤتمرهم الطارىء في دمشق . . قال محذراً : « **إن الأحداث تصاعدت بشكل ينذر بحرب شاملة في الشرق الأوسط ، وإن الشعب السوري مصمم على خوض معركة الثأر من المستعمرين والمستغلين ومعركة الثأر للجماهير الكادحة التي عانت كثيراً من الاستعمار والاستغلال** » .

الجمعة ٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

ـ إذاعة دمشق أذاعت تعليقاً سياسياً قالت فيه : « **إن سورية ترفض اقتراح الجنرال شارل ديجول ، بعقد مؤتمر ذروة للدول الأربع الكبرى ، إذ أن العرب لم يعودوا يقبلون وصاية أي كان على الشرق الأوسط** » .

ـ إذاعة بغداد أعلنت أن وحدات عسكرية عراقية من المشاة والمدفعية والمدرعات غادرت أربيل في شمال العراق للالتحاق بالقطعات العراقية الرئيسية التي تتحرك نحو الجبهة السورية مع إسرائيل .

السبت ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

ـ وكالة « أسوشيتد برس » قالت : إنه لم يعلن رسمياً حتى الآن في دمشق عن تحركات القوات العراقية .

الأحد ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

ـ اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري ، وجهت رسالة إلى جميع الأحزاب الشيوعية في العالم تلفت فيها نظرها « **إلى الوضع المتوتر الذي يحيط بسورية ويشعل منطقة الشرق الأوسط بأسرها** » . وأضافت : « **إن منشأ هذا الوضع هو أن الامبريالية الأمريكية تنظر بعين الغضب والحقد إلى نظام الحكم التقدمي في سورية . . وقد فشلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية**

فى مساعيها لقلب الأوضاع فى سورية عن طريق الرجعية الداخلية فأخذت تلجأ إلى أساليب الضغط والعدوان على سورية من الخارج » . وأهابت الرسالة « بالرفاق الشيوعيين » أن يمدوا لشعب سوريا يد التضامن لإحباط العدوان الإسرائيلى الذى يسيره ويوجهه الاستعمار الأمريكى .

– التوقيع على اتفاق تنسيق العمل بين الجيشين السورى والعراقى تم فى دمشق . وقد وقع الاتفاق عن الجانب العراقى العميد محمود عريم . ووقعه عن الجانب السورى اللواء عادل شيخ أمين(١) .

– صرح وزير الإعلام السورى ، محمد الزعبى : بأن قوات من الجيش العراقى قد دخلت الأراضى السورية واتخذت مواقعها المحددة(٢) .

الاثنين ٢٩ - ٥ - ١٩٦٧

– وصل فجأة إلى موسكو الدكتور نور الدين الأتاسى رئيس الدولة السورية مع وفد يضم الدكتور إبراهيم ماخوس ، ومحمد الزعبى . وأجرى الوفد مباحثات مع المسئولين هناك ...

فى اجتماع طارىء لاتحاد المحامين العرب عقد فى دمشق ألقى يوسف زعين رئيس الحكومة السورية كلمة فى جلسة الافتتاح قال فيها :

« إن انحناء إسرائيل أمام الرد العربى الحاسم الآن ، يجب أن لا يفسر بأنه انتصار نهائى عليها ، فهو ليس إلا بداية الطريق لتحرير فلسطين ، وتدمير إسرائيل . . . وإن الظروف اليوم هى أفضل من أى وقت مضى لخوض معركة المصير العربى » .

وقال : **« إن الشعوب العربية ستحاسب كل من يتخاذل عن الواجب » .**

وقال : **« إن المسيرة إلى فلسطين ، هى المسيرة إلى إسقاط الرجعية العربية والاستعمار والصهيونية إلى الأبد » .**

ثم أشاد باستعداد سورية لخوض المعركة .

---

(١) من الضباط النادرين غير البعثيين ، الذين أبقاهم حزب البعث فى الجيش ، نظراً لأنه لا يشكل أى تهديد للسلطة البعثية ، فهو معروف بأنه مسالم لدرجة غريبة .

(٢) تبين فيما بعد أنها لم تتحرك للجبهة وإنما رابطت حول دمشق ولم تشترك فى القتال .

ـ وكالة الأنباء العربية السورية كشفت النقاب عن أن سفير الولايات المتحدة في دمشق ، قدم مذكرة شفوية تتعلق بالوضع الراهن فى الشرق الأوسط إلى الدكتور إبراهيم ماخوس . علم أن المذكرة تضمنت النقاط التالية :

١ ـ إن حدة التوتر بين الدول العربية وإسرائيل ارتفعت فى الفترة الأخيرة .

٢ ـ إن الولايات المتحدة لا تعتقد بوجود نوايا عدوانية لدى إسرائيل .

٣ ـ إن الحكومة الأمريكية تشعر بقلق خاص تجاه ما أسمته أعمال الإرهاب (العمل الفدائى الفلسطينى) وتعتبرها مغايرة لاتفاقات الهدنة .

٤ ـ إن الحكومة الأمريكية قلقة من انسحاب قوات الطوارىء الدولية وتعمل على إعادة وجود الأمم المتحدة على خط الهدنة بين ج . ع . م وإسرائيل بأية صورة من الصور .

٥ ـ الحكومة الأمريكية تعتقد بأن حشد القوات يزيد من حدة التوتر .

٦ ـ الحكومة الأمريكية تتمسك « بحرية المرور فى خليج العقبة للسفن الإسرائيلية وسفن جميع الدول الأخرى » .

٧ ـ الحكومة الأمريكية تؤكد عزمها على التدخل بالمقاومة الشديدة لكل اعتداء فى المنطقة .

الدكتور ماخوس رد على المذكرة الأمريكية فوراً مؤكداً انحياز أمريكا إلى جانب إسرائيل وموضحاً النقاط التالية :

١ ـ ليس للولايات المتحدة ما يميزها عن غيرها من الدول الأعضاء حسب ميثاق الأمم المتحدة ولا تملك حق التدخل فى شئون المنطقة أو فرض وصايتها عليها .

٢ ـ لم يرتفع التوتر خلال الأيام القليلة الماضية فقط ، وإنما لازم المنطقة العربية منذ فرض الاحتلال الإسرائيلى . ووزارة الخارجية السورية تؤكد النوايا العدوانية لإسرائيل ، وتهديدات المسئولين الإسرائيليين أبلغ دليل على ذلك .

٣ ـ تؤكد سورية أنها ليست مسئولة عما يقوم به الشعب الفلسطينى لاسترداد حقوقه طبقاً لحق تقرير المصير ، كما أن هذا الشعب ليس طرفاً فى اتفاقيات الهدنة .

٤ ـ الحكومة السورية تؤكد حق ج . ع . م فى سحب قوات الطوارىء الدولية وفى ممارستها لسيادتها على خليج العقبة .

الثلاثاء ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٦٧

ـ الدكتور نور الدين الأتاسى والوفد المرافق له عادوا من موسكو بعد زيارته لها .

ـ محمد الزعبى وزير الإعلام السورى صرح بأن الاتحاد السوفييتى أكد تأييده « **للخط الثورى التقدمى** » الذى تنتهجه سورية . كما أكد وقوفه « **بحزم ضد أى عمل عدوانى قد يتعرض له الشعب العربى من جانب إسرائيل ومن وراءها** » ووصف محادثات الوفد مع المسئولين السوفييت بأنها « **صريحة** » وقال : « **إن الدكتور الأتاسى أكد للزعماء السوفييتين أن التهديدات والحشود العدوانية الصهيونية ليست إلا جزءاً من مخطط استعمارى عام لضرب حركة التحرير فى الشرق الأوسط** » .

الجمعة ٢ ـ حزيران ـ ١٩٦٧

ـ إذاعة بغداد قالت إن قوة كبيرة من المشاة توجهت بالقطارات من أربيل فى شمال العراق إلى حيث تأخذ مواقعها فى الجبهة . كذلك فعلت وحدة الآليات التى وصفت بأنها على درجة عالية من التدريب فى القتال السريع ، وأنها مزودة بآليات ثقيلة حديثة .

ـ ناطق إسرائيلى عسكرى زعم أن جنديين إسرائيليين وجندياً سورياً قتلوا فى اشتباك بين دورية إسرائيلية وفريق من الفدائيين على بعد كيلومتر واحد من الحدود السورية .

ـ البريجادير جنرال حاييم هيرتسوج : كتب فى الملحق الأسبوعى فى جريدة « جيروساليم بوست » محللا وضع الجيشين المصرى والسورى ، وقد جاء فى هذا المقال : « **. . . أما الجيش السورى البالغ عدده ٦٥ ألفاً فهو ضئيل جداً بالنسبة لمساحة سورية . وأضاف إن الانقلابات التى تعانى منها سورية وينتج عنها تغيير دائم فى صفوف الضباط وترفيعات مفاجئة لا تستند على أساس الخبرة بل على أساس الانتماء السياسى ، كل هذا أضعف الجيش السورى كثيراً** » .

السبت ٣ حزيران ١٩٦٧

ـ مصدر رسمى سورى صرح بأنه قد تم وضع الترتيبات الكفيلة بحماية مدينة دمشق من جميع الأخطار . وتم دهن مصابيح السيارات ومصابيح الساحات العامة باللون الأزرق الداكن تنفيذاً لتعليمات مديرية الدفاع المدنى . وأعلن المجلس البلدى فى دمشق أنه قرر التبرع بمبلغ ٢٠٠ ألف ليرة سورية للجيش السورى ، وقرر أعضاء هيئة التدريس فى جامعة دمشق التبرع بنسبة ١٠ بالمئة من مرتباتهم للجيش .

ـ الجنرال بيغال آلون ، وزير العمل الإسرائيلى ، قال فى اجتماع الليلة البارحة : أن تحقيق ثلاثة أمور سيجنب المنطقة الحرب وهذه هى : إعادة فتح خليج العقبة ، وتخفيض القوات المحتشدة على الحدود ، والتعهد بوقف أعمال التخريب .

ـ الميجر جنرال موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلى عقد مؤتمراً صحفياً اليوم قال فيه : « **إنه قد فات الوقت لردة فعل عسكرية(١) فورية على إغلاق ج . ع . م لمناطق تيران** » . . .

. . . إذا حاول أحد تحقيق حرية المرور من مضائق تيران بالوسائل الدبلوماسية فليعط الفرصة لذلك . .

. . . إذا وقع صدام فسيكون غالى الثمن . .

. . . إن الدول العربية لديها من الجيوش والأعتدة أكثر بكثير مما لدى إسرائيل ولكن الأمر يعتمد كثيراً على مكان المعركة . مثل ذلك أنه سيكون من الصعب جداً على الجيش الإسرائيلى بعدده الحالى أن يذهب للقتال فى بغداد أو القاهرة ، وآمل أن يكون صعباً جداً عليهم بأعدادهم المتفوقة أن يهاجموا تل أبيب ، لأن عليهم أن يسيروا من قواعدهم إلى إسرائيل .

الأحد ٤ حزيران ١٩٦٧

ـ القيادتان القطرية والقومية لحزب البعث العربى الاشتراكى الحاكم فى سوريا بحثتا فى اجتماع مشترك اليوم تقريراً مفصلا عن نتائج مباحثات الدكتور إبراهيم ماخوس وزير الخارجية ونائب رئيس الحكومة فى روما وباريس والجزائر وكان ماخوس قد عاد من رحلته الرسمية لتلك البلدان .

---

(١) انظر البراعة فى الخداع .

وذكرت الأنباء أن اللاجئين السوريين فى العراق طلبوا من حكومتهم السماح لهم بالعودة لاستغلال كفاءاتهم فى المعركة .

(ب) فترة الحرب :

الاثنين ٥ - حزيران ١٩٦٧

- راديو القاهرة قطع إذاعته حوالى الساعة ٩.٥٠ بتوقيت القاهرة(١) ليعلن أن قوات إسرائيل بدأت تهاجم ج . ع . م .
- راديو دمشق قطع برامجه العادية ليعلن أن إسرائيل هاجمت ج . ع . م صباح اليوم . وهذه أهم ما صدر عن هذا الراديو .
- بلاغ صادر من وزير الداخلية يطلب من جميع عناصر الدفاع المدنى الالتحاق بمراكزهم .
- نداء إلى الشعب أعلن « **بدء معركة التحرير الشعبية ، حيث سيكون اللقاء فى قلب تل أبيب** » . وقال : « **سحقاً للصهاينة وسحقاً لأمريكا** » .
- دعا الراديو القوات السورية إلى « **مسح إسرائيل من الخريطة** » .
- أعلن ان أفراد الجيش الشعبي تسلموا أسلحتهم الكاملة ونزلوا إلى الشوارع واتخذوا مواقعهم المحددة لهم فى دمشق والمدن والقرى السورية .
- قال راديو دمشق أن القيادتين السورية والمصرية على اتصال دائم .
- أذاع الراديو بلاغاً من القائد الأعلى للقوات السورية المسلحة فى الساعة ١٢ ظهراً بتوقيت دمشق(٢) ، أعلن فيه دخول القوات السورية المعركة إلى جانب مصر. وقال : إن الطائرات السورية : « **بدأت قصف مدن العدو ومواقعه ومنشآته** » . ومضى يقول : « **إن سورية تلتحم مع العدو الآن . . . ولن تتراجع قبل إبادة الوجود الصهيونى إبادة كاملة** » .
- أذاع الراديو بياناً إلى الإسرائيليين باللغتين العربية والعبرية طلب فيه منهم أن يستمعوا إلى الإذاعات العربية وينتظروا الأوامر والتعليمات منها .
- شركة الأنباء الإقليمية ذكرت فى نبأ من دمشق أن أصوات المدافع المضادة للطائرات دوت فى المدينة أثناء غارة شنتها الطائرات الإسرائيلية على المدينة .

---

(١) التوقيت الصيفى .

(٢) التوقيت الصيفى كذلك

الأتاسي أعلن أن بلاده قررت أن تكون المعركة الحالية معركة التحرير النهائية لفلسطين . وقال فى إذاعة موجهـة إلى الشعب :

« لقد دقت ساعة النصر على أعداء العروبة وقد حفر الصهاينة الغزاة المتآمرون مع الاستعمار العالمى قبورهم بأيديهم عندما أغاروا اليوم على ج.ع.م» « إن الهجوم الإسرائيلى لم يتم إلا بتخطيط من الاستعمار العالمى الذى جعل من إسرائيل أداة للتنفيذ » . وقال : « لقد ألقى الشعب العربى بثقله فى المعركة الفاصلة ووضع الجيش السورى كل قواه الضاربة فى لهيب المعركة وإن نسورنا البواسل يدمرون منشآت العدو ومدنه وهم فى طريقهم لتحرير الأرض المغتصبة » .

وأما البلاغات التى أصدرتها سورية فقد كانت كما يلى وحسب الترتيب :

١ — قامت طائراتنا بقصف شديد لمطارات العدو فى المنطقة الشمالية وقد دمرت القسم الأكبر من المجهود الجوى للعدو . وقد شوهدت الطائرات العدوة وهى تحترق على الأرض . وعادت طائراتنا إلى قواعدها سالمة .

٢ — إن طائراتنا الآن تقصف مطارات العدو ومواقعه(١) الاستراتيجية وأرتاله البرية وقد اختفى طيران العدو من أرض المعركة . وقد اندلعت النار فى مصفاة البترول فى حيفا بعد أن ضربتها طائراتنا .

٣ — تسللت طائرات معادية فى أراضينا وقامت طائراتنا الساهرة على حماية الجو بالتعرض لها فاشتبكت معها وأسقطت ثلاث طائرات إسرائيلية سقطت اثنتان منها فوق الأردن ولم تصب طائراتنا بأذى .

٤ — حاول العدو أن يقوم بغارة جوية داخل أرضنا فتصدت له طائراتنا وجرى اشتباك جوى سقطت نتيجة له طائرة ميراج معادية .

٥ — حاول طيران العدو ضرب مطار المزة فتصدت له مدفعيتنا المضادة للطائرات وأسقطت طائرة ميراج معادية . هذا وقد شوهدت طائرة معادية تحترق وهى متجهة باتجاه الديماس (ميساون) غربى دمشق وقد سقطت الطائرة فى الجبال .

(١) أرجو شدة الانتباه إلى الكذب والتهويش فى كل ما صدر من إذاعة حزب البعث ومقارنته مع الوقائع التى شرحتها سابقاً ومع النتائج التى نعيشها اليوم .

٦ ــ اشتبكت مدفعيتنا المضادة للطائرات مع ثمانى طائرات إسرائيلية وأسقطت اثنتين منها وأسر أحد الطيارين الإسرائيليين .

٧ ــ نتيجة اشتباك جوى بين طائراتنا وطيران العدو أسقطت طائرتا ميراج فى الأراضى اللبنانية وأسر طيار إسرائيلى(١) .

٨ ــ نتيجة مهاجمة طيران العدو لأحد مطاراتنا أسقط طيراننا الباسل ثلاث طائرات ميراج للعدو وأسر طيار إسرائيلى وهو رهن التحقيق .

٩ ــ على كافة الإخوة المواطنين إلقاء القبض فوراً على أى طيار معاد يسقط فى أرضنا وإرساله حياً إلى أقرب مركز للجيش أو الشرطة .

١٠ ــ نتيجة مهاجمة طيران العدو لأحد مطاراتنا أسقطت مدفعيتنا المضادة للطائرات طائرة ميراج إسرائيلية .

١١ ــ هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا وحطمت مدفعيتنا المضادة طائرتين ميراج .

١٢ ــ هاجم طيران العدو مواقعنا فى الجبهة فأسقطت مدفعيتنا المضادة للطيران طائرة ميراج للعدو قرب خسفين .

١٣ ــ حاولت طائرات العدو قصف إحدى قواعدنا الجوية فأسقطت للعدو ثلاث طائرات وهكذا أصبح عدد الطائرات المعادية التى أسقطت فوق هذه القاعدة ٦ طائرات .

١٤ ــ نتيجة للاشتباكات الجوية التى جرت فوق أرضنا ، أسقطنا للعدو ٣٠ طائرة . هذا عدا عن الطائرات التى أسقطها سلاحنا الجوى ضمن أراضى العدو . يضاف إلى ذلك ما دمره سلاحنا الجوى أثناء الغارات التى قام بها فجأة على مطارات العدو الشمالية بكاملها منزلا بها تدميراً محققاً .

١٥ ــ هاجمت طائرات العدو مواقعنا فى الجبهة فتصدت لها مدفعيتنا المضادة وأسقطت للعدو طائرتين فوق تل يوسف .

١٦ ــ هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا فتصدت لها مدفعيتنا المضادة وأسقطت ثلاث طائرات ميراج .

---

(١) لاحظ أن البيان لم يوضح من الذى أسر الطيار الإسرائيلى هل هى قوات سوريا أم السلطات اللبنانية ، ولاحظ التناقض فى نص البلاغ ، إذ يقول بإسقاط الطائرتين فى أرض لبنان ثم يعلن أسر الطيار و بتلك السرعة الحازمة .

١٧ ـ هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا وتصدت لها مدفعيتنا المضادة فأسقطت طائرتى ميراج .

١٨ ـ هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا ، فتصدت لها مدفعيتنا المضادة للطائرات وأسقطت طائرة ميراج .

١٩ ـ هاجمت طائرات العدو أحد مطاراتنا فتصدت لها مدفعيتنا المضادة وأسقطت طائرة ميراج أخرى .

٢٠ ـ تحاول طائرات العدو بدون جدوى عرقلة قواعدنا الجوية ، وقد أسقطت الآن طائرة ميراج فوق أحد مطاراتنا .

٢١ ـ عدد الطائرات الإسرائيلية التى أسقطت فى الأراضى السورية خلال الاشتباكات التى جرت فوق الأراضى السورية وبواسطة المدفعية المضادة للطائرات بلغ حتى الآن (الساعة الخامسة بعد الظهر بتوقيت عمان وبيروت) ٥٠ طائرة . . وقال ناطق عسكرى إن هذا الرقم لا يشمل الطائرات المعادية التى دمرت فى إسرائيل نفسها نتيجة الاشتباكات الجوية بعد ضرب المطارات الإسرائيلية .

٢٢ ـ حاولت طائرات العدو الهجوم على بعض القواعد الجوية فتصدت لها مدفعيتنا وأسقطت منها طائرتين .

٢٣ ـ أسقطت طائرة معادية قرب إحدى القواعد العسكرية السورية وذلك أثناء اشتباك جوى مع العدو .

٢٤ ـ هاجمت طائرات العدو إحدى القواعد الجوية السورية فتصدت لها القوات السورية وأسقطت إحدى الطائرات المعادية . وقال مصدر عسكرى سورى أنه بلغ عدد الطائرات التى أسقطها سلاح الطيران السورى للعدو ٥٤ طائرة .

٢٥ ـ عثر على الطائرات الميراج الثلاث التى أسقطتها سورية فوق الأراضى اللبنانية قرب بلدة راشيا .

ـ التليفزيون السورى والإذاعة أجريا مقابلة مع طيار إسرائيلى أسير ، اسمه : ابراهام زيلان ، رتبته ملازم أول ، من مواليد ١٩٤٥ ، فلسطينى . وقد جاء فى المقابلة قوله : « . . . إن الأهداف التى كلف بضربها فى سورية هى مطار الضمير ودمشق فقط . . . » .

ـ هبطت طائرة سورية اضطرارياً على ساحل الرشيدية قرب صور لنفاد وقودها . وكان يقودها الملازم الأول الطيار غسان إسماعيل ، وعمره ٢٨ سنة . وكانت هذه الطائرة تقوم بغارة على حيفا ثم نفد وقودها فاضطرت إلى الهبوط على الساحل اللبناني .

ـ أذاع راديو إسرائيل :

« . . . إن طائرات عربية هاجمت بلدة ناتانيا الساحلية » .

« . . . إن طائرتين سوريتين من نوع ميج أسقطتا فى منطقة بلدة ارمجدون القديمة » . وقال البلاغ : **« إن ثلاث طائرات سورية اشتركت فى العملية » .**

الثلاثاء ٦ ـ حزيران ١٩٦٧

البلاغات العسكرية السورية :

١ ـ هاجمت صباح اليوم أربع طائرات معادية مواقعنا فى الجبهة وتم إسقاط طائرتين منها .

٢ ـ فى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة من فجر يوم السادس من حزيران (يونيو) لعام ١٩٦٧ ، بدأت قواتنا بالاشتباك مع العدو وقصف مواقعه على طول الخطوط الأمامية ، وإن هذه الاشتباكات التى تجرى اليوم هى منطلق لبدء عملية التحرير .

التوقيع : وزير الدفاع

٣ ـ فى الساعة التاسعة والربع أسقطت مدفعيتنا المضادة ثلاث طائرات إسرائيلية فوق القنيطرة وذلك أثناء تصديها لغارة جوية معادية .

٤ ـ احتلت قواتنا الزاحفة مستعمرة شرياشوف شمال سهل الحولة وقد تكبد العدو فيها خسائر كبيرة وتجرى حالياً معركة حامية مع قوات معادية تقاوم تقدم قواتنا داخل الأرض المحتلة .

٥ ـ فى الساعة السادسة عشرة أسقطت مدفعيتنا المضادة فى منطقة الجبهة إحدى طائرات العدو وشوهد الطيار يقفز بالمظلة فى سهل الحولة داخل الأرض المحتلة .

٦ ـ فى الساعة السابعة عشرة والدقيقة ٣٢ حاولت بعض طائرات العدو

الإغارة على مواقعنا فى الجبهة ولكنها ردت على أعقابها بعد أن أسقطت منها قاذفة قنابل من طراز (فوتور) .

٧ ــ قام طيران العدو بعد ظهر أمس بقصف الرقابة الدولية فى منطقة البطيحة ثلاث مرات متوالية ، وقد قدمت هيئة الرقابة احتجاجاً على ذلك . إن الذين قصفوا المنطقة ، إما إسرائيليون تعمدوا الاعتــداء على هيئة الأمم المتحدة ، أو إنهم طيارون غرباء عن المنطقة وذلك يشكل دليلا آخر على العدوان الاستعمارى الغاشم .

ــ بيان سورى رسمى تكلم عن : « أبعاد المؤامرة الأنجلو ــ أمريكية الصهيونية على الحق العربى » فقال :

« . . أظهرت المعلومات التى وردت من جزيرة قبرص فى أول حزيران أن الطائرات البريطانية فى قاعدة اكروتيرى كانت فى حالة تأهب وحركة دائمة . وكذلك لوحظت حركة شديدة للسيارات العسكرية فى قاعـدة أكروتيرى وديكيليه . وكانت هذه السيارات العسكرية من القاعـدتين البريطانيتين ، تقوم بنقل القنابل والصواريخ من المخازن تحت الأرض إلى المطار ، وأكثرها صواريخ بطول مترين .

كما أثبتت المعلومات أن حوالى ٣٠٠٠ جندى بريطانى بكامل عتادهم الحربى قد غادروا قاعدة أكروتيرى إلى المنطقة المحتلة من فلسطين بتاريخ ٢٨ أيار الماضى . وكذلك أثبتت المعلومات الموثوقة إنه بتاريخ ٢٧ أيار الماضى وصل إلى القواعد البريطانية فى قبرص قائد الأسطول السادس الأمريكى بطريق الجو وبصورة سرية للغاية ، واجتمع فور وصوله بقائد القواعد البريطانية فى الجزيرة .

وقال البيان السورى : « أن الأسلحة التى ترسلها أمريكا وبريطانيا عن طريق البحر تنتقل إلى إسرائيل فى صناديق رسمت عليها إشارة الصليب الأحمر تمويهاً وتضليلا كى لا يجرى تفتيشها . . . وإمعاناً فى التضليل يجرى نقل هذه الصناديق بواسطة بواخر تجارية غير أمريكية أو بريطانية » .

وقال البيان : « إنه تم التقاط لاسلكى للعدو يطلب تدخل قوات أجنبية من حاملات الطائرات الموجودة فى شرق البحر الأبيض المتوسط لمساعدته

فى عملياته الجوية ضد العرب . . . وقال : إن الطيار الإسرائيلى إبراهام زيلان الذى أسرته القوات السورية ، اعترف أن ١٧ طائرة من قاذفات القنابل الإنجليزية وصلت مع طياريها قبل العدوان إلى المنطقة المحتلة من فلسطين واشتركت بضرب الأهداف داخل ج . ع . م . وسورية . وعلم أن حاملة طائرات بريطانية تحركت إلى أحد المرافىء الإسرائيلية من قبرص صباح الثلاثاء مع أربع قطع حربية بريطانية(١) » .

— الدكتور إبراهيم ماخوس جمع رؤساء البعثات الدبلوماسية فى سورية باستثناء سفيرى أمريكا وبريطانيا ، وشرح لهم الوضع الراهن . وكان من جملة ما قاله ماخوس :

« . . . إن دولا صديقة عديدة نصحت الدول العربية بأن لا يبدأ العرب العدوان ، كما أن كثيرين من السفراء وعلى رأسهم السفير الأمريكى أكدوا أن إسرائيل لا تنوى العدوان . وأن العرب قبلوا النصيحة ، إلا أن الشعب العربى دفع الثمن باهظاً . . » .

« . . . ولو أننا بدأنا الهجوم لسحقنا العدوان وأنهينا العملية فى يوم واحد . . ولكننا فوجئنا أمس بهجوم شامل على جميع المطارات فى البلاد العربية بكثافة لا يمكن معها أن تكون إسرائيل وحدها فى المعركة » . وقال : « لقد أسقطنا أمس أكثر من ١٥٠ طائرة وكان الطيران الإسرائيلى مستمراً وكأننا لم نسقط طائرة واحدة . . . إلخ » .

— الميجر جنرال حاييم هيرتسوج ، المتحدث العسكرى الإسرائيلى ، والقائد السابق للاستخبارات الإسرائيلية قال : «إن لمصر ٣٥٠ طائرة على الجبهة، ولسورية مائة طائرة خسرت منها ٥٠ طائرة فى اليوم الأول للقتال . . . » .

— قال تقرير إسرائيلى : « إن طائرات سورية قد قصفت عدة أهداف داخل إسرائيل منها بعض القرى والمطارات الحربية فى وسط وشمالى إسرائيل . . » .

---

(١) من المعروف أن أكذوبة تدخل القوات الأمريكية والبريطانية فى هذه الحرب قد انكشفت فيما بعد ، واضطر مروجوها إلى سحبها والاعتذار .

راجع كتاب : حربنا مع إسرائيل ، وهو حديث صحفيين فرنسيين مع الملك حسين .

– وقال بلاغ إسرائيلي آخر : إن القوات الإسرائيلية ردت قوة آلية مدعومة بالمدفعية حاولت التقدم إلى تل دان (تل القاضي) من الجبهة السورية .

– ادعى بلاغ إسرائيلي : أن إسرائيل أصبحت سيدة الجو في الشرق الأوسط وأن القوة الجوية العربية الضاربة قد أبيدت .

– وقالت المصادر الإسرائيلية : أن قواتها الجوية والبرية كانت تقصف المواقع الجبلية السورية طوال النهار بينما كانت المواقع السورية تقصف المستعمرات الإسرائيلية في الجليل . وقالت هذه المصادر إن القصف من الطرفين كان متواصلا على طول الجبهة من دان في الشمال إلى بحيرة طبرية في الجنوب .

الأربعاء ٧ – حزيران ١٩٦٧

البلاغات العسكرية السورية :

١ – في الساعة ٤٧ ، ٨ أسقطنا للعدو طائرتين من طراز ميراج أثناء اشتباك فوق منطقة القنيطرة . قفز أحد الطيارين الأعداء بالمظلة قرب خان أرينبة وأسر .

٢ – اشتركت القوات الجوية البريطانية هذا اليوم بشكل فعال بقصف مواقعنا الأمامية محاولة بذلك القيام بالمهمة التي فشل طيران إسرائيل بالقيام بها بعد أن أسقطنا للعدو معظم طائراته التي حلقت في أجوائنا .

إننا نؤكد أن الغارات التي جرت اليوم على مواقعنا الأمامية قد قامت بها طائرات من نوع كامبيرا ، وهي قاذفة إنجليزية معروفة ، وبهذه المناسبة ، لقد أسفر الاستعمار عن وجهه بكل لؤم وغدر ، فإننا نطمئن الإخوة المواطنين إلى أن المعارك تسير لصالحنا وأن تشكيلاتنا العسكرية تكيل للعدو ضربات قاسية في كل مكان(١) .

---

(١) من أبرز ما يفضح هذه الأكذوبة ، هو أنه منذ أعلن عن اشتراك طيران أمريكي وإنجليزي في هذه الحرب ، وحتى اليوم ، لم يعلن أحد من هذه الأنظمة عن سقوط طائرة واحدة غير إسرائيلية ، في حين أن الطائرات الإسرائيلية كانت – حسب البلاغات الرسمية – تتساقط مثل فراخ القطا الظامئ . . مع أن الطيران الإسرائيلي يحتوى على أنواع مماثلة لما لدى الطيران الأمريكي والإنجليزي ، ولكن يبدو أنه حين وضعت الشارات الإسرائيلية عليها أصبحت لديها جاذبية للقذائف العربية (الثورية) ، فتسقطها بالسهولة الغريبة التي أبرزتها البلاغات !

٣ — فى الساعة ٢٠ ، ١١ حاولت طائرات معادية الإغارة على مواقعنا الأمامية وتصدت لها مدفعيتنا المضادة للطائرات وكانت النتيجة إسقاط قاذفتين من نوع فوتور سقطت الأولى فى بستان الرمان وشوهدت الثانية تسقط باتجاه جبال الجليل وهى تحترق .

٤ — تستمر الاشتباكات والمعارك مع العدو على طول الجبهة العربية السورية منذ أن بدأت قواتنا باقتحام مواقع العدو فى الأرض المحتلة وحاول العدو طيلة هذا اليوم إعادة تجميع قواته فى بعض نقاط الجبهة للاقتراب من خطوط قواتنا ولكن قواتنا لم تمكنه من ذلك واستمرت فى الاشتباك معه كما قصفته مدفعيتنا الميدانية وخصوصاً فى مناطق تجمعه ، ونتيجة لذلك تكبد العدو الخسائر التالية :

(أ) دمرنا أربع دبابات وثلاث ناقلات جنود ومدرعة فى القطاع الشمالى من الجبهة وأحدثت مدفعيتنا خسائر جسيمة فى تجمعات العدو .

(ب) دمرنا سرية مشاة وخمس دبابات فى هاغوشريم .

(ج) دمرنا كافة تحصينات مستعمرة تل القصر (بيت كاتسير) وأسكتنا الأسلحة الموجودة فيها وما زالت النيران تشتعل فى هذا الموقع .

٥ — فى تمام الساعة ٣٠ ، ١٦ تصدت طائراتنا المقاتلة لسرب معاد من الطائرات القاذفة الثقيلة واشتبكت معه فى معركة جوية حامية فوق منطقة الشيخ مسكين . تمكن طيارونا البواسل من إسقاط ثلاث طائرات للعدو هوت وتحطمت فى منطقة ازرع ونوى وطفس . وعادت طائراتنا إلى قواعدها سالمة .

هذا وقد بلغ مجموع الطائرات التى أسقطناها للعدو منذ صباح اليوم خمس قاذفات قنابل وطائرتين مقاتلتين .

٦ — تستمر قواتنا الباسلة فى تدمير العدو على طول الجبهة ، وتدور الآن رحى معركة عنيفة أمام تل العزيزيات وقد دمرنا للعدو حتى الآن قاعدة للصواريخ المضادة للدبابات وسريتين من مدافع الهاون وعدد من الآليات المدرعة وتم تدمير بعض الجسور مقابل تل العزيزيات ولا يزال القتال مستمراً(١) .

---

(١) الحقيقة أنه لا يوجد مقابل تل العزيزيات أية جسور ذات أهمية قتالية أو ذات ضخامة تجعل تدميرها يشكل عائقاً لتحركات القوات . وإنما هى كلها عبارة عن عبارات صغيرة فوق قنوات الرى الموزعة توزيعاً كبيراً فى المنطقة لإمداد برك تربية الأسماك المنتشرة بكثرة فى سهل الحولة .

٧ ـ فى حوالى الساعة ١٢،٢٠ أبادت مدفعيتنا المضادة للطائرات طائرة إسرائيلية فوق المنطقة الجنوبية وسقطت شظايا الطائرة وتناثرت فوق بعض قرى محافظة درعا .

٨ ـ تم إسقاط طائرة معادية فى الساعة ٢٥ ، ١٩ من مساء هذا اليوم فوق الجاعونة فى القطاع الأوسط فى الجبهة أثناء اشتباك مع مدفعيتنا المضادة للطائرات .

٩ ـ أسقطنا الآن طائرة معادية فوق الصنمين بواسطة المدفعية المضادة للطائرات وقذف الطيار بنفسه بالمظلة من الطائرة وتحركت فوراً مفرزة خفيفة من إحدى نقاطنا العسكرية للقبض عليه .

١٠ ـ فى الساعة ٣٠ ، ١٩ اكتشفت مراصدنا تحركات قوات معادية فى القطاع الشمالى من الجبهة أمام تل العزيزيات ، وكانت قوات العدو تحاول التجمع وهى من ـ ٥٠ ـ دبابة تقريباً ومعها وحدات من المدفعية والمشاة ، بادرت مدفعية الميدان العربية السورية تساندها أنواع أخرى من الأسلحة إلى قصف هذه التجمعات بعنف وشتتها وألحقت بها خسائر جسيمة .

١١ ـ خلال الاشتباكات التى جرت أمس فى الجبهة أسرت قواتنا عدداً من جنود العدو بينهم ضابط برتبة ملازم أول .

ـ راديو دمشق اتهم « الاستعماريين الأمريكيين والبريطانيين بالاستمرار فى مساعدة إسرائيل لإنقاذها من الدمار » .

ـ أعلن الراديو فى وقت لاحق استيلاء القوات السورية على سهل الحولة وقال إنها تطارد الإسرائيليين بطريقها إلى الناصرة .

وقال أحد المعلقين : إن الجيش السورى بطريقه الآن إلى صفد وعكا بالإضافة إلى الناصرة(١) . . .

الخميس ٨ حزيران ١٩٦٧

ـ راديو دمشق أذاع فى الساعة الثالثة من الصباح أنه يتوقع أن تصل القوات السورية إلى صفد لتلتقى بالقوات الأردنية الزاحفة .

---

(١) أسوأ أنواع الكذب والتضليل والمزايدة على مصير الأمة ،. حيث فى هذا الوقت بالذات كانت قوات الجبهة قد انفرط عقدها ، وهرب القادة . وبدأ الانسحاب الكيفى والهروب من مواقع الواجب المقدس . كل ذلك بفضل الإجراءات التى اتخذتها قيادة حزب البعث لضمان شل المقاومة وتسليم الجولان دون قتال .

الراديو أذاع البلاغات العسكرية التالية :

١ - تشتبك مدفعيتنا المضادة للطائرات الآن فى القطاع الشمالى والقطاع الأوسط من الجبهة وتصد طائرات العدو المغيرة على مواقعنا .

٢ - فى الساعة ٥٠ ، ٩ تصدت مدفعيتنا المضادة لغارات العدو التى هاجمت مواقعنا ، فأسقطت ثلاث طائرات اثنتان منها فى القطاع الأوسط ، تفجرت الأولى فى الجو وهوت الثانية محترقة إلى الأرض ، وأسقطت الثالثة فى القطاع الشمالى ، وبهذا الانتصار على طيران العدو تفتتح مدفعيتنا المضادة، اليوم الرابع من المعركة التى سنخوضها حتى النصر .

٣ - فى الساعة ١٠ ، ١٠ جرى اشتباك فوق الجبهة أسقطنا على أثره قاذفتى قنابل للعدو ، وهكذا أسقط للعدو خمس طائرات خلال نصف الساعة الماضية .

٤ - فى الساعة ٥٥ ، ١٠ تم إسقاط طائرة إسرائيلية بمدفعيتنا المضادة للطائرات فى القطاع الشمالى من الجبهة وقد هوت الطائرة باتجاه مواقع العدو وانفجرت قرب النبى يوشع .

٥ - جرى اشتباك جوى فى الساعة ٠٠ ، ١١ وتم إسقاط طائرة معادية انفجرت على السفح الشرقى من جبل الشيخ . وقد دمرنا للعدو خلال الساعات المنصرمة سبع طائرات .

٦ - أسقطنا للعدو طائرة فى الساعة ٤٥ ، ١١ ، وقعت فى دغانيا .

٧ - أسقطنا للعدو فى الساعة ٣٠ ، ١٤ طائرتين فوق الجبهة سقطت الأولى فى الخالصة والثانية فى هافر شيريم . بلغ عدد الطائرات التى دمرناها للعدو حتى الساعة ٠٠ ، ١٤ من هذا اليوم عشر طائرات .

٨ - فى الساعة ٣٠ ، ١٤ أسقطنا طائرة معادية فى ناؤوت مردخاى .

٩ - أسقطنا للعدو طائرتين فى الساعة ٠٠ ، ١٥ إحداهما من طراز

كانبيرا والثانية من طراز فوتور وذلك فوق منطقة الجليل الشمالى . ومجموع خسائر العدو حتى الآن ١٣ طائرة .

١٠ — أسقطت مدفعيتنا المضادة للطائرات الساعة ٥٠ ، ١٦ طائرة معادية فوق القطاع الأوسط من الجبهة .

١١ — فى الساعة ٢٠ ، ١٧ أسقطنا للعدو طائرتين وقعتا فى بحيرة طبرية إلى الغرب من مستعمرة عين غيف . وبهذا نكون قد دمرنا حتى ساعة إذاعة هذا البلاغ ١٦ طائرة للعدو .

١٢ — دمرت قواتنا البرية العاملة فى القطاع الشمالى من الجبهة سرية كاملة من مدفعية العدو فى مستعمرة ســاديا تحاميا كما دمرنا مستودعاً للذخائر .

١٣ — أسقطنا للعدو فى الساعة ٤٥ ، ١٧ طائرتين إحداهما من نوع أوراجان والأخرى من نوع ميستير سقطت غرب القلع .

١٤ — شوهدت فى الساعة ٤٠ ، ٢٠ تجمعات معادية من المدرعات والمشاة أمام القطاع الأوسط من الجبهة ، بين يسود هامعالا وكعوش فقصفتها مدفعيتنا بشدة وأوقعت فيها خسائر فادحة .

راديو دمشق أعلن أن سورية لن توقف القتال وستواصل الحرب ضد إسرائيل وقال : « إن الحرب ما زالت فى بدايتها ، وسوف تستمر ، والنصر لمن يصمد ، ولمن يرمى فى المعركة كل يوم قوى جديدة .. إن أسلوب الحرب الصاعقة لفرض الهدنة لن يكتب له النجاح ، وإن الغلبة فى النهاية ستكون للحق العربى » .

— بلاغ صدر عن السلطة العسكرية العليا فى لبنان مساء هذا اليوم ، قال : إن مواقع الجبهة العربية الشمالية فى منطقة الجليل الأعلى توالى منذ الساعة العاشرة صباحاً قصف مستعمرة هاغوشريم والمستعمرات المحيطة بها . وقال البلاغ : إن العدو يقوم بغارات متواصلة محاولا إسكات هذه المواقع إلا أن المدفعية اللبنانية والسورية المضادة للطائرات تصدت لها وجعلت

طائرات العدو تفر بعد إخفاقها فى تحقيق أهدافها . وأضاف البيان يقول : إن المدفعية السورية تواصل قصفها بقوة ، محرقة هذه المستعمرات بنيرانها .

– متحدث رسمى إسرائيلى أعلن فى مؤتمر صحفى وفى معرض حديثه عن عن أوضاع القوات الإسرائيلية مقابل القوات العربية « . . . أما على الجبهة السورية فإن معظم القوات السورية تنسحب الآن باتجاه دمشق ، ويواصل الطيران الإسرائيلى قصف القوات المنسحبة حسب تقارير إسرائيلية غير رسمية .

أما التقارير الرسمية فقالت إن المدفعية السورية واصلت قصف المستعمرات الإسرائيلية فى سهل الحولة اليوم . وقد نفى الناطق الإسرائيلى أن تكون القوات الإسرائيلية قد دخلت الأراضى السورية .

– أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل قال : إن القتال سيستمر إلى أن يحذو العراق وسورية حذو الأردن و ج . ع . م فى الموافقة على وقف النار . وأبلغ إيبان المجلس(١) أن إسرائيل لا تزال مشتركة فى قتال عنيف مع القوات السورية .

الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٩

راديو دمشق أذاع فى الساعة الرابعة والدقيقة العشرين بالتوقيت المحلى(٢) أن سورية وافقت على وقف إطلاق النار شريطة التزام الجانب الآخر بوقف القتال . وقال : « إن الجمهورية العربيـــة السورية ، تقديراً منها للظرف الراهن أبلغت الأمين العام للأمم المتحدة أنها قررت قبول دعوة مجلس الأمن إلى وقف إطلاق النار شريطة التزام الجانب الآخر بوقف إطلاق النار(٣) » .

وأذاعت القيادة العسكرية السورية البلاغات التالية :

١ – بالرغم من أن قواتنا توقفت عن إطلاق النار حسب قرار مجلس الأمن ، فقد بدأ العدو فى الساعة ١٥ ، ٩ من صباح اليوم يشن هجوماً على

---

(١) مجلس الأمن .

(٢) التوقيت الصيفى وهو يعادل الساعة ٢٠و٣ بتوقيت بيروت .

(٣) هكذا وافقوا على وقف القتال بعد أن ضمنوا أنه لم يبق فى الجبهة قوات تقاتل إلا القليل .

مواقعنا الأمامية مستخدماً نيران المدفعية والدبابات ، وكذلك قامت عدة تشكيلات معادية باختراق الأجواء السورية وقصفت مواقعنا فى الجبهة ولكن قواتنا الباسلة تصدت للعدو وأسقطت طائرة ميراج معادية فى الداخل وتقوم الآن قواتنا الصامدة بالرد على هجوم العدو بنيران غزيرة تقصف مستعمراته وتجمعاته .

٢ ـ القوات السورية دمرت طابورين للعدو عندما حاول التقدم تجاه المواقع السورية ، الطابور الأول حاول التقدم من موقع أم جنزير تجاه البحر(١) إلا أنه دمر . أما الطابور الثانى فقد حاول التقدم من تل قصر (بيت كاتسير) تجاه الناصرية (التوافيق) إلا إنه دمر أيضاً ، وقامت المدفعية السورية بضرب مواقع مدفعية العدو .

٣ ـ القوات السورية دمرت طلائع العدو و ٩ دبابات شمال الجبهة . كما دمرت كافة دبابات العدو التى حاولت التسرب فى القطاع الأوسط . وقد أسقطنا طائرة للعدو فى بحيرة طبرية . ويقاتل جنودنا ببسالة خارقة ومعنويات عالية .

٤ ـ القوات السورية دمرت ١٣ دبابة للعدو شمال الجبهة ، وأسقطت طائرة ثالثة فوق منطقة الكسوة .

٥ ـ الساعة ٣٠ ، ٤(٢) ـ إن القتال ما زال مستمراً على الخطوط الأمامية وإن القوات السورية تقاتل ببسالة نادرة وتكيل للعدو ضربات قاسية وتلحق به خسائر فادحة فى الأرواح والعتاد .

---

(١) هكذا ورد النص فى اليوميات الفلسطينية ، ولكنى أعتقد جازماً بأن فى هذه التسمية خطأ واضحاً ، وهو أنه لا يوجد فى كل مواجهة الجولان ، موقع إسرائيلى إسمه أم جنزير ، ولكن يوجد « تل أبو خنزير » فى سهل الحولة شمال كفر سلط بحوالى ١٫٥ كم وفى مواجهة موقع البحريات (خان البحريات) .

وكذلك اعتقد أن كلمة (البحر) التى وردت يقصد بها (البحريات) وهو أحد مخافر الحرس الوطنى الهامة فى القطاع الشمالى ، وهكذا يكون نص البلاغ معقولا ومطابقاً لحقيقة تحركات القوات الإسرائيلية لاختراق الدفاع السورى .

(٢) بعد الظهر ، وبالتوقيت المحلى الصيفى الذى يعادل ٣٫٣٠ حسب توقيت عمان .

٦ ــ الساعة ١٠ و ٥ ــ المدفعية السورية أسقطت طائرة للعدو حاولت التحليق فى سماء دمشق .

٧ ــ تعرضت مدينة اللاذقية لغارات إسرائيلية جوية وقد ردت طائرات العدو على أعقابها .

٨ ــ تعرضت بعض المدن السورية لغارات جوية إسرائيلية واسعة النطاق يتراوح عددها بين ٥٥٠ و ٦٠٠ غارة . وتكشف هذه الغارات الأبعاد الكاملة للعدوان الاستعمارى ــ الصهيونى بغية النيل من معنويات الشعب السورى ولكن النصر يكون دائماً فى النهاية للشعوب .

٩ ــ على الرغم من تقيد سورية بقرار مجلس الأمن الدولى وقف إطلاق النار ، فإن العدو استمر منذ الصباح فى شن هجمات بالمدفعية والدبابات ولكن القوات السورية تصدت له وكبدته خسائر فادحة وأوقفت تقدمه . وفى القطاع الشمالى من الجبهة تسللت قوات معادية من الدبابات فنشبت معركة شديدة وضارية( ) وعززت قواتنا بوحدات مدرعة ودبابات(٢)وقد تمكنت قواتنا من احتلال مواقع دفاعية فى القطاع الشمالى(٣) . وعلى الرغم من كثافة التغطية الجوية لقوات العدو الإسرائيلى فقد أسقطت قواتنا أربع طائرات معادية فى الجبهة .

ــ الدكتور نور الدين الأتاسى ، وجه كلمة من راديو دمشق ، جاء فيها :

« . . . إننا نواجه اليوم أكبر مؤامرة دنيئة خسيسة فى العالم الحديث ، وإن الخطة تستهدف بعد كل المؤامرات المتلاحقة إلغاء مكاسب شعبنا مرة واحدة وإعادة وطننا إلى منطقة النفوذ الاستعمارى الجائر على غرار القرن التاسع عشر . . .

---

(١) يشير البيان هذا إلى المقاومات الضارية فى تل فخار ، والقلع ، وتل شيبان .

(٢) يشير البيان إلى الهجوم المعاكس ، الذى كان مقرراً أن يقوم به اللواء السبعون المدرع مع ثلاثة ألوية مشاة (انظر فصل الإعداد المسبق) ، ولكن الحقيقة أن هذا البلاغ كاذب ، وأن الهجوم لم ينفذ ، وفى الوقت هذا ، الذى يدعى فيه البلاغ تنفيذ ذلك الهجوم (التعزيز لقواتنا بالمدرعات والدبابات ..) كانت الدبابات السورية تتحرك نحو دمشق (لحماية الثورة . .)

(٣) انظر لهجة الكذب فى البلاغ ... « تمكنت قواتنا من احتلال مواقع دفاعية فى القطاع الشمالى » . كأن هذا القطاع والجولان كله لم يكن مزروعاً بالمواقع الدفاعية والقوات المدافعة . . وكأن القوات قواتنا . . كانت فى هجوم ناجح ثم توقفت تحت ضغط العدو لأخذ مواقع دفاعية ! ! ؟

... وكما يكافح شعب فيتنام وكما كافح الجزائريون ، سنحول الدنيا إلى جحيم فى وجه الغزاة وسننتصر (١) » .

(انظر النص كاملا فى اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس من ١ - ٧ - ٦٦ إلى ٣٠ - ٦ - ٦٧) .

— القيادتان القطرية والقوميـــة لحزب البعث ، قررتا الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين (**كيما تتيح لهم جميعاً أن يسهموا فى شرف الدفاع عن وطنهم**) .

— راديو دمشق أذاع أن أحد الطيارين الإسرائيليين اللذين وقعا فى يد العراق أمس ، صرح بأنه أقلع مع عدد من الطيارين الإسرائيليين الآخرين فى طائرة هليوكوبتر إلى حاملة طائرات أمريكية قادوا الطائرات منها مباشرة واتجهوا إلى سماء المعركة .

— إسرائيل أعلنت صباح اليوم أن قواتها قد بدأت الهجوم على مواقع الجبهة السورية التى كانت تقصف المستعمرات الإسرائيلية فى الجليل باستمرار فى اليومين الماضيين .

وقال بيان إسرائيلى آخر ظهر اليوم أن الهجوم على الجبهة السورية ما زال مستمراً وأن المواقع السورية قامت بقصف المستعمرات فى الجليل هذا الصباح . وقال البيان أن المواقع السورية على طول خط الجبهة قامت بقصف متواصل للأراضى الإسرائيلية .

وقال إن المدفعية السورية لم تهدأ فى قصفها للمواقع الإسرائيلية خلال الأيام القليلة الماضية ، وقال إن بعض أهدافها كانت على مسافة بعيدة داخل إسرائيل كبلدة روشبينا وقريات شمونه وهاتسور .

وقال إن الطائرات السورية أغارت على مدينة طبريا وأن المشاة السوريين المدعومين بالمدفعية قاموا بعدة غارات على المستعمرات الإسرائيلية .

— مجلس الأمن الدولى عقد جلسة طارئة يطلب من سورية التى ناشدت المجلس وقف العدوان الإسرائيلى على أراضيها . وجاء فى برقية من وزارة الخارجية الســـورية : « **... إن العدوان الإسرائيلى استمر على الجبهة**

---

(١) نطالب اليوم الأتاسى الذى ما زال رئيساً للدولة ، بتحويل الدنيا إلى جحيم ، فى وجه الغزاة .. وبنسف هذا الهدوء المريب المخيم على الحدود « الجديدة » بين سوريا والقوات الإسرائيلية .

السورية ، التي تتعرض حتى هذه اللحظات لغزو إسرائيلي شامل بجميع صنوف الأسلحة من دبابات ومدافع وطيارات » . وقالت البرقية : « إن سورية تحمل مجلس الأمن والضمير العالمي ، مسئولية هذا العدوان المجرم » .

ـ الدكتور جورج طعمة مندوب سوريا في مجلس الأمن « إنه ليس هناك من شك في أن هدف إسرائيل هو غزو شامل لسوريا ، وفيما أنا أتكلم اليوم تقوم الطائرات الإسرائيلية دون تمييز بقصف الأهداف العسكرية والمدن والقرى والمدنيين . إن طوابير من الدروع الثقيلة تقضى على كل أثر للحياة والممتلكات ووحشية المعتدين تكاد لا توصف . . . » .

أكد الدكتور جورج طعمة بعد ٩٠ دقيقة من توجيه نداء مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، قبول سوريا مجدداً بوقف إطلاق النار ، ولكنه قال :

« . . . إن القوات الإسرائيلية ما زالت مستمرة بالتقدم داخل أراضي بلاده على الرغم من القرار الجديد ، وإن الطائرات الإسرائيلية هاجمت دمشق . وأضاف يقول : إنه علم بينما كان المجلس لا يزال مجتمعاً ، إن القوات الإسرائيلية دخلت الأراضي السورية وأنها تتجمع حول بلدة مسعدة (قيادة القطاع الشمالي) .

السبت ١٠ حزيران ١٩٦٦

ـ بلاغ صادر من راديو دمشق صباح اليوم : « بالرغم من تأكيد إسرائيل لمجلس الأمن الدولي إنها أوقفت القتال فإنها لم تنفذ ما تعهدت به وبدأت قوات العدو صباح اليوم الضرب بكثافة من الجو وبنيران المدفعية والدبابات وما زالت قواتنا تقاتل العدو بكل ضراوة في جميع الجبهات » .

ـ الساعة ٩,٣٠ أعلن بلاغ عسكري : « إن القوات الإسرائيلية استولت على مدينة القنيطرة بعد قتال عنيف دار منذ الصباح الباكر في منطقة القنيطرة ضمن ظروف غير متكافئة ، وكان العدو يغطى سماء المعركة بإمكانات لا تملكها غير دولة كبرى . وقد قذف العدو في المعركة بأعداد كبيرة من الدبابات واستولى على مدينة القنيطرة على الرغم من صمود جنودنا البواسل . إن الجيش لا يزال يخوض معركة قاسية للدفاع عن كل شبر من أرض الوطن كما إن وحدات لم تشترك في القتال بعد قد أخذت مراكزها » .

— راديو دمشق ، يردد الشعارات الوطنية ، ويدعو إلى الاستبسال ، ويقول : «سنقضى على العدو بالسلاح العربى وحده،وبالسلاح العربى وحده ودون الاعتماد على طيران صديق سننتصر(١) » .

— الساعة ١٢،٠٥ ، صدر بلاغ عسكرى يقول : « إن قتالاً عنيفاً لا يزال يدور داخل مدينة القنيطرة وعلى مشارفها » . وقال البلاغ : « إن القوات السورية ما زالت حتى الآن تقاتل داخل المدينة وعلى مشارفها جنباً إلى جنب مع قوات الجيش الشعبى بكل ضراوة وصمود بحيث لم يتمكن العدو من السيطرة الكاملة على مدينة القنيطرة(٢) » . وأضاف : « إن القوات السورية دمرت أعداداً كبيرة من دبابات العدو بالقنابل المحرقة » .

الساعة ١٢،٣٤ بلاغ عسكرى أعلن إسقاط ٣ طائرات للعدو فوق دمشق .

الساعة ١٤،٠٢ بلاغ عسكرى أعلن إسقاط طائرة معادية شمال غربى دمشق.

الساعة ١٩،٥٠ أى بعد الموعد المحدد لوقف إطلاق النار ، كان راديو دمشق لا يزال يردد نداءات الصمود إلى الجنود السوريين .

ثم أعلن وزير الدفاع بعد ذلك بلاغاً أعلن إن طائرات إسرائيلية حاولت التسلل إلى سماء دمشق فى الساعة ٣٥ ، ١٩ أى بعد الموعد المحدد لوقف إطلاق النار فى (٥) دقائق . وقال البلاغ : إن المدفعية المضادة تصدت لها وأسقطت اثنتين وقعتا فى التلال الواقعة جنوب الكسوة على بعد ٢٥ كيلو متراً من دمشق .

وقال البلاغ أيضاً : إن الطائرات الإسرائيلية التى حلقت فوق مدينة حماة ليلة الجمعة أسقطت منها طائرة فى الساعة ٥٥ ، ٧ وإنه عثر على حطامها قرب قرية الوراقة التى تبعد مسافة ٢ كيلو متر عن مصياف .

وقال البلاغ : إن المدفعية المضادة للطائرات أسقطت الساعة ٣٠ ، ٩ من الصباح أيضاً قاذفة قنابل من نوع فوتور سقطت فى الجبهة قرب تل أبى الندى وقد أسر طيارها .

---

(١) ألم تر هذا الانتصار الذى حققه حزب البعث ، الفريد من نوعه فى تاريخ هذه الأمة ! ؟

(٢) لاحظ التناقض ، ففى الساعة ٩،٣٠ أعلن البلاغ : استولت القوات الإسرائيلية على مدينة القنيطرة . وفى الساعة ١٢،٠٥ أى بعد ساعتين ونصف ، يعلن بلاغ آخر : أن قواتنا ما زالت حتى الآن تقاتل داخل المدينة وعلى مشارفها .

وقال : « وبهذا تكون مدفعيتنا المضادة للطائرات قد أسقطت اليوم ٧ طائرات للعدو » .

ـ تقارير من تل أبيب تقول إن القتال على الجبهة السورية يبدو قد انتهى. ونفت مصادر إسرائيلية أى نية فى التوجه نحو دمشق وقالت : إن إسرائيل تنوى فقط احتلال تلال الجبهة السورية المحصنة والمزروعة بالمدفعية التى كانت موجهة نحو المستعمرات الإسرائيلية فى سهل الجليل .

وقالت التقارير : إن المدفعية السورية كانت قد أحدثت خراباً كثيراً وفوضى هائلة فى الأراضى الإسرائيلية فى اليومين الماضيين .

أما عن القتال فقالت تقارير واردة إلى تل أبيب من الجبهة السورية إن القتال فى هذه الجبهة كان الأكثر دموية فى الحرب كلها .

وتقول التقارير : إن القوات الإسرائيلية تسيطر الآن على المرتفعات الهامة على الجبهة بعد أن دخلت مئات من المدرعات من نقطة فى القسم الشمالى من الجبهة وهاجمت القوات السورية من الخلف(١) وكانت القاذفات الإسرائيلية قد حاولت إسكات المواقع السورية بدون جدوى(٢) وبقيت هذه المواقع تقصف الأهداف داخل إسرائيل حتى صباح اليوم .

وتقول التقارير الواردة من الجبهة : إن إسرائيل استعملت عدداً كبيراً من الدبابات التى أسرتها من الجبهة الأردنية فى هجومها على سورية .

وتقول التقارير : إن السوريين استعملوا ثلاثة ألوية على الجبهة بما فيها المدرعات والمدفعية .

ـ بيير لامبرت مراسل جريدة « صنداى تايمز » البريطانية الأسبوعية ، قال : إنه كان فى إحدى الدبابات الإسرائيلية التى هاجمت سورية ، وإنه شاهد ستة من الأسرى العرب يقودهم الإسرائيليون . .

---

(١) إن هذا الوصف الإسرائيلى للمعركة كاذب ، وجاهل وخيالى ، لأنه ما من مكان فى الجبهة تستطيع فيه المدرعات الإسرائيلية مفاجأة القوات المدافعة من الخلف . (انظر الخرائط الملحقة بهذا الكتاب وخاصة الخريطتين رقم ٣ ، ٤) .

(٢) حتى العدو يعترف أنه لم تكن لغارات طيرانه على قوات الجبهة جدوى كبيرة ، فأنى لهذه القوات من عذر فى ترك مواقعها بحجة كثافة القصف الجوى ! ؟

وقال المراسل : إن أحد الجنود الذين كانوا يحرسون الأسرى أبلغه « إننا أسرناهم فى خندق ، كانوا ١٢ رجلا وحاربوا كالأسود ، وقد قتلنا الستة الآخرين » .

— مراسل جريدة « جيروزاليم بوست » الحربى ، ذكر « أن المواقع الأمامية فى الجبهة السورية ، التى اخترقتها إسرائيل ، كانت تحميها وحدات من الحرس القومى(١) ، بينما كانت وحدات الجيش تتمركز فى المواقع الخلفية فى منطقة أعلى من التلال » . وقال المراسل : « إن السوريين أبدوا مقاومة عنيفة ، وأنهم تخلوا بعد قصف عنيف من المدفعية والطائرات وهجوم بالمدرعات ذى ثلاثة رؤوس تساندها وحدات من المشاة آلية تتقدم من الجنوب » .

— الدكتور جورج طعمة مندوب سوريا فى مجلس الأمن أعلن « إن معركة عنيفة تدور « فى هذه اللحظة » بين القوات السورية و « القوات المجرمة » القادمة من تل أبيب والتى تحاول الوصول إلى دمشق فى أقرب وقت ممكن . . . » .

— أوثانت أبلغ مجلس الأمن أنه تلقى رسالة أخرى من الجنرال أودبول جاء فيها أن رئيس لجنة الهدنة السورية الإسرائيلية المشتركة قد أعلمه أن هجوماً جوياً على دمشق كان ولا يزال مستمراً فى الساعة ٢٣ ، ١٢ من ظهر اليوم بتوقيت دمشق .

— أوثانت أبلغ مجلس الأمن أن رئيس لجنة الهدنة السورية — الإسرائيلية المشتركة أكد فى الساعة ١٣,٢٥ على حدوث هجوم جوى فى الساعة ٣٥، ٩ على منطقة مطار دمشق ، وهجوم آخر إلى الجنوب من دمشق الساعة ٥٥ ، ١٠ وهجوم ثالث إلى الشمال والشمال الشرقى من دمشق فى الساعة ١٩ ، ١١ وأن كل الضربات كانت موجهة إلى خارج دمشق .

— فى ساعة متأخرة من ليلة ١٠ — ١١ / ٦ / ١٩٧٦ ، عاد مجلس الأمن

---

(١) يقصد بذلك وحدات « الحرس الوطنى » المكلفة بالدفاع فى منطقة الحيطة ، انظر فصل « الإعداد المسبق » .

للاجتماع ، وقد جاء فى تقرير لأوثانت : « . . . إن فريق طليعة من المراقبين وصل مع ثلاثة ضباط ارتباط سوريين إلى سعسع الواقعة على بعد ٤٠ كيلو متراً من القنيطرة(١) وهناك علموا أن القوات الإسرائيلية احتلت البلدة » .

وجاء فى التقرير ، نقلا عن تقرير الجنرال أودبول « . . . إن مما يزيد فى الصعوبات ، توغل القوات المسلحة لأحد الجانبين كثيراً فى أراضى الجانب الآخر » .

وذكر أوثانت أن مراقبى الأمم المتحدة شاهدوا فى الساعة ٤٧ ، ٧ من مساء اليوم ، بتوقيت دمشق ، (أى بعد ١٧ دقيقة من موعد وقف القتال) ، طائرات مجهولة الهوية ذات أجنحة على شكل دلتا تهاجم دمشق .

(ج) بعد الحرب :

الأحد ١١ حزيران ١٩٦٧

– وزير الدفاع السورى أصدر بلاغاً جاء فيه : « . . . خلال المعارك القاسية التى جرت بين قواتنا الباسلة وقوات العدوان الاستعمارى الثلاثى ، حاول العدو اختراق خطوط دفاعنا الأولى أكثر من مرة ، بكل ما يملك من أسلحة وطيران متفوق ، وكانت قواتنا تصد تلك الهجمات المتكررة وتقصف مواقع العدو منزلة بها الدمار » .

« . . . لقد قاتل جنودنا الأشاوس بضراوة نادرة ، وصمدوا أمام تفوق العدو الآلى وغارات طيرانه الكثيف المتلاحق دون انقطاع الذى تأكد بشكل قاطع أنه لدول العدوان الثلاثى وليس لإسرائيل فقط » .

« . . . لقد دافع جنودنا الأشاوس عن كل قطعة من أرض الوطن ببسالة منذ بدأ العدوان ، ولكن القوى غير المتكافئة بيننا وبين العدو الثلاثى وخاصة الطيران الغزير(٢) ، مكن العدو من اختراق خط دفاعنا الأول فى القطاع

---

(١) تبعد بلدة سعسع عن دمشق مسافة ٣٦ كم على طريق دمشق – قنيطرة ، وتبعد عن القنيطرة ٣٠ كم فقط .

(٢) قارن بين هذا الكلام ، وبين تصريح اللواء حافظ أسد نفسه (وزير الدفاع) قبل الحرب ، المنشور فى الصفحة ٩٥ من هذا الكتاب . والذى أدلى به إلى جريدة الثورة السورية لتدرك نتائج التهويش والدجل .

الشمالى فى محاولة لتطويق قواتنا . ولقد قاومت قطعاتنا هذه الخطة بوعى وأحبطتها ، ولم تمكن العدو من تنفيذ خطته . وقاتل جنودنا قوات العدوان الثلاثى المتفوقة ببسالة لم يشهد لها مثيل : وهم يتمركزون الآن فى خط الدفاع الثانى متحفزين لاستعادة كل شبر من أرض الوطن(١) .

ـ ناطق عسكرى إسرائيلى قال اليوم إن القوات الإسرائيلية قد استولت على منطقة واسعة من الأراضى السورية خلف الجبهة .

ـ مجلس الأمن الدولى عقد اجتماعاً ليلياً بناء على دعوة مستعجلة من سورية التى قالت إن القوات الإسرائيلية ما زالت تتقدم فى سورية .

ـ الدكتور جورج طعمة مندوب سورية قال : إن القوات الإسرائيلية تحركت إلى الشرق والجنوب من رافد (صوابها رفيد) وقال إن هدفها كان الاستيلاء على منابع اليرموك .

ـ نفت إسرائيل الشكوى وقالت إن تحركات الآليات تمت فى نطاق خطوط وقف إطلاق النار وليس وراءها (لقد حددت إسرائيل خط وقف القتال على هواها) .

ـ استمع المجلس إلى تقرير من الجنرال أودبول . جاء فيـــه « . . . إن دبابات إسرائيلية شوهدت تتحرك إلى الشرق ثم إلى الجنوب من قرية الجوخدار التى تقع إلى الجنوب الغربى من رافد (رفيد) .

وقال الجنرال أودبول أيضاً : « . . . إن إسرائيل قد أسرت عدداً من ضباط الاتصال السوريين ، ولكنها قالت فيما بعد إن ستة من هؤلاء الأسرى قد أعيدوا إلى سورية » .

أندرو ويلسون المراسل الحربى لجريدة « الأوبزرفر » كتب يصف الحرب . فى مقال طويل جاء فيـــه : « . . . إن النصر الإسرائيلى كان النصر المخطط الأكثر دقة منذ اجتياح جنود هتلر لفرنسا عام ١٩٤٠ ، وقال

---

(١) وما دامت « قطاعاتنا » قد أحبطت محاولة العدو لتطويقها ولم تمكنه من تنفيذ خطته ، فلماذا تراجعت عن خط الدفاع الأول ، وكيف وصل العدو إلى القنيطرة ، ولماذا تراجعت « قطاعاتنا » الواعية الباسلة إلى خط الدفاع الثانى ، الذى يبعد عن القنيطرة ٤٠ - ٥٠ كيلومتراً أى الذى يقع على مشارف دمشق ؟؟ مطلوب جواب واضح من وزير الدفاع .

إن الإسرائيليين اعتمدوا فى ذلك على أن القوات العربية ليست تحت قيادة موحدة ، وإن الأحداث أكدت صحة هذا الاعتقاد » .

وقال : « . . . وعلى الجبهة الشمالية مع سورية ، تحققت نبوءة المخططين الإسرائيليين ، وكانت عمليات القوات السورية محدودة جداً ، فلم يقم السوريون بأية عمليات جدية ، لمساعدة المصريين فى الخروج من المأزق الذى وقعوا فيه ، وانحصرت مساعيهم فى هجومات محلية على مستعمرتى حدود إسرائيليتين » .

الاثنين ١٢ حزيران ١٩٦٧

ـ جريدة « الثورة السورية » : « ... كان يمكن أن تكون نتائج المعركة أعظم بكثير لو توافر تنسيق أوسع للاستراتيجية العربية ورافق ذلك توزيع أدق للقوات » .

« ... كان من المفروض أن تعمل فى الصحراء قوى خفيفة وسريعة الحركة مهمتها الضرب والانسحاب ، على أن يركز العمل الهجومى من الحدود الأردنية وتبقى المهمة الرئيسية فى الصحراء وعلى الجبهة السورية هى الدفاع وإشغال العدو » .

« . . . إن الوطن العربى كله يجب أن يتحول إلى ثكنة مدربة بأقصى سرعة . . » .

« . . . إن القتال الذى دار فى القنيطرة بين القوات السورية المعززة بقوات الجيش الشعبى وبين القوات الإسرائيلية ، يفوق قتال ستالينجراد وبور سعيد(١) » . ووصفت ذلك القتال جريدتا البعث والثورة ، بأنه أشرف قتال عرفه التاريخ الحديث .

ـ إسرائيل منعت الدخول إلى منطقة المرتفعات السورية (الجولان) إلا بإذن خاص . وقال ناطق بلسان الجيش الإسرائيلى أن من يدخل المنطقة يعرض حياته للخطر لأنها زرعت بالألغام .

---

(١) حتى هنا ، الكذب و المزايدات ، كان الله بعون هذه الأمة على الدجالين ! .

الثلاثاء ١٣ حزيران ١٩٦٧

ـ جريدة الثورة السورية الناطقة بلسان الحكومة البعثية قالت :

« . . . إن أهم نصر حصل عليه العرب فى حربهم مع إسرائيل ، هو تلك الاندفاعية الثورية التى امتدت من المحيط إلى الخليج(١) ».

الأربعاء ١٤ حزيران ١٩٦٧

ـ الدكتور نور الدين الأتاسى رئيس الدولة السورية ، أذاع بياناً باسم القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى الحاكم دعا فيه إلى : **« . . . استئصال الوجود السياسى والاقتصادى لبريطانيا والولايات المتحدة والدول الأخرى التى ساندت إسرائيل فى العالم العربى »** . وجاء فى البيان : **« . . . وقد استجابت سورية للقرار بعد وقف القتال فى سيناء** ـ يقصد قرار وقف إطلاق النيران ـ **نتيجة لذات الظروف القاسية »** . وقال : **« إنه اتضح بما لا يقبل الشك أن الطيران الأمريكى والبريطانى دخل المعركة مع الطيران الإسرائيلى ضد سورية »** .

البريجادير صموئيل ايال ، رئيس دائرة أسرى الحرب فى الجيش الإسرائيلى ، قال : **إن إسرائيل تأمل تبادل ٥٤٩٩ أسيراً عربياً مقابل ١٦ جندياً إسرائيلياً أسروا خلال الحرب الأخيرة .**

وادعى أن فى المعسكرات الإسرائيلية ٤٥٠٠ أسير مصرى و ٤٨٧ أردنى و ٣٣٣ سورى بالإضافة إلى ١٧٩ من الأسرى الجرحى الذى يعالجون فى المستشفيات الإسرائيلية . وادعى أيضاً أن بين الأسرى المصريين ٣٠٠ ضابط بينهم تسعة برتبة جنرال . أما عن الأسرى الإسرائيليين فقال إن تسعة منهم فى أيدى المصريين واثنين فى كل من العراق وسورية والأردن وواحداً فى لبنان .

الاثنين ١٩ حزيران ١٩٦٧

باتريك بروجان ، مراسل جريدة « التايمز » البريطانية زار مع مجموعة من الإسرائيليين مرتفعات الجولان السورية التى احتلتها إسرائيل وقال :

---

(١) ألا يخجلون من أنفسهم ؟ ! . . أبعد كل ما حصل ، يعدون أنهم انتصروا على إسرائيل ؟ ! .. انظر فصل « نقاش الإثبات » .

إن الإسرائيليين تغلبوا على خطوط الدفاع السورية التى تبدو غير قابلة للاختراق ، بالدوران حولها ، وأخذها من الخلف ، وقال إنهم استخدموا الطريق التى كان الجميع يظن أنه لا يمكن اجتيازها ، وهى الوادى الضيق الذى يمر شرقاً من مستعمرة دان(١) الذى يمر فيه نهر بانياس وقال إن الوادى لم يكن محمياً سوى من قبل لواء واحد وقليل من المدفعية وقد اجتاحها الإسرائيليون خلال الليل ثم استولوا على مواقع المدفعية على مهل .

السبت ٢٤ حزيران ١٩٦٧

محمد الزعبى وزير الإعلام السورى ، صرح فى مؤتمر صحفى رفض سوريا للصلح مع إسرائيل ، وقال : « ... إن سورية خسرت فى المعركة ٢٠ ضابطاً و ١٢٥ جندياً . وقد جرح ٩٨ ضابطاً و ٥٠٠ جندى بالإضافة إلى ٣٠٠ من المدنيين والعسكريين أصيبوا بحروق من قنابل النابالم .

وأضاف أن حوالى ٤٥ ألف سورى نزحوا عن المنطقة المحتلة . أما عن الأسرى فقال إنه لا يمكن إحصاؤهم لأن إسرائيل ما زالت تعتقل المواطنين ..

وقال إن الجيش السورى صمد ثلاثة أيام حين هاجمته إسرائيل ، إلى أن صدرت له الأوامر بالانسحاب حين رأت القيادة أن خطة إسرائيل كانت تطويق قطعات الجيش السورى(٢) » ..

---

(١) إن هذا يؤكد رواية الضابط اللبنانى ، ويؤكد ما ذكره من دخول القوات الرئيسية للعدو من هضبة المغاوير بعد تمهيد طريق فيها بواسطة الطيران والمدفعية والجرارات ويؤكد لنا كذلك أن الألغام الموجودة على الطرق لم تنسف لأنها لو نسفت لاستوقف القوات الغازية رغم دخولها الأرض السورية من مكان غير متوقع ، لأن هذه القوات بعد اختراقها الحدود ، عادت وأخذت الطريق الرئيسية (بانياس — مسعدة) لتتابع زحفها نحو مسعدة ، ولو نسفت الملاغم على هذا الطريق ، لوقعت الآليات المعادية فى واد سحيق ، هو « وادى العذارى » الذى يمتد من مسعدة إلى بانياس موازياً الطريق المذكورة .

(٢) من المؤكد أن الوزير يكذب .. وأن أوامر الانسحاب لم تصدر بشكل شريف ونبيل وبمظهرها العسكرى القتالى المحترم وإنما هى دعوة إلى الفرار أطلقها أول من أطلقها الضباط البعثيون وتبعهم بذلك الاحتياطيون فباقى وحدات الجيش . وإن الذين يعرفون الجولان ، ووضع القوات فيه ، وخطة قتاله ، يرفضون ما يدعيه حزب البعث وأجهزة إسرائيل من وجود إمكانية حدوث تطويق على نطاق واسع للقوات السورية فى الجولان إلا إذا استطاعت القوات العدوة =

الجمعة ٣٠ حزيران ١٩٦٧

البريجادير جنرال مردخاي هود ، قائد سلاح الطيران الإسرائيلي ، قال في حديث له عن أعمال الطيران الإسرائيلي ضد الطيران العربي :

« . . . إن ثلثي سلاح الطيران السوري دمر خلال ساعة واحدة . . وعندئذ انتقل الثلث الباقي إلى مطارات تقع خارج نطاق القتال » .

* * *

=احتلال دمشق عبوراً من أراضي دولة مجاورة كالأردن أو لبنان ، وهذا لم يحدث ، ولكنها . كلها ادعاءات كاذبة لتبرير الجريمة ، وتغطية التخاذل المذل المهين وإن ما يؤكد قولنا بأن القوات لم تصمد ، ولم تقاتل ، بل فرت وتركت الأرض للعدو ينهبها ، هو هذا العدد السخيف من الخسائر بالرجال ، لأن وضع الجبهة لن يتيح لعدو احتلالها إلا أن يتمكن من إبادة وتدمير القسم الأعظم من القوات المدافعة فيها ، وهذا ما لم يحدث ، باعتراف المسئولين البعثيين والمسئولين الإسرائيليين على السواء !

- ٢ -

لمحات متنوعة من صور الجريمة

١ – **سبق أن أشرنا فى فصل سابق إلى موضوع الملاغم ...** ولقد ثبت لدينا أن الملاغم هذه لم تنسف ، ولو أنها نسفت لكان اليوم للجولان وضع آخر ... لأن نسفها كفيل بإيقاف العدو عن التقدم ساعات طويلة ... قد تكون وقتها كافية ليستعيد القادة المخلصون أنفاسهم – إن وجدوا – ، ويستجمعون قواهم ، ويتخلصون من عناصر الخيانة .. ويسيطرون هم على قوات الجبهة .. فيديرون من جديد ، قتالا صحيحاً ضارياً .. ربما كانت له آثار كبرى ، فى إحباط الصفقة المعقودة بين إسرائيل وحزب البعث ... والتى بموجبها بيع الجولان للعدو .

٢ – بعد البطولات التى قام بها سدنة الأسلحة المضادة للطائرات .. بدأت المأساة تمتد إليهم أيضاً ، **فبدأت الذخيرة تصل إليهم مطلية بالشحم ،** ولهذا أكبر الأثر فى تأخير هذه الأسلحة عن تحقيق فعالياتها فى الوقت المطلوب ... وذلك بسبب النقص الهائل فى سدنة مستودعات الذخيرة ، بسبب إهمال كبير ارتكبه قسم من إدارة وحدات المدفعية هذه .. لأن واجب تنظيف الذخيرة من الشحم وإيصالها نظيفة صالحة إلى المدافع هو من مسئولية أجهزة الإدارة فى هذه الوحدات .

٣ – فى منطقة الجبهة ، وفى القطاع الأوسط بين كفر نفاخ ، والقنيطرة توجد مستودعات ضخمة جداً للذخيرة من العيارات والأنواع المختلفة .. محفورة فى **تل خنزير (المرتفع ٩٧٧) ...** وهذه المستودعات مخصصة لتزويد وحدات القطاع الأوسط بكاملها وأية قطعات أخرى تلحق على القطاع .. باحتياجها من الذخيرة .

ولقد كان مشهد استلام الذخيرة من هذه المستودعات ، من أسوأ

صور الإهمال والفوضى ... فلقد تزاحم مندوبو الوحدات لاستلام احتياجها من الذخائر .. بينما لم يوجد فى هذه المستودعات من المسئولين عن التسليم سوى مساعدين(١) اثنين .. وهذا ما سبب تأخيراً فى وصول الذخيرة إلى المدفعية والمدفعية المضادة للطائرات .. كان له أثر كبير السوء فى معنويات الوحدات ... وسرعة تدخلها ضد قوات العدو وطيرانه .

٤ ـ فى ألوية الاحتياط ، التى حشدت للزج بها فى المعركة ... والتى كلفت الهجوم على أحصن منطقة دفاعية فى إسرائيل كلها ، « منطقة الجليل حتى صفد ـ الناصرة » . فى هذه الألوية .. **كان أكثر من ٩٠٪ من ضباط وحدات هذه الألوية ، من غير المدربين مطلقاً على المهمات التى أوكلت إليهم** . .

فهناك ضباط احتياطيون لم يدربوا على أكثر من قيادة فصيلة مشاة ، عينوا فى **وظائف رؤساء عمليات كتائب(٢) ، ورؤساء أقسام عمليات فى**

---

(١) المساعد : هى رتبة من الرتب العليا فى صنف ضباط الصف . وتعادل فى الجيوش العربية الأخرى رتبة الوكيل .

(٢) وظيفة رئيس عمليات كتيبة أو رئيس قسم عمليات الألواء ، يشغلها ـ حسب الملاك ـ ضابط برتبة عقيد . فإذا علمنا أن الضابط لا يصل إلى رتبة عقيد إلا بعد قضائه فى الخدمة ـ على الأقل ـ عشرين عاماً ، يخضع خلالها لسلسلة من الدورات والاختبارات تكاد لا تنتهى ، ويحضر الآلاف من التمارين والمناورات « بجنود وبغير جنود » ، ويخوض العدد المتيسر من المعارك ـ إن وجدت . . . إلخ . ندرك أهمية هذه الوظيفة وخطورتها ، والمستوى المسلكى الراقى المطلوب توفره فى من يكلف القيام بها .

وإذا علمنا أيضاً ، أن الاحتياطيين الذين كلفوا القيام بواجبات هذه الوظائف ، لم يقضوا فى الخدمة العسكرية أكثر من ثلاث سنوات ـ متقطعة ـ على أبعد تقدير ، ولم يحضروا من الدورات أكثر من دورة قائد فصيلة ، أو دورة قائد سرية ـ فى قليل جداً من الحالات .

إذا علمنا ذا وذاك . . . ندرك أهمية الجريمة وخطورتها فى تعيين أمثال هؤلاء الاحتياطيين لمثل هذه الوظائف ، وخاصة ، فى فترة تكليف وحداتهم بواجبات قتالية خطيرة ـ هجوم على صفد ، أو دفاع عن الجولان ـ ، فى الوقت الذى ترك فيه الضباط المتخصصون ـ والذين أنفق الجيش على تدريبهم مئات الملايين من الليرات ، اقتطعت من قوت الشعب . . . ليبعدهم لمثل هذه الساعة ، هائمين على وجوههم فى الشوارع ، أو محاصرين فى بيوتهم يتلقون أنباء الفاجعة بواسطة =

قيادات الألوية. وهناك ضباط كلفوا قيادة وحدات الهاون أو المدفعية مع أن تدريبهم فى كلية ضباط الاحتياط ، كان على أعمال المشاة ، أو كان منهم من درب — منذ عشر أو خمس عشرة سنة ، على الهاون القديم — الإفرنسى — ثم جىء به ليقود قتال وحدات هاون أو مدفعية من النوع الروسى حديث الصنع . ومن الضباط من كلف قيادة وحدات المدفعية . م ـ ط ، وهم لا يعرفون عن هذا النوع من السلاح إلا اسمه فقط . ومن الضباط أيضاً من كلف قيادة سرايا أو فصائل مدفعية م ـ د ، بينما كان اختصاصه السابق هو الإشارة « أجهزة وطرق إقامة الاتصالات العسكرية » .

هذا غيض من فيض .. من الذى يمكن أن يقال عن سوء تعبئة الاحتياطيين حسب الاختصاصات . وهذا مثال بسيط ، اتخذنا فيه الضباط نموذجاً لنشرح بواسطتهم تلك الجريمة البشعة ، وما يقال عن الضباط ، يقال أضعاف أضعافه عن ضباط الصف والجنود ... فضاربو الآلة الكاتبة عينوا رماة على مدافع الـ م ـ د أو الـ م ـ ط . والذين قضوا خدماتهم السابقة حجاباً أو خداماً فى بيوت الضباط ، عينوا ممرضين أو نقالى جرحى ، أو حتى سائقى شاحنات . والذين دربوا فى خلال خدمتهم على الأسلحة الفنية والدقيقة والفعالة ، أعفوا هذه المرة من خدمة الاحتياط . وهكذا ... كانت الألوية الاحتياطية — كما شاءت لها قيادة حزب البعث — عبارة عن حشد بشرى متلاطم متنافر ، جمعته الملابس ، وفرقته النعرات والعداوات وسوء التدريب ، وانعدام الاختصاصات ... فانفرط عقد تلك الكيانات — الصورية — عند أول تحليق قامت به طائرات العدو . . وقصفت خلاله حممها على رؤوس هذه القوات .

٥ — لم تلجأ القيادة — رغم تهدد البلاد بالحرب — إلى **إعلان التعبئة**

=أجهزة « الترانزيستور » . أو مشردين فى أربعة أركان الأرض ، يبحثون عن لقمة العيش ، يأكلونها بشرف وعزة نفس . . . لا لشىء . . . سوى إنهم غير بعثيين . . . . وسوى إنهم ، لو تركوا على رأس وحداتهم ، يقاتلون العدو الغازى . . . لأشبعوه جراحاً وهزيمة . . . تضيع عليه نشوة احتلال سيناء وضفة الأردن الغربية .

العامة ، وخاضت الحرب – المسرحية – بقوات هزيلة مهلهلة ... وباحتياط ضعيف غير مدرب وسيء التعبئة ، . . اعتمدت في تعبئته المقاييس الطائفية والطبقية . ووضعت هذه القوات في مقدمة الميدان ... بينما تركت الوحدات والعسكريين (الموثوقين) ، والمأمون جانبهم ، في داخل البلاد ، لتبقى قوة ضاربة بيد الحزب ، يضرب بها أي تحرك قد يصدر من الشعب ، لإزاحته وتطهير الأرض من مفاسده .:

ولو أجرينا مقارنة بسيطة في وقفة قصيرة ... بين الحزب الحاكم في سوريا ... وحكام إسرائيل ، لبدا لنا واضحاً .. البون الخيف في مفهوم الغيرة على البلاد ، وإعطاء أمنها المحل الأول ... قبل مصلحة وأمن الحزب أو الحكام .

فعلى الرغم من العداوة المستعرة بين ليفي أشكول – رئيس وزراء إسرائيل تلك الأيام – ، وبين موشي دايان ... فلقد كلف هذا الأخير ، مهام وزارة الدفاع ، وأعطى الصلاحيات الكاملة لقيادة الحرب ضد العرب ، أي وضع موشي دايان – وقت الحاجة إليه – في موضعه الذي منه يستطيع أن يقدم أفضل خدمة لدولته وشعبه .

أما الحزب ... فقد أبعد – حتى أيام الحرب – أهل الاختصاص والخبرة ، وأصحاب المصلحة الحقيقية في الحفاظ على تراب البلاد وصون أمنها والفئة الأكثر استعداداً للبذل والفداء لحمايتها ...استبعدوا ، وشردوا ولوحقوا وسجنوا ، وحوكموا ، وصدرت بحقهم أحكام شتى ...

كل ذلك .. لصون أمن الحزب ، وسلامة الحكام ... على حساب أمن البلاد ... وسلامة أرضها وأهلها .

٦ – وأسوأ من ذلك ... ورغم دعوة الاحتياط بالشكل السيء الذي شرحناه ... ورغم وضعه مشلولا في مواجهة عدو مدرب خير تدريب ، ويملك أحدث وأفتك الأسلحة ... رغم كل ذلك ، فقد كانت القيادة الحزبية الحاكمة ، تمارس أبشع صور عدم الثقة بهذا الشعب ، والخوف من أبنائه ، **فلم توزع الأسلحة والذخائر على الألوية الاحتياط المكلفة تنفيذ الهجوم على إسرائيل . . . إلا قريباً من قواعد الانطلاق . . . في منطقة**

وادى حواء ، وسنابر ، والجمرك . . . أى قريباً من العدو (١-٢) كم وحين أصبحت تحت رحمة طيرانه وضمن مدى رماياته بالمدفعية — وحتى الهاون — .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ... بل قامت قيادة الحزب « المناضل » بتطويق هذه الألوية بواسطة كتائب الدبابات ، الجاهزة للتدخل ضدها — لا ضد العدو — ، خوفاً من تحرك مفاجيء قد تقوم به هذه الألوية أو جزء منها لـ : « **ضرب الثورة وإعادة حركة التاريخ إلى الوراء** »(١) .

ولما حان وقت تسلم العدو للأرض التى باعه إياها الحزب الحاكم ... عادت كتائب الدبابات هذه ... لتحمى « الثورة » وتركت ألوية الاحتياط — فريسة سهلة — أمام العدو ، فكانت إحدى صور الكارثة .

٧ — **وحتى أوامر الانسحاب (المزعومة)** . . . فلم تصدر بشكل رسمى ولم تبلغ بصورتها العسكرية الصحيحة إلى الوحدات .... وإنما تم إبلاغها بصورة هامسة إلى الضباط الحزبيين ، والقادة الكبار للتوجه إلى دمشق ، وحضور اجتماعات حزبية ... الذين ما عتموا أن أداروا ظهورهم إلى وحداتهم ، وولوا دبرهم للعدو ... واتخذوا وجهة الهروب إلى دمشق .. ومنها إلى حمص ... لأن قيادة الحزب كانت قد عملت حسابها أن دمشق ستسقط بيد العدو الإسرائيلى .

وأما الوحدات ... وخاصة الأمامية أو المعزولة ، أو المطوقة .. فلم تبلغ شيئاً من أوامر الانسحاب هذه .. ومكث أكثرها فى أماكنهم حتى يوم الجمعة ٩ حزيران ... فوجدوا أنفسهم وقد أصبحوا معزولين عن باقى الوحدات ... وأخذت أجهزة الهاتف تمارس البكم القاتل ... وشعر الذين بقوا حتى ذاك التاريخ ... أنهم قد أصبحوا مثل بقايا قافلة ... تخلى عنها قادتها وحادوها وأدلاؤها ... بعد أن تسللوا ليلا إلى واحات مجاورة ...

---

(١) من الجمل السخيفة التى تتردد كل يوم كثيراً من المرات على ألسنة وأقلام أجهزة الأعلام البعثية . . . خلال حديثهم عن « المؤامرات » التى تحيكها « الامبريالية والرجعية وإسرائيل . . ! » .

وتركوها مشتتة فى مواجهة الإعصار المحرق .. فابتدأ الهروب الكبير ... بالشكل الذى شرحناه .

٨ - **والحديث عن الهجمات المعاكسة ...** حديث ذو شجون . . يجرح القلب ، ويشحن النفس بالآلام المزمنة ...

الهجوم المعاكس ... أو سلسلة الهجمات المعاكسة التى كان مقرراً تنفيذها . لسد الخرق ، ورد العدو واستعادة السيطرة على الأرض ... تلك السلسلة من الأعمال التى سبق أن قررت ودربت عليها الوحدات . . سلسلة الهجمات المعاكسة تلك ... بقيت حلماً فى مخيلة أمثالى من الذين يشكل الجيش والجولان جزءاً عزيزاً من حياتهم ... وبقيت صوراً باهتة عن فرضيات رسمها قادة سابقون ... ولكنها لم تنفذ على الأرض حقائق حية تبرز حيوية هذا الشعب المعطلة ... وتشكل وفاء لدين كبير فى عنق الجيش .. يؤديه راضياً مختاراً ... إلى الشعب الذى وثق به وضحى من أجله بلقمة العيش ، وخبز اليوم .

الهجمات المعاكسة ... تلك الأعمال القتالية التى تمثل أعنف صور الإصرار على الاحتفاظ بالأرض ورد المهاجم إلى حيث جاء غازياً غريباً لم ينفذ منها شىء ... وإليك يا أخى ... الخفايا الغريبة التى تتعلق بموضوعها .

إنك لو عدت معى إلى صفحات سابقة ... لوجدت أننى قد شرحت أن من جملة ما تضمنته خطة عمليات الجبهة والجيش ... سلسلة من الهجمات المعاكسة ... تنفذها الوحدات ابتداء من سرايا النسق الثانى من كتائب النسق الأول ، المحتلة للموضع الدفاعى الأول ... ومروراً باحتياطات الألوية فاحتياطات قيادة الجبهة .. وانتهاء باحتياطى الجيش ...

ولكن .. هل نفذ منها شىء ...

إن الحديث عن الهجمات المقررة على مستوى احتياطات كتائب النسق الأول ، واحتياطات ألوية النسق الأول ، هو ضرب من ضروب العبث وإضاعة للوقت دون أية فائدة ، فلقد بينا أن هذه القوات .. لم تقاتل مطلقاً .. ولم تنفذ واجبها الأول فى إجراء وإدارة القتال الدفاعى الثابت .. بله تنفيذ ما سبق أن كلفت به .. من تنفيذ الهجمات المعاكسة ... التى هى مرحلة من

أكثر مراحل القتال تعرضاً للأخطار المختلفة ... وفى مقدمتها . الالتحام حتى بالسلاح الأبيض .

مثل هذا القتال ، تنفذه وحدات مدربة ، ذات عقيدة تقاتل عنها ، وتحمل إصراراً عنيداً على طرد العدو ومنعه من السيطرة على الأرض . وتدمير قواه .. وشل فعالياته .

إذن فالألوية لم تقاتل ، ولم تنفذ هجماتها المعاكسة المقررة . وأسوأ من ذلك قيادة الجبهة .

إن أسئلة ضخمة ... تتجمع الآن ، لتطلق فى وجه المجرمين الذين كانوا يقودون الجبهة .

ــ ماذا فعلت بالقوات التى سبق لها أن سحبتها من مواضع القتال المتقدمة . بحجة إخلاء الأرض لألوية الهجوم « على صفد » .. ، لاحتلال قواعد انطلاقها ؟

ــ ماذا فعلت قيادة الجبهة .. هذه ، بالألوية التى ألحقت على الجبهة .. وفى مقدمتها لواء السويداء .. وكتائب الصواريخ ..وكتائب المدفعية الطويلة ١٢٢ ـ مم ، وكتائب الهندسة و .. و ... إلخ ؟؟

ــ بل ماذا فعلت تلك القيادة ... بالوحدات التى هى أصلا من ملاكها مثل كتائب مدفعية الهاوتزر(١) « ١٢٢ » مم وكتائب المدفعية الطويلة « ١٢٢ مم » ذات المدى الأقصى الذى يبلغ (٢١) كيلو متر . . وكتائب الهاون ١٢٠ مم وكتيبة الهندسة . وسرية قاذفات اللهب ، وكتيبة المغاوير ، و ... إلخ ؟ ؟

إنى لأجد من العبث ... محاولة الاستمرار فى هذه التساؤلات .. لأن الجواب واضح مسبقاً ... إذ كيف يمكن لقيادة أن تمارس سيطرتها على تلك القوات الضخمة ... فى وقت تجد فيها كبار قادتها ... قد ولوا دبرهم للعدو .. وتركوا تلك الوحدات مشلولة عاجزة ؟

---

(١) مدفعية الهاوتزر : نوع من المدفعية ، قصير السبطانة . . . قصير المدى نسبياً ، يرمى نوعاً من الرمى هو أقرب إلى المنحنى . . وهو يكون عادة من عيارات مختلفة . . . والموجود منه تحت تصرف قيادة الجبهة من عيار ١٢٢ مم ، ومداه الأقصى حوالى (١١) كيلو متر .

. . . . ويبقى الحديث عن قيادة الجيش ، واحتياطى الجيش .

ولقد سبق أن بينت كذلك .. أن فى خطة عمليات الجيش .... وفيما يتعلق بالجولان .. هجمات معاكسة تنفذها مجموعة الألوية (٢٩) ، والتى تضم الألوية (٧٢ المشاة المحمول ، و١٨ المشاة ، و ٩٠ الاحتياط و٧٠ المدرع و ٣٧٠ المدفعية)(١) ، بمعاونة كتائب كثيرة من الهندسة ، والمدرعات ... والمدفعية ، والإشارة ... وقاذفات اللهب .. وبمعاونة الطيران .

مثل هذا الهجوم المعاكس ... سبق أن دربت عليه الوحدات أكثر من مرة . . ووضعت فرضياته فى صلب خطة عمليات الجيش الخاصة بالجولان وكان يجب تنفيذه .

ولكن ما الذى حدث ... ؟

لست أدرى إن كانت القيادة قد حشدت قوات مجموعة الألوية المذكورة . كلها أو قسما منها ، أو أكثر ، ولكن الذى وصل إلى علمى يقيناً ... أن اللواء السبعين المدرع (٢) ، كان قد حشد لهذه الغاية وتمركز فى حرش بريقة — بير عجم قرب القنيطرة . فى وضع الترقب لأداء واجباته .

وقبيل الاختراق الإسرائيلى للجبهة ، الذى تم ظهر الجمعة ٩ حزيران ... وفى صباح يوم الجمعة المذكور نفسه أصدر (اللواء) أحمد سويدان .. أمره إلى شعبة العمليات بوجوب تحريك اللواء السبعين وكتائب المدفعية والصواريخ لتنفيذ الهجوم المعاكس باتجاه (قنيطرة — واسط — القلع) ولكن رئيس شعبة العمليات .. اللواء عواد باغ ، عارض الأمر ، وفند خطأه ، وأوضح للسويدانى إن تحريك اللواء فى وضح النهار ، وفى أحوال انعدام الحماية الجوية الصديقة لتحركه .. وتحت سيطرة العدو الجوية التامة المطلقة .. على سماء الحرب .. أن تحريك هذا اللواء (وأية وحدات أخرى) نهاراً ، وبصورة مكشوفة .. يشكل جريمة كبرى ، يكون من نتائجها إحراق وتدمير هذه الوحدات تدميراً تاماً ...

---

(١) التسميات التى أوردتها ، هى منذ عام ١٩٦٠ ، وقد غيرتها القيادة عقب مؤامرة ٨ آذار ، ولكن الوحدات ظلت على حالها .

(٢) وهو مزود بدبابات (ت ٥٤) الروسية التشيكوسلوفاكية . . وهى من أجود الدبابات وأحدثها ، وأقواها وتتفوق بكثير من المميزات على الدبابات الإسرائيلية (سنتوريون ، وباتون) الإنكليزية والأمريكية الصنع .

فتراجع السويدانى عن أمره .. وأخذ عواد باغ على عاتقه تنفيذ الهجوم المعاكس فى أحوال قتالية أفضل ، ولذا ... فقد أصدر أمره إلى قائد اللواء السبعين ... (العقيد عزت جديد) وقادة كتائب المدفعية والصواريخ بوجوب التحرك ليلة ٩ — ١٠ حزيران باتجاه (قنيطرة — واسط — القلع) لتنفيذ الهجوم المعاكس وطرد العدو المتقدم داخل أرض الجبهة .

إلا أن العقيد المذكور ... رفض تنفيذ هذا الأمر بحجة أنه ليس له أن يتحرك بدون حماية جوية .. عندها ناقشه اللواء عواد باغ بأبسط الأسس القتالية الفنية ... وأفهمه أنه جاهل بأبسط قواعد واجبه ... وبين له أن تحركه ليلا لا يشكل عليه أى خطر ... حتى إذا ما أتم احتلال خط الانتشار المقرر لإجراء الهجوم المعاكس (كل ذلك ليلا) ... وأصبح قريباً من وحدات العدو .. فإنه ... حين ينبلج الصبح ، يستطيع تنفيذ الهجوم المعاكس ، والالتحام مع العدو ثم مطاردته ... وبذلك يكون قد أصبح فى وضع يحميه من ضرب طيران العدو ... لأن هذا الأخير لا يجرؤ على الضرب ، لصعوبة تمييزه بين وحدات كل من الطرفين ، ولارتفاع نسبة احتمال إصابته لوحداته ارتفاعاً كبيراً .

... ولكن صوت العلم والحق والإخلاص الذى علا . . أخمدته رياح التآمر والإجرام ... فلجأ العقيد المذكور إلى الاحتماء بوضعه الحزبى ... والتطاول على أفضل شخصية عسكرية بقيت فى الجيش حتى اليوم ... واتصل مع كل من صلاح جديد ، وحافظ الأسد ، وأعلمهما بما تم بينه وبين عواد باغ ... وأبلغهما مخاوفه من أن يحاول هذا الأخير إحالته أمام القضاء العسكرى ... فطمأناه .. وبددا مخاوفه وضاعت الجريمة فى زحمة الجرائم ، التى تلاحقت بصورة تحبس الأنفاس .

ثم ماذا فعل اللواء السبعون ؟

تحرك فى الليل نفسه ... ولكن ليس فى الاتجاه (قنيطرة — واسط) بل فى الاتجاه (قنيطرة — دمشق) ، وذلك لإنقاذ دباباته من التدمير بواسطة الطيران ... لأن هذا اللواء ، هو الوحيد الذى بقى فى يد الحزب ، أداة فعالة لإزهاق نفوس الأحرار من أبناء الشعب ، ووصل إلى دمشق فى الليل نفسه . .

وانتشر فى بساتين الغوطة وحدائقها . . يخرب المزروعات ويدمر المحاصيل كل ذلك من أجل « حماية الثورة » .

وأما كتائب المدفعية الصاروخية ... فقد دمرت ، وفر سدنتها بعد القادة ... وفقد الجيش أحد الأسلحة الفعالة ، التى كانت إلى ما قبل لحظة تدميرها من خيرة الاحتياطات ... بيد القيادة العامة . تتدخل بها فى أى اتجاه مهدد .

٩ ـ والاستطلاع . . . ذلك الفرع الهام من فروع العمل القتالى ـ والذى تتوقف على درجة إتقان عناصره لواجباتهم ... وعلى دقة المعلومات التى يقدمها .. نتائج المعارك ، وبالتالى نتائج الحروب .

وعند الحديث عن الاستطلاع ... نجد أنفسنا مضطرين للعودة إلى الوراء .. عدة سنوات .. لنكشف للقارىء . جانباً آخر من جوانب الجريمة التى ارتكبها حزب البعث ، منذ قيام حركتهم التى أسميت ـ ٨ آذار .

فمنذ قيام حركة آذار المذكورة ، عين فى وظيفة رئيس قسم الاستطلاع لقيادة الجبهة ، ضابط احتياطى برتبة ملازم أول(١) اسمه نشأت حبش .

ونشأت حبش هذا ... شاب (بعثى) ، من قرية جباثا الخشب ، وشقيق السيد مروان حبش ، عضو القيادة القطرية الحاكمة فى سوريا .

والاختصاص الأساسى لنشأت الحبش هذا ... معلم مدرسة ابتدائية .. ثم اتبع دورة كلية ضباط الاحتياط التى تؤهله لقيادة فصيلة مشاة . . وسرح بعد انتهاء خدمته العسكرية .. ثم رفع إلى رتبة ملازم أول احتياط .. واستدعى عقب الثامن من آذار ، وسلم وظيفة رئيس قسم استطلاع الجبهة ، واستمر فى هذا العمل كل تلك المدة .. حتى يوم تسليم الجبهة فى ـ ١٠ حزيران ـ٦٧ .

وبعد هذا الاستطراد الذى كان لابد منه . . نعود إلى عمل الاستطلاع خلال أيام الحرب ...

---

(١) ملاك هذا المنصب مقدم أو عقيد ، ويجب أن يكون متبعاً ـ على الأقل ـ لسلسلة من الدورات التأهيلية ، تشمل فيما تشمله دورات : (الصاعقة ، الطوبوغرافيا ، قراءة الصور الجوية ، قائد كتيبة استطلاع أو مشاة ، رئيس قسم استطلاع على مستوى جيش ، وهذه لا يمكن له أن يتبعها إلا بعد اتباعه سلسلة من الدورات لوظيفة رئيس قسم استطلاع على مستوى لواء ، فمجموعة ألوية . . ثم الجيش ، ودورة لغة عبرية . . . إلخ) .

فأما بالنسبة لأقسام استطلاع الألوية ... فلم يظهر لها مطلق أثر ... وضاع ضباطها وعناصرها فى زحمة الفوضى والهرب والانسحابات الكيفية التى وقعت ...

أما ما سبق أن قرر ، من خطط استطلاع ، وردت فى خطط عمليات الألوية (القطاعات) ... فهذا حديث أحلام ... ، ورؤساء الاستطلاع المسئولون ، لم يكونوا يدرون عنها شيئاً ... لأن خطط الاستطلاع هذه كانت قد حفظت فى مصنفات الوثائق التى خلفها عهدا « الوحدة ، والانفصال » ... ، بينما فى عهد الثامن من آذار ، لم يعد من ضرورة لمتابعة خطط الاستطلاع ، وتحقيقها ، وتدريب الوحدات عليها ...

إن ذلك قد أصبح من آثار العقلية (الرجعية) السابقة . أما أهل الثامن من آذار ... فقد ارتفعوا فوق ذلك المستوى . . .إلى مستوى كوهين ... وشركائه الذين كشفوا والذين لم يكشفوا بعد .

وأما الاستطلاع فى الألوية الاحتياط ، التى كلفت الهجوم ... ثم الدفاع ... فلست أدرى إن كان قد عين فى قياداتها ضباط استطلاع ... ليقوموا بهذا الواجب أم لا ... وأغلب الظن أنه لم يعين لها أحد لهذه الوظائف وإن كان قد عين لها أحد ، فهل يمكن أن يكون خبيراً ، من نشأت حبش الذى عين رئيساً لاستطلاع أخطر وأكبر مجموعة قوات ، تحمل أخطر وأكبر عبء فى البلاد ؟؟

وأما سرايا استطلاع الألوية ... فلم يك وضعها خيراً من وضع باقى القوات ، سوى أنها كانت مزودة بناقلات للجند مدرعة (ب . ت . ر) ، وكانت هذه الآليات صالحة لنقل سرايا الاستطلاع هذه إلى مناطق أمينة خارج حدود أرض القتال ... ففرت مع الفارين ، ولكن الطيران المعادى أدركها .. ودمر الآليات .. وأكمل الفارون زحفهم على الأقدام ..

واستطلاع قيادة الجبهة .. كان مشلولا عاجزاً .. قدم سلسلة من التقارير المشوهة الضعيفة فى مستوى صحة معلوماتها .. وكان أبرز التقارير التى رفعها إلى القيادة . . تقرير كان تاريخه الجمعة ٩ حزيران ويفيد بأن العدو قد حشد

فى مواجهة القطاع الشمالى حوالى ٦٠ دبابة(١) (لنا عودة لهذا الموضوع فى صفحات قادمة) .

أما المعلومات عن : (نوايا العدو — قطاع الخرق المحتمل — الاتجاه الرئيسى المحتمل للهجوم — كثافة(٢) قوات العدو — مناطق تجمعه .. قاعدة انطلاقه . . إلخ) ، هذه المعلومات التفصيلية الدقيقة ، التى هى من صميم عمل وحدات الاستطلاع ، الحصول عليها وتقديمها إلى القائد فى الوقت المناسب .. فلقد كانت أشياء يجهلها « الحبش » ذاك .. ولا غرو .. فهو لم يسمع بها كل حياته ، فمن أين له أن يناقشها ويحصل عليها ثم يقدمها للقائد ؟

وحتى بعد إجراء القتال .. وحين بدأت قوات العدو تدخل أرضنا الطاهرة .. كان من أكبر الواجبات المستمرة على الاستطلاع ، أن يحدد بصورة دائمة للقائد ، خطوط التماس مع العدو .. وأعماله المستمرة ، ثم الكشف عن نواياه للمراحل القادمة من القتال ..

ولقد كانت القيادة العامة فى دمشق .. جاهلة كل الجهل ، كل ما يفيدها عن خطوط التماس مع العدو ، وعن أعماله وكانت — وكأنها قيادة جيش آخر يقع فى الصين مثلا — تجهل كل شىء .. عن الوضع القتالى القائم فى الجبهة .. رغم تحرك بعض القادة إلى مراصدهم المتقدمة .. ولكن ذلك لم يفد شيئاً ، وبقيت قيادة الجيش فى دمشق تسمع أخبار تحركات العدو ،

---

(١) ستون دبابة (حسب تشكيلات العدو القتالية) هى جمهرة مدرعة قوامها ما يقارب ٢/١ ١ كتيبة .

(٢) تحسب الكثافة على أساس تقديم عدد القوات على عدد الكيلو مترات التى هى جبهة قتال الوحدة . فمثلا . . يقال فى تقرير رئيس قسم استطلاع لواء المشاة فى الدفاع ، والذى تبلغ جبهة دفاعه اعتيادياً حتى ٣ كم ، يقال إن كثافة قوات العدو هى على الشكل التالى : (كذا) سرية مشاة لكل ١ كم . (كذا) دبابة (كذا) مدفع . . (كذا) .مدفع م - د . . إلخ) . وعلى أساس هذه الحسابات يقوم القائد بتقدير موقفه واتخاذ قراره للقتال ، وإجراء التعديلات حتى يحقق فى مواجهة مهمته القتالية ، كثافة مناسبة تمكنه من قيادة قتال ناجح .

من الإذاعة السورية (١).. كل ذلك بفضل ضباط الاستطلاع (النموذجيين) أمثال : نشأت حبش فى القنيطرة وسهيل الحسن فى دمشق .

١٠ – ولو عدت معى يا أخى إلى صفحات سابقة ، لوجدت أننى كنت ذكرت أن من جملة ما تضمنته خطة العمليات ، وضمن نطاق خطة الدفاع م - د . هو عمل **قاذفات اللهب الثقيلة ، ومفارز السدود المتحركة .**

فماذا جرى يا ترى ...

قاذفات اللهب الثقيلة ، تركت فى أرضها ، واستلمها العدو جاهزة ليحولها إلى صدر أبنائنا ، ولم توجد الأيدى التى كانت لديها القدرة على ضغط زنادها ، لتقذف حمم النيران « النابالم » فتحرق وتدمر دبابات العدو .. وخاصة فى القطاعين الأوسط والجنوبى .

وأما مفارز السدود المتحركة (انظر شرحها فى فصل الإعداد المسبق) فلم تعمل أبداً ... وتركت الآليات (ب . ت . ر) فى أماكنها ملأى بالألغام الجاهزة ، وهرب السائقون ، وكان نصيب الآليات أن دمرت بطيران العدو .. أو بقيت سليمة حتى جاءت مفارز جمع الغنائم الإسرائيلية ، وأخذتها فى جملة ما غنمت من أسلاب .. – تركها جيشنا « المظفر » .

١١ – أما الوثائق . . . فياحسرتا على الجهود والأموال التى بذلت – مدة العشرين عاماً قبل النكبة – لتجهيزها وتحضيرها .. وضبط أفضل السبل لصيانة أمن القوات والأرض .. بواسطتها .

الوثائق ... التى كنا نعتبر أن كل حرف تضمنته ، – مهما بلغ من تفاهته وقلة شأنه – سر من أشد الأسرار احتياجاً للحفظ .. نعتبر أن محتوياتها يجب أن تكون خفية حتى على أفراد جيشنا ، إلا المسئولين عن تنفيذ ما نصت عليه . وفى حدود حاجتهم للتنفيذ فقط ...

---

(١) بعد أن استعاد حزب البعث سيطرته على الأوضاع فى سوريا ، عقب الحرب . . وفى أحد الاجتماعات الحزبية التى عقدت فى دمشق ، سئل (اللواء) أحمد سويدانى عن معلوماته حول ملابسات إذاعة بلاغ سقوط القنيطرة ، فكان جوابه : « أنا كمسئول ، لم أستشر فى البلاغ الذى أعلن سقوط القنيطرة . . . وكمواطن سمعته من الإذاعة كغيرى » .

الوثائق ... التي تحرص عليها حتى المؤسسات غير العسكرية .. وتخفيها وتتكتم عليها بصيانتها إلى أشد موظفيها أمانة وقدرة على الكتمان ..

الوثائق ... التي هي من أخطر الأسلحة التي يمكن أن تقع بيد جيش محارب . يستعمله ضد عدوه في ميادين القتال ... ومجالات الحرب النفسية والسياسية ...

الوثائق .. ويكفي اسمها .. ويكفي أن نعرف أنها تضمنت فيما تضمنته ، خطط العمليات لكل من القيادة العامة . وقيادة الجبهة . والألوية وباقي الوحدات ..

الوثائق .. التي حوت كل شيء عن الجبهة .. منذ تأسيسها وحتى يوم النكبة ..

الوثائق التي تعاقب القادة المختلفون على ائتمانها كل شيء عن الجبهة .. (حياتها — تدريبها — تسليحها — تحصينها — خطة قتالها — خطة أمنها — مشاكلها اليومية والدائمة ..) وكل ما يمكن أن يخطر ببال إنسان عن حياة جيش عاش فيها عشرين عاماً يستعد ليوم حرب مثل يوم العار الذي وقع في حزيران ...

الوثائق ... التي نصت الأوامر أن على كل مسئول لديه وثائق — مهما كان نوعها وحجمها — أن يقتني إلى جانبها زجاجة مليئة بالبنزين مع واسطة إشعال (كبريت أو قداحة جاهزة) لإتلافها عند الخطر .

الوثائق .. التي كتب على كل مكان احتوته .. وبالخط العريض المحاط باللون الأحمر . لإبرازه لكل عين : « **يتلف عند تهديد المقر** » .

هذه الوثائق .. التي تعادل حياة الجيش كله .. ماذا جرى بها ؟

(أ) إن الذي تأكد لدينا حتى كتابة هذه الصفحات .. أن مسئولا ما من مستوى قيادات الكتائب فما فوق لم يفكر مطلقاً بإتلاف شيء منها .. وتركت في أرضها ، غنيمة رائعة للعدو .. يستفيد منها أكثر مما أفادته أجهزة الجاسوسية التابعة له بمئات المرات .

ويمكننا أن نقول ... أن بعض القادة ، حاول أن يحمل معه شيئاً من الوثائق الهامة .. التي اعتقد أن وقوعها بيد العدو يشكل خصراً أكبر من وقوع سواها ... ولكن مثل هذا النوع من القادة ، قليل جداً .. وكان

حمله من هذه الوثائق لا يكاد يذكر نظراً لضخامة التصنيف المتراكم في مراكز القيادات المختلفة(١) .

(ب) وأما كثيرون من القادة الصغار .. وخاصة (ضباط الصف القدامى فى الخدمة) ، وفى المستويات العسكرية الصغرى (المتقدمة) .. فلقد تمكن أكثرهم من إتلاف الوثائق التى فى حيازته .. وخاصة فى القطاعين الأوسط والجنوبى .. وقطاع القنيطرة .. ولكن هذا الذى أتلف لا يشكل أكثر من أذن الجمل ، بالنسبة لأكوام الوثائق (بمختلف درجاتها ومستوياتها وبتنوع موضوعاتها ..) ، التى تركت فى الجولان ، فى جملة ما ترك فيه للعدو ، من سلاح وعتاد وذخائر ومؤن و ... أرض هى أعز وأكرم من كل ما ضاع .

(ج) وأن الذى أكد لنا صحة هذه المعلومات .. هو ما وصل إلى علمنا من أناس كانت لهم صلة بالأسرى الذين عادوا من إسرائيل بعد الحرب .. فلقد أفاد هؤلاء الأسرى أن السلطات الإسرائيلية ، عرضت عليهم أكداساً من الوثائق ، التى كانت تعتبر من أشد الأسرار دقة وأهمية .. وكان الإسرائيليون يقولون لهم فى كل مرة . **« هذه هى وثائقكم . . هذه هى خرائطكم .. هذه كانت نوايا قياداتكم المتعاقبة .. ها هى أمامنا .. موجودة فى الوثائق والخرائط .. انظروا .. فنحن لسنا بحاجة إلى معلومات عنكم وعن جيشكم . . إننا نريد المعلومات عن الفدائيين . . والخبراء الروس فقط »** .

(د) وهناك أمر آخر .. يؤكد صحة ما نروى .. وهو أكداس المقالات والتصريحات و « صور الخرائط والوثائق » التى ينشرها العدو فى كتب متعاقبة وصحف ومجلات كثيرة ، توزع بأكثر لغات العالم الحية ، وتوزع فى كل من أمريكا وأوربا ودول المعسكر الشيوعى وعديد من بلدان آسيا (غير المسلمة) وعديد من بلدان أفريقيا ...

هذه المقالات .. والكتب والتصريحات .. التى حظر إدخالها إلى البلدان

---

(١) وهنا تبرز إحدى نقاط الضعف فى نظام التصنيف السابق . ولقد سبق لى أن أصدرت أوامر إلى وحدات القطاع الأوسط غايتها تعديل ذلك النظام والتخفيف من عبء الوثائق المتراكمة تحسباً لساعة كهذه الساعة . وسيرد شرح مفصل لهذا الموضوع فى كتابنا القادم إن شاء الله .

العربية . . تؤكد بوضوح أن العدو قد حصل على أكداس من الوثائق التى كانت فى الجولان . . تشرح كل شىء عن وضع الجيش ونواياه طيلة العشرين عاماً التى سبقت النكبة .

وفى المناسبة هذه .. لابد لى من استطراد بسيط ، أرجو أن يحقق ما أرجوه .

... إن حقائق الحرب (المسرحية) ، خفية عن أبناء هذه الأمة .. بتأثير أجهزة خفية :. منتشرة هنا وهناك من هذا الوطن .

ولذا فإنى أوجه نداء إلى المخلصين القادرين (أفراداً أو مؤسسات) أن يقوموا بتتبع هذه الأمور التى ينشرها العدو فى العالم .. وجمعها ودراستها ومقارنتها واطلاع أهل الاطلاع والخبرة عليها ، ليصار إلى تمييز الحق منها ، وإزهاق الباطل الكثير فيها .. ثم عرض تلك الحقائق على الأمة العربية والشعوب الإسلامية .. صوناً لها من الضياع .. والوقوع فى شراك الدعايات الصهيونية وشركائها وأجرائها .. المضللة .

١٢ — **وأما المقاومة الشعبية** . . ذلك الرديف الأكبر ، والمعين الأوفر الذى كان يجب أن يمد المقاومة الضارية بموج يتبعه موج من أعمال الضرب والكر والفر والهجوم والدفاع ، حتى يعود الغازى إلى جحوره .. وتتطهر الأرض .

المقاومة الشعبية .. التى كثيراً ما تبجحنا فى سنين مضت ، كلاماً عن دورها ، وأهميتها .. والإنجازات التى حققناها لها .. (من تسليح ، وتدريب وتهذيب ثقافى .. ورفع فى مستوى الحياة الاجتماعى .. وتوعية وطنية صادقة وإقناع بوجوب البقاء فى الأرض ، والدفاع عنها بإصرار وعناد .. إلخ من تلك الجمل البراقة التى مزقت أجهزة الإعلام بها أسماعنا . . تطبيلا وتزميراً لصالح عهود الحكم الاستبدادى المتعاقبة ..)

المقاومة الشعبية التى ظن الناس — قبل النكبة — لكثرة ما سمعوا عن الاهتمام بها .. أنها ستكون خيراً من مقاومات الشعب الفيتنامى ، أو خيراً من دفاع أهالى ستالينغراد .

المقاومة الشعبية تلك .. ماذا حل بها ؟

ماذا أصابها حتى انقلبت فجأة ، وبين عشية وضحاها .. من (جيش

شعبي)(١) قادر على حماية الثورة ، ومستوعب لكل (الإطارات الثورية(٢) المناضلة) ، وقادر على تحقيق (صور من البطولة تعجز عنها جيوش الارتزاق(٣)) .. إلى مجموعات من (النازحين(٤)) .. تشردت فى بقاع الله الواسعة . تفتش عن مصادر للرزق الذى يقيم الأود ، أو تقف صفوفاً يومية أو أسبوعية حتى ينالها ما خصص لها من تافه الزاد وضئيل المعونات ؟؟

.. إننا سبق أن نوهنا عن نقاط الضعف والقوة التى تكمن فى بنيان المقاومة الشعبية هذه .. وعن صور الاهتمام والإهمال التى أدركت شعب تلك المنطقة .. ولذا .. فلم يكن غريباً علينا ، أن نسمع أنباء نزوح السكان وتخليهم عن واجب حماية الأرض ، بعد أن تخلى عنه الجيش . . وتركهم وحدهم فى مواجهة العدو المتفوق عليهم فى كل شىء . .

ولكن .. لابد من توضيح جديد ، لأحد وجوه الجريمة المحبوكة أدق حبك .. والتى نفذها حزب البعث الحاكم فى سوريا .. منذ صباح الثامن من آذار ١٩٦٣ .

(أ) الشىء الخطير فى هذا الموضوع .. هو أن القيادة ، قامت بتجريد رجال المقاومة الشعبية من أسلحتهم ، وسحب كل ما كان بحوزة السكان من سلاح وذخائر .. وخاصة الأسلحة المتوسطة ، كالرشاشات والهاونات المتوسطة الـ م ـ د ، وباقى العتاد الخاص بالحرب ، وتركت فى أيدى مجموعات قليلة منهم ، أعداداً من البنادق ، وكميات محدودة من الذخيرة ،، للتضليل ، وذر الرماد فى العيون .

(ب) وهناك شىء آخر ، يتعلق بالمقاومة الشعبية ودورها الذى كان يجب أن تؤديه .. ولا يقل خطورة وأهمية عن الأمر السابق .. وهو أن قيادة حزب البعث العربى (العنصرية الطائفية) .. كانت قد صنفت سكان تلك المنطقة (وكذا سكان سوريا كلها) ، إلى مواطنين من فئات متعددة ، وذلك حسب الترتيب التالى :

---

(١) إحدى التسميات التى أطلقها حزب البعث على التنظيمات المدنية المسلحة التابعة للحزب .

(٢ ، ٣) بعد (الاستعذار) من صناع تلك الصيغ الكلامية ، من فلاسفة « الثوريين » .

(٤) هكذا أسموهم .. وهم والله قد أصبحوا لاجئين منكوبين .

ـ السكان من أصل عربي ، مواطنين من الفئة الأولى .

ـ السكان من أصل غير عربي (كردى ، أو شركسى ، أو تركمانى أو تركى ..) مواطنين من الفئة الثانية .

وكان هذا التصنيف ، من أكبر الأسباب التى هدمت بناء المجتمع .. وهيأت البلاد لتقبل الهزيمة ..

١٣ ـ ومن الأمور المخزية التى كان لها دور كبير فى تمزيق كرامة الجيش **هو الدور السيء الذى كان لسلاح الإشارة .**

فلقد صرح لى أحد القادة الذين كان لهم مكان فى الحرب ، أن أجهزة الإشارة كانت أيام الحرب غير صالحة للعمل بنسبة لا تقل عن (٦٠ ـ ٧٠٪) وذلك لأسباب فنية متعددة(١) أهمها إهمال الصيانة الدائمة للأجهزة وضعف المستوى التدريبى لسدنة الأجهزة ، وتعيين كثيرين من الاحتياطيين ، سدنة الأجهزة لم يروها كل حياتهم ، وقد نتج عن ذلك أمور خطيرة نجملها بما يلى :

(أ) فقد القادة سيطرتهم على وحداتهم بسبب فقدان الاتصالات .

(ب) فقد الاتصال بين الوحدات المتجاورة ، وكان من أهم نتائج ذلك ، فقدان التعاون بين وحدات القتال .

(ج) استطاعت شبكات العدو الدخول على شبكات القوات السورية ، وبذلك تمكنت من تحديد مواقع القوات والقيادات ، ثم .. تدميرها ، وكذلك استطاعت هذه الشبكات المعادية إيقاع الفوضى والبلبلة فى صفوف القوات ، وإعطاء القادة صوراً زائفة عن الوضع ، مما سبب لهم عجزاً مطلقاً عن اتخاذ أية قرارات فعالة .

١٤ ـ الشئون الإدارية : كانت فى أسوأ حال ، وكان لها كبير الأثر

---

(١) لست أدرى إن كان ذاك متعمداً منذ ما قبل الحرب بمدة كافية لتعطل الأجهزة ، أو بسبب انشغال الجيش كله فى أمور السياسة والحكم .. وإهماله لواجباته خلال حياته اليومية . وسواء أكان ذا أم ذاك .. فإن الجريمة وقعت .. وفى ظل ، وتحت رعاية .. بل وبتنفيذ دقيق قام به حزب البعث .

ويذكرنا هذا بموقف مشابه لأجهزة الإشارة ، كان لها قبيل معركة تل النيرب عام ١٩٦٢ ، وسنشرح ذلك مفصلا فى كتاب قادم إن شاء الله .

فى تدمير معنويات الوحدات ، وشل فعالياتها ؛ وفيما يلى نماذج من ذلك الإهمال المدمر :

– تركت القوات كلها بدون طعام مدة أربعة أيام متواصلة . ولنا عودة لموضوع الطعام خلال المناقشة .

– الماء كان مفقوداً خلال تلك المدة ، والتزويد به بواسطة الآليات أو أية واسطة أخرى معدوماً ، وشرب الجنود من كثير من برك الماء الآسنة .

– أكثر العربات توقفت على الطرقات لفقدان الوقود ، فجاء الطيران ودمرها وهى واقفة فى العراء ، أهدافاً ثابتة .

– المواد الطبية .. كان حلماً من الأحلام أن يشم رائحتها أحد من الجنود ، وخاصة فى الأنساق الأولى ، القريبة من حدود التماس مع العدو .

– وأما الذخيرة – وخاصة ذخيرة المدفعية م ـ ط – فلقد سبق أن أشرنا إلى انقطاعها أكثر من مرة عن الأسلحة ، وقد اضطرت كثير من بطاريات المدفعية م ـ ط لنقل ذخيرتها على ظهور الدواب ، التى استؤجرت من القرى لهذه الغاية بعد تدمير الآليات أو تعطلها ..

– سيارات الإسعاف ، دمرت بواسطة الطيران المعادى .. وكان الإخلاء(١) مفقوداً .. فتركت على الطرق وعلى جوانبها الآليات والدبابات والأسلحة (المعطلة أو المدمرة ، وحتى السليمة التى لم تصب بأذى) ، وإلى جانب ذلك ، ترك الجريح ، والقتيل والمبتور ، والمحروق ، والذى سقط إعياء أو رعباً . . ذلك كله كان يغطى أرض الجولان – وخاصة قريباً من الطرق أو عليها – ، وأكثر الطرق التى ازدحمت بذلك الحطام هى الطرق المؤدية إلى دمشق أو درعا أو أربد أو الأرض اللبنانية .

حدث ذلك كله فى الوقت الذى كانت فيه مستودعات التموين المختنقة

(١) الإخلاء : تعبير يدل على مجموعة من الأعمال تقوم بها عناصر أو وحدات خاصة ، تهدف فى مجموعها إلى سحب جميع أنواع الإصابات (فى الأفراد ، والعتاد ، والسلاح ، والآليات) وذلك لدفن (الموتى) أو لمعالجة (الجرحى) ، أو الإصلاح (السلاح والعتاد والآليات) ، أو رفع الحطام من طريق القوات حتى لا يضعف من قدرتها الحركية ، ولا يسبب انهياراً فى معنوياتها .

وخاصة فى جباتا الخشب والحميدية ، قد غصت بأنواع المؤونة المختلفة ، ولكنها تركت للعدو ربحاً وفيراً .. دون أن تستفيد منه القوات ، فتقوم بواجبها خير قيام .

١٥ — ولقد بلغ من سوء حال القوات فى تلك الأيام العصيبة وجهلها بالأرض التى تتحرك عليها — والتى سبق أن كلفت بالقتال عنها — **أن حقول الألغام (حقولنا) ، كانت مجهولة من القوات التى حشدت فى الجولان ، لدرجة أن وحدات كاملة (سرايا) ، دخلت — خطأ — حقول الألغام (حقولنا)** ، ودفعت ثمناً لتلك الأخطاء ، حياة عدد من أفرادها ومعنوياتها كلها ، وروحها القتالية .. فكان لذلك دوره الكبير فى تنفيذ المأساة التى خططت لوقوعها قوى الصهيونية ، ونفذتها أجهزة حزب البعث .

١٦ — ومن أكثر أسباب الألم للقلب والأسى للنفس .. الحديث عن أعمال التجسس والتخريب ، التى قام بها عملاء العدو خلال تلك الأيام .

ولكن الحديث فى هذا الموضوع ، هو أيضاً من أكثر شعب الحديث حرجاً ودقة ، لأنه يفتقر إلى معلومات دقيقة ، وأدلة واضحة ، ولذا فسنكتفى بالحديث عن بعض ما وقع ، دون الدخول فى التفاصيل التى تحتاج إلى أدلة وإيضاحات لا نملكها .

— فلقد لوحظ **أن مقرات القيادة التعبوية** فى كل من القطاعات وفى القنيطرة ، قد قصفت بالطيران المعادى قصفاً بلغ من الدقة والإحكام غايتهما .. مما يدل على أن إشارات قد وضعت فوق هذه المقرات ، لتدل الطيران على أماكنها ، أو أن معلومات مسبقة قد وصلت لأيدى العدو ، وحددت له أماكن تلك المقرات بالدقة الكاملة . وقد بلغ من دقة المعلومات لدى العدو أن الطيران لم يضرب سوى المواقع ومقرات القيادة الحقيقية ، أما المواقع الهيكلية ، ومقرات القيادة الخالية فلم يتعرض لها الطيران ، وهذا وحده من أبلغ الأدلة على انتشار عملاء العدو وتغلغلهم المريع حتى استطاعوا الوصول إلى هذه الدقة .

— **وكتيبة المدفعية الصاروخية العائدة لاحتياط الجيش :** ما إن تحركت لاحتلال مرابضها المقررة ، لتقوم بالتمهيد للهجوم المعاكس (على مستوى

الجيش) ، حتى تناولها الطيران المعادى ودمرها .. وهذه الدقة فى الهجوم على وحدة تتحرك .. بعد دقائق من تحركها ، تدل بدقة متناهية على أن هناك من أعطى — فى الوقت المناسب — للعدو ، التوقيت المقرر للتحرك ، فجاء تدخل الطيران المعادى حاسماً ودقيقاً .

— فوجىء كثير من الأسرى ، وخاصة الضباط ، بالسلطات الإسرائيلية تعرض عليهم **صوراً لمئات الضباط (سوريين ومصريين)** ، وتطلب منهم التعرف على أصحابها ، وتزويدها بما يعلمونه عن كل منهم . ولقد لاحظ بعض الأسرى ، أن على أكثر تلك الصور من وجهها الآخر ، مطبوع ختم أحد المصورين المشهورين فى القنيطرة (١) .

ولهذه الصور قصة (تبدو الآن محزنة أكثر من أى وقت مضى) ، وهى أن أسباب حصول ذاك المصور على العدد الأكبر من صور الضباط هو ما يلى :

(أ) أن ذاك المصور كان من أفضل المصورين فى القنيطرة .

(ب) كانت القيادة بين حين وآخر ، تطلب من الضباط أن يرسل كل منهم — ضمن مهلة قصيرة جداً — عدداً من صوره ، لوضعها فى ملفاتهم وخاصة فى مناسبات الترفيع . ونظراً لقصر المهلة ، كان يضطر القسم الأكبر من ضباط الجبهة لأن يؤمنوا تلك الصور المطلوبة بواسطة المصورين الموجودين فى القنيطرة .

(ج) ولقد ثبت بعد الحرب ، أن ذاك المصور كان من أكبر من يزود السلطات الإسرائيلية بمعلومات مختلفة ، وفى مقدمتها صور العسكريين — خصوصاً الضباط — وما يعرفه عن كل منهم .

— ولقد برز للعيان خلال ليالى تلك الحرب ، أن شهباً ضوئية كثيرة انطلقت من أماكن شتى ، وخاصة الأماكن التى كانت فيها وحدات أو عتاد أو مجموعات آلية ذات أهمية ... وفى اليوم التالى يأتى الطيران إلى حيث انطلقت الشهب ، ويحوم حومات عدة ، ثم يحدد أهدافه ويضرب .

---

(١) المصور المذكور كان معروفاً فى القنيطرة باسم (المصور مزيد) ، وهو من أبناء قرية مجدل شمس . ومحله معروف باسم (استوديو العروبة) .

والذى نستطيع توضيحه حول هذا الموضوع ، أن الشهب لم تكن تطلق — بيد الجواسيس — لتحديد الأماكن التى يجب ضربها — وإنما لإعلام العدو عن وجود أهداف له فى هذه المنطقة — لأن تحديد هدف ما بدقة كافية ، بواسطة الشهب الضوئية ، أمر غير ممكن — ، ثم يتم تحديد المكان بدقة كافية فى النهار ، بطرق مختلفة ، وأهمها الطيران ، الذى يحدد أهدافه — وخاصة فى ظروف سيطرة جوية كاملة له — ثم يضرب .

١٧ — خلال فترة حشد القوات فى الجولان . « لخوض الحرب » كما زعمون ... حشدت فى منطقة وادى الرفيد **كتيبة دبابات برمائية** (١) **(٢٢ دبابة)** ، وقد أعطيت هذه الكتيبة واجب **الهجوم فى الاتجاه (الرفيد — العال — الكرسى — جينوسار)** وذلك فى محاولة لتطويق القوات المعادية التى كان أكبر حشد لها شمالى بحيرة طبرية .

ولكن حين ألغيت خطة الهجوم (المزعومة) ، وتحول الأمر إلى دفاع تركت هذه الدبابات معطلة دون أن تعطى أى واجب ... (ولعل القيادة قد نسيتها) ، حتى كان يوم الهروب الكبير .

وفر سدنتها والقادة مع الذين فروا من الجبهة ، وتركت هدفاً ثميناً للعدو ليستولى عليها جاهزة سليمة .

إلا أن بعض العسكريين ، الذين آلمهم ترك هذه الكتيبة دون تدميرها أعلنوا للقيادة تبرعهم بالتسلل للوصول إليها والعودة بها إلى دمشق قبل أن يتمكن العدو من اكتشاف أماكنها ويستولى عليها فرفضت القيادة ذلك ، وتركت الكتيبة (البرمائية الثمينة) هدفاً من أثمن الأهداف التى مكنت قيادة حزب البعث ، العدو الإسرائيلى من السيطرة عليه والفوز به .

١٨ — وبعد احتلال الجولان .. وبعد انتهاء الحرب بفترة غير يسيرة ... **قامت بعض الوحدات الفدائية بالتسلل إلى منطقة (جباتا الخشب)** ، بعد أن وصل إلى علمها أن المستودعات التى هناك ، لا تزال سليمة ولم تصل إليها يد العدو ، **وأخذت تنقل ما قدرت عليه مما فى تلك المستودعات** وكانت هذه فرصة عظيمة لهذه المنظمات للتزود بالكثير من السلاح والذخيرة .

---

(١) من أحدث الدبابات التى وصلت إلى الجيش ، ومن ميزاتها أنها قادرة على خوض مساحات واسعة من المياه (مستنقعات ، بحيرات ، أنهار عريضة) .

ولكن ماذا جرى ...

وصل إلى علم العقيد عبد الكريم الجندى « مدير مكتب الأمن القومى » نبأ فعل المنظمات هذه فأخذ يلاحق قادتها ويطاردهم ويضغط عليهم ، حتى تمكن من معرفة الأماكن التى خبأوا فيها ما أخذوه ، فصادره منهم ، ولكن قادة المنظمات لم يسكتوا ، فقابله بعضهم ، وأفهمه أن عمله هذا مرفوض ومستهجن ، وقال له « إننا نسرق السلاح من إسرائيل بعد أن تركه جيشكم لها ربحاً ثميناً سالماً من كل عطل ، فهلا توجهت أجهزتكم إلى الذين تركوه للعدو بدلا من ملاحقتكم لنا ؟ » .

وكانت ردة الفعل – طبعاً – والسجن والتعذيب للفدائيين الذين ناقشوه الحساب ، والتهديد بالقتل لكل من تسول له نفسه إزعاج أمن السيدة « إسرائيل » ، وإقلاق راحتها بعد أن ضمن لها خط وقف إطلاق النيران حدوداً جديدة .

١٩ – وهذه صورة من الجريمة ،أخرناها حتى أواخر المسلسل . رغم أن تاريخ وقوعها ، كان فى بداية الأحداث . . . وهى قصة ترحيل العائلات ، ونقل المتاع .

فأما عائلات العسكريين ، وأثاث بيوت الضباط ، فقد تم ترحيلها قبيل الحرب ، وكلفت بهذه المهمة مئات الشاحنات العسكرية ، فى الوقت الذى كانت فيه الوحدات تعانى أزمة نقص خطرة فى الشاحنات ، لنقل القوات والأسلحة والتموين .

وبخصوص العائلات . . هناك أمر كنا نود لو ألا نذكره . . ولكنه يشكل سوءاً فى أمانة الشرح لو أغفلناه .. وإخفاء عن القارئ لأبشع صورة من صور التمييز الطائفى الذى مارسته القيادة فى سلسلة جرائمها التى ارتكبتها لتهديم البنيان الاجتماعى للبلاد .. تمهيداً ليوم الهزيمة المتفق عليه .: فالعائلات التى رحلت (خوفاً عليها من أخطار الحرب) .. هى عائلات العسكريين والموظفين أبناء الطائفة العلوية فقط ، دون غيرها ، وقد تم ترحيلها قبل وقوع الحرب بأسبوعين .

ولقد طالب بعض المخلصين ، المحافظ السيد (عبد الحليم خدام(١)) ، بالعدل في معاملة كل الناس ، والعمل على ترحيل كل العائلات . . فرفض بعناد متكبر وقح ، وأنقذ عائلات العلويين من التشريد ، علناً ، وتحت سمع وبصر باقي السكان والعسكريين . . بل وأمر بالإعلان على المآذن وبواسطة مكبرات الصوت أن على السكان أن يصمدوا ، وهدد كل من يغادر القنيطرة ، أو ينقل منها شيئاً من متاعه ، بالقتل علناً أمام جميع السكان ليكون عبرة لغيره . . فاضطر السكان المساكين للرضوخ . . . وهم يرون بحسرة وحرقة . .

وهكذا . . شاحنات الجيش ، في ظل حزب البعث . . تنقل أثاث ومتاع العسكريين البعثيين ، وتترك عتاد الجيش وسلاحه ووثائقه وحتى وحداته نهباً لطيران العدو . . وقواته الغازية !

ثم ترك السكان فيما بعد . . وخلال الحرب ، تنزح ، وتهجر قراها وبيوتها ، على نحو يمزق القلوب حزناً . . حاولنا إبراز صورته في صفحات سابقة . . .

٢٠ — **وحتى أموال البلدية ، وفرع البنك (الحكومي) الوحيد في القنيطرة ، تركت في أماكنها** ، ولم تنقل إلى دمشق . . وقيل للعدو . ها نحن سلمناك كل شيء . . كما اتفقنا . . حتى الأوراق والأموال والنقد . . و . . كل ما يحقق لك فائدة في الأرض التي قبضنا منك ثمنها . . !

٢١ — وكانت خاتمة الجرائم . . وأم الكبائر التي اجترحتها أيدي حزب البعث . . **هو ذلك البلاغ المشئوم الذي أعلن سقوط القنيطرة ، قبل أن تسقط .**

فما قصة ذلك البلاغ ؟

إن الذي ثبت لدينا حتى الآن . . أن القوات الإسرائيلية لم تطأ أرض القنيطرة (رغم كل تلك المخازي والجرائم التي شرحناها) إلا بعد إعلان سقوطها بما لا يقل عن سبع عشرة ساعة .

---

(١) من أسوأ النماذج التي قدمها حزب البعث لهذه الأمة المنكوبة ، ومن أكثر الحزبيين تحيزاً وتعصباً وكرهاً لغير البعثيين ، وهو أكبر المجرمين المسئولين عن مجازر حماة في عام ١٩٦٤ ، التي تم خلالها قصف المسجد الأكبر في المدينة بنيران الدبابات والطيران ، وضرب بيوت الآمنين بالرشاشات ومدافع الدبابات .

فلقد تمكنت قوات العدو الإسرائيلي ، من اختراق الجبهة السورية ، يوم الجمعة ، في ٩ حزيران ١٩٦٧ ، حوالي الظهر وكان الاختراق في قطاع واسط (قنعبة – القلع) ، ومن القطاع الشمالي فيما بين تل العزيزيات وتل الأحمر ، بقوة تعادل ٢ لواء دبابات ، معززين بالطيران والمدفعية وكتيبة الأقليات ، ودون وجود قوات مشاة رئيسية مع قوات النسق الأول المهاجم .

ورغم كل ما أشرنا إليه من جرائم مدبرة ، وخيانات مرتكبة ، وهروب كبير في صفوف القوات المدافعة ، فإن العدو – رغم قوته المخترقة – لم يستطع التقدم بحرية تامة ، ولاقى من المقاومات الفردية ضراوة وشراسة وعنفاً في المقاومة ، ما جعله يتقدم في حذر شديد ، ويتوقف عند أول بادرة مقاومة تظهر في وجهه ، حتى ولو كانت طلقة من بندقية .

ولقد أذيع البلاغ المجرم ، يعلن سقوط القنيطرة ، بينما كانت أقرب قوات متقدمة إليها تشتبك مع مقاومات بطولية فردية انبعثت من نقطة القلع وتل العزيزيات . . .

وكان للبلاغ المذكور . . فعل رصاصة الخلاص . فانهارت القوى المعنوية الجبارة التي أظهرت بطولات الرجال الأوفياء لأرضهم وبلدهم – وأؤكد أن ليس بينهم بعثي واحد – ودخل في روعهم أن مقاومتهم لم تعد تجدي ، وبدأ يعتقد كل منهم – بفعل انقطاع الاتصالات وهروب القادة المسئولين – إنه قد أصبح وحيداً يقاوم في جزيرة قد غمرتها الأمواج من كل ناحية ، فقرروا الانسحاب آملين أن يلتحقوا بوحداتهم الكبرى ، لمعاودة القتال . . ولكنهم ما عتموا أن غادروا مواقعهم . . حتى فوجئوا بالخيانة التي ارتكبت ضدهم وضد بلادهم . . ورأوا أن القنيطرة ، ما زالت سليمة ، وما زالت بيد قواتنا ، وأن البلاغ الذي أعلن سقوطها كاذب مضلل فأسقط في أيديهم . . وخاصة بعد أن رأوا ذلك المنظر القبيح ، منظر الفرار الذي سمي انسحاباً . . زوراً وتضليلا !

ولنا عودة لموضوع هذا البلاغ ، خلال المناقشة المقبلة إن شاء الله ،

٢٢ – وأسدل الستار على تلك المسرحية ، منذ يوم السبت ١٠ حزيران وبعد إعلان سقوط القنيطرة – كذباً وبهتاناً – فغادر دمشق أعضاء الحكومة

والحزب (بقياداته كلها) ، والجيش (بجميع ضباطه البعثيين المجرمين) . . وأخذت أرتال الآليات (عسكرية ومدنية) ، تتتابع وتتدافع على طريق دمشق — حمص ، حاملة فى بطونها ، النساء ، والأطفال ، والضباط ، والقادة (المسوخ) . و . . . من رجال حزب البعث تاركين دمشق مفتوحة الأبواب ، مكشوفة الصدر والظهر والجوانب . . نهباً لكل غاز ، وخلواً من كل حارس ، وجالت السيارات تحمل مكبرات الصوت تثقل الأسماع بندائها المشئوم . . « ممنوع التجول . . ممنوع التجول » . . وذلك فى صورة جديدة من صور التآمر ، لتسليم دمشق إلى العدو الغازى . . دون مطلق مقاومة ، حتى ولو كانت من طفل أو امرأة . .

وفى الوقت نفسه ، اهتبل بعض لصوص الحزب الفرصة ، ونهبوا ما استطاعوا نهبه من أموال البنك المركزى فى دمشق ، بحجة أن نقل احتياطى الذهب واجب « قومى » لئلا يقع بيد العدو فتفلس الدولة . . ويا ليتها تفلس !

٢٣ — « إن المعركة لا تقاس نتائجها بعدد الكيلو مترات التى خسرناها... بل بأهدافها وما استطاعت أن تحقق . فقد كان هدف إسرائيل ، ليس احتلال بضعة كيلو مترات من سورية ، بل إسقاط الحكم التقدمى فيها ، وهذا ما لم يتم لها ، ولذا يجب أن نعتبر أنفسنا الرابحين فى هذه المعركة » .

أحمد سويدانى

قائد الجيش السورى قبل وخلال وبعد الحرب

« ليس مهماً أن يحتل العدو دمشق ، أو حتى حمص وحلب . . فهذه جميعاً أراض يمكن تعويضها ، وأبنية يمكن إعادتها ، أما إذا قضى على حزب البعث ، فكيف يمكن تعويضه وهو أمل الأمة العربية ؟ » .

« . . . لا تنسوا أن الهدف الأول من الهجوم الإسرائيلى ، هو إسقاط الحكم التقدمى فى سورية ، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث ، عميل لإسرائيل . . . » .

إبراهيم ماخوس

وزير خارجية سوريا قبل وخلال وبعد الحرب

ألا لا رعى الله حكماً هؤلاء قادته ، والمسئولون فيه ،

ولا رعى الله حزباً ساهم بتدمير الأمة أكثر مما دمرها أشد الناس عداوة لها « اليهود والذين أشركوا » .

ولست أجد فى كل ما ارتكب بحق هذه الأمة من جرائم . . ولا أرى فى كل ما لحق بها من إهانات واحتقار لكرامتها وشرفها أوقع من هذه التصريحات تصدر عن مجرمين ، باعوا الأرض وشعبها لأكثر الأعداء لؤماً . . ثم وقفوا . . يمنون على ذلك الشعب . . . بأن من فضلهم وكرمهم عليه ، أنهم استطاعوا أن يثبتوا فى وجه العدو الذى ادعوا أنه لم يكن لهجومه من هدف . . إلا إزالتهم عن (الحكم والتحكم برقاب أبنائه ومقدراتهم . .) .

ولست أجد صورة أستطيع من خلالها إبراز لؤم الجريمة وسوئها ، مثل هذه التصريحات وأمثالها . . اختتم بها هذه السلسلة من حلقات التآمر والإهمال والجريمة . . . لتكون للقارىء فكرة واضحة عن الذى حدث فى حرب حزيران . . . تلك التى سموها حرباً ، تجنياً على الحروب ، وبهتاناً على الجيوش ، وما هى والله إلا مسرحية متقنة الإخراج ، حدد فيها لكل ممثل دوره ، وكان فيها النظارة المخدوعون ، هم جماهير الأمة المنكوبة ، أمة العرب ، والشعوب الإسلامية فى كل مكان .

فالأرض التى سلمت للعدو ، والجيوش التى دمرت ، والخسائر الهائلة التى لحقت بنا ، من سلاح ، وعتاد ، ومؤن ، والجهود المضنية التى بذلت ، والضحايا التى ذهبت ، وكل ذلك ، وغيره أكثر منه ، من كرامة الأمة ، وشرفها الذى لوث ، وعقيدتها التى أهينت . . كل ذلك ليس له أهمية ، ما دام الحكم التقدمى الثورى ، ما زال قابعاً فوق رقاب الشعب ، يسوقه إلى هاوية أخرى ، الله وحده يعلم عمقها وخطورة انحدارها .

يا عجباً . . . ! ، أفلم يبق فى هذه الأمة أحرار ، تهز ضمائرهم تلك الإهانات الوقحة ؟

من كانت له عينان فلينظر . ومن له أذنان فليسمع . . ومن كان له قلب فليفقه . . .

وإلا فنحن كالأنعام ، بل أضل سبيلا ،

* * *

أعمال العدو .. خلال الحرب

نستطيع أن نؤكد ، أن العدو لم يحارب على الجبهة السورية ، ولم يدخلها ظافراً أثر قتال حقق فيه التفوق العسكرى ، أو أبرز فيه البطولة وحسن قيادة القتال ، فتمكن من تحقيق ظفر . . . يدعيه اليوم لنفسه . . وهو ليس له أهلا .

إن القوات الإسرائيلية قد دخلت الأرض السورية حسب مخطط تآمرى أعد مسبقاً ووضعت مقدماته ونتائجه فى بعض السفارات ، وأتم إكمال ملامحه وجوانبه فى بعض العواصم الغربية .

فالعدو استطاع بدهائه ومغرياته أن يدفع حكام البلاد ليقوموا بتصفية الجيش . . وجعله غير قادر على خوض أية حرب . . وكان له ما أراد ، وأكثر .

والعدو استطاع بوسائل الخداع والمكر والتآمر المختلفة ، أن يضع الجماهير التى هى رديف الجيش ، فى حالة من التمزق والتشرذم وانحلال روح المقاومة . . بفضل ما فعل بها شركاؤه وجواسيسه . . خلال حكم حزب البعث العربى الاشتراكى . . وكانت الجماهير يوم الحرب كما خطط لها عدوها وشركاؤه .

والعدو حرص على عزل هذه الجماهير عن المشاركة الفعلية فى حرب الحفاظ على الأرض والمقدسات . . فاستطاع عزلها . . وبقيت الجماهير طيلة الحرب . . قابعة فى الدور والمقاهى . . مشدودة إلى « الترانزيستور » .. تتابع أخبار الهزيمة . . وهى عاجزة كل العجز عن فعل شىء .

هذه وغيرها كثير جداً . . كانت من الأمور التى خطط لها العدو قبل وثبة حزيران العار ١٩٦٧ ، بأعوام طويلة . . واستطاع أن يجد من الشركاء من ينفذها له ، بأكثر مما توقع ، من حرصهم على خدمته وتسليمه ما يريد .

وهذا ليس مجال الحديث الآن . . فلقد أخذنا على عاتقنا الاهتمام بجانب القوات . . ما فعلت ، وما فعل بها ، وهذا بيت القصيد من شرحنا هذا .

ولذا . . فإن أعمال العدو . . القتالية . . كانت تافهة وتكاد لا تذكر نسبة إلى ما تقوم به القوات فى حروب أخرى ، يملك فيها المهاجم تصميماً على تحطيم خصمه والفوز بأهدافه . . ويتحلى فيها المدافع بعناد وإصرار على طرد المهاجم واحباط آماله ومساعيه . وبين هذا وذاك تبرز صور من الملاحم والبطولات بين أخذ ورد ، تكون على مر الأيام صفحات متتالية فى سفر التاريخ العسكرى للشعوب . . كما تصبح فى الوقت نفسه معيناً جديداً لخيال الشعراء والأدباء يصور كل منهم جانباً من بطولات شعبه .

. . . وبهذا ، كانت حرب المسرحية يوم حزيران ، خالية من عنصر الإثارة ، ومقومات الحروب الناجحة . . ولم تعد كونها مؤامرة . . كبرى . . تكمن عناصر الإثارة فى دقة حبكها . . ولؤم الذين نفذوها .

ولكن . . لا بد رغم ذلك من التعرض بشىء من الإيضاح ، إلى الأعمال القتالية ، التى قام بها العدو .

١ – لقد كانت أبرز أعمال العدو ، هى أعمال الطيران .

فالطيران الإسرائيلى . . الذى خلت له سماء الحرب ، وغاب النسور من وجهه . . ، قام بتغطية الجبهة برمايات كثيفة منذ صباح الثلاثاء ٦ حزيران وحتى مساء السبت ١٠ حزيران ، واستطاع أن يركز كل قواه وإمكاناته ضد هذه الجبهة . . وهو ضامن عجز الطيران السورى عن مجابهته . . فقام بطلعات جوية تكاد لا تحصى ، قصف فيها الجولان (التحصينات ، والمنشآت وتجمعات القوات ، ومرابض الأسلحة ، وتحركات الآليات والأرتال) ، ودمر الطرق ، وقام بغارات متتالية على مطارى المزة والضمير وبعض المطارات (السرية) الأخرى . فدمر عدداً من الطائرات التى لم تستطع الفرار ، وضرب المهابط والمستودعات وكانت له السيطرة الكاملة فى الجو ، حتى بدأ طياروه يقومون بأعمال للتسلية تخرج عن نطاق المهمات القتالية الجادة ، وهم لا يخشون أن يزعجهم عصفور .

ولقد تميزت أعمال الطيران المعادى بنواح متعددة ، نشرحها :

أولا : ضد التحصينات والمنشآت . وخطوط الدفاع ، استعمل الطيران القنابل المتفجرة الثقيلة من عيار (٢٥٠ ، و ٥٠٠) كلغ بقصد تدميرها وإنهاء فعاليتها .

ثانياً : ضد الخنادق ، وتجمعات القوات المكشوفة ، والأرتال الآلية أو الراجلة ، استعمل الطيران المدفعية الرشاشة من عيار ٢٥ مم ، وقذائف النابالم المحرقة ، لإخراج الوحدات خارج القتال .

ثالثاً : ضد مرابض المدفعية ، وتجمعات الدبابات والآليات المتنوعة ، أو أرتالها . ركز الطيران نيران الصواريخ وقذائف النابالم والقذائف الموقوتة المتفجرة (المنشار) .

رابعاً : تميزت أعمال الطيران الإسرائيلي ضد الأرتال الآلية المتحركة ، بصفة لئيمة تدل على مبلغ حرص العدو على أن لا تفلت آلية واحدة من يده .

فلقد كانت الطائرات تحوم حومتها الأولى ، لتحدد حجم الرتل المتحرك واتجاه وسرعة حركته والفواصل بين الآليات والوحدات ، ثم تعود فى حومتها الثانية ، وتقوم بالانقضاض ، مبتدئة برأس الرتل ، حتى تأتى عليه ، فتترك الآليات حطاماً تتصاعد منه ألسنة النيران يشوه احمرارها دخان متدرج السواد ، وتترك الأفراد شبه قطيع هاجمته الذئاب ، فتركته بين قتيل ومجروح وهائم على غير هدى :

خامساً : تميزت أعمال الطيران الإسرائيلي بسرعة التدخل ، وكثافة الرمى ، وقد بلغ ذلك مبلغاً لا يكاد يصدق ، فعندما كانت تبدو لرتل أو مجموعة من العدو داخل أرضنا ، مقاومة ما — على غرار ما حدث فى حرش الجويزة — ، يلجأ القادة إلى الاستنجاد بالطيران ، فتأتى وحداته وتحرق الأرض وتفلحها لكثرة ما تصب عليها من النيران ، حتى يتم الاطمئنان فى نفوس القادة الجبناء ، المحميين بأرتال الدبابات ، وأسراب الطائرات . فيتابعون حركتهم دون خوف من أى إزعاج .

سادساً : ومن أعمال الطيران الإسرائيلي ذات الأهمية ، هى نقل سدنة الدبابات والأسلحة ، لإلحاقهم بوحداتهم بعد إتمام الاختراق على غرار الذى حصل عند الخرق من القطاع الشمالى ، كما سنبينه بعد قليل .

سابعاً : ولقد ساهمت طائرات العدو مساهمة كبيرة فى الحرب النفسية ضد القوات والسكان ، فكانت طائرات الهليوكوبتر تحلق فوق رؤوس الهاربين ، وتخاطبهم بالمكبرات ، أن ألقوا أسلحتكم وانجوا بأنفسكم . . فنحن لا نريد إيذاءكم وإنما نريد تدمير العتاد الروسى . . . !

ثامناً : وكثيراً ما خفت طائرات العدو ، وخاصة الهليوكوبتر ، لنجدة أفراد أو مجموعات صغيرة من العدو ، حين تعرضها لمآزق خطرة ، وذلك على غرار ما حدث للطيار الذى أسقطته إحدى كتائب جيش التحرير الفلسطينى فى منطقة الرفيد .

تاسعاً : قامت الطائرات الإسرائيلية بأعمال الإخلاء ، ونقلت الجرحى وجثث قتلاهم ، ولقد كان من أبرز الجرحى السوريين الذين نقلتهم طائرات العدو ، ضابط برتبة نقيب ، بعد أن أصيب بشظية مزقت بطنه فنقلته الهليوكوبتر ، وعولج ثم أعيد بعد الحرب أثناء تبادل الأسرى .

٢ ــ أعمال القوات الأرضية :

أبرز أعمال هذه القوات ، هو الخرق الذى حدث ظهر الجمعة ٩ حزيران من قطاع واسط ، فى اتجاه (القلع ــ القنيطرة) مروراً بواسط ومن القطاع الشمالى (تل العزيزيات ــ هضبة المغاوير ــ تل الأحمر) .

ولقد قام العدو بحشد قواته للهجوم على الجبهة السورية ، حسب المعدل الآتى :

ــ فى مواجهة القطاع الشمالى ، قام العدو بحشد ثلاثة **ألوية دبابات** ، هى التى قامت بالاختراق ، من القطاع المذكور ، معززة **بكتيبة الأقليات** .

ــ فى مواجهة القطاع الأوسط ، قام بحشد **لواءين مدرعين** ، دخلت الأرض السورية بعد إعلان سقوط القنيطرة .

ــ فى مواجهة القطاع الجنوبى ، تم حشد **لواء مدرع واحد** ، دخل الأرض السورية كذلك بعد إعلان سقوط القنيطرة .

ولقد تم الاختراق ظهر الجمعة ٩ حزيران ، من قطاع واسط (أضعف القطاعات) ، وفيما بين كفر شامير وكفر سلط فى اتجاه القلع ، ومن القطاع الشمالى كما بينا قبل قليل ، وباتجاه زعورة ــ مسعدة .

وقامت قوات العدو بأخذ تشكيلات الأنساق المتتابعة ، فى كل نسق(١) سرية « ١٣ دبابة » حتى إذا أتمت القوات المعادية ، تنظيف ما فى طريقها من مقاومات ، واستطاعت السيطرة على نقطة (القلع) ، وأصبحت على طريق مسعدة — واسط (أنظر الخريطة) عادت فتجمعت الدبابات ، وانقسمت صباح السبت إلى ثلاث مجموعات :

— **الأولى :** بقوة كتيبة دبابات (٤٠ دبابة) ، انطلقت فى اتجاه : القلع — واسط — كفر نفاخ ، لتطويق القطاع الأوسط ، وقد اصطدمت بمقاومة ضارية فى (تل شيبان) ، عطلت تقدمها حتى أذيع بلاغ القنيطرة رغم استنجاد قائد الكتيبة بالطيران ، الذى أنهك التل المذكور قصفاً بالنابالم والمدافع الرشاشة .

— **والثانية :** بقوة كتيبة دبابات أيضاً ، انطلقت فى اتجاه : القلع — سكيك — كريز الواوى — مسعدة لتقوم بتطويق القطاع الشمالى .

— **والثالثة :** هى باقى وحدات اللواء المدرع ، مع قيادته ، وقد ظلت فى وضع الترقب ، وقيادة قتال الكتيبتين ، ومن ثم لمتابعة التقدم فى الاتجاه الأكثر حظاً فى النجاح .

هذه القوة بمجموعها ، هى لواء مدرع واحد من الألوية الثلاثة ، التى حشدت فى القطاع الشمالى ، وقد كان لواء المقدمة ، وهو الذى حقق الاختراق (دون قتال يذكر ، سوى المقاومات المحدودة التى نأتى على ذكرها كل فى موضعها) .

أما اللواء الثانى من هذه الألوية الثلاثة ، فاقد هاجم من قطاع بانياس ، فى اتجاه : بانياس — مسعدة ، واستطاع التقدم دون صعوبات ، حتى إذا ما وصل إلى مواجهة **تل الفخار** ، اصطدم بمقاومة ضارية ، استبسل رجالها فى وجه عدو متفوق تفوقاً ساحقاً ، وأدت واجبها كأحسن ما يكون الأداء .

وقد رافقت هذا اللواء فى هجومه كتيبة الأقليات ، وأتم هذا اللواء الوصول إلى مسعدة ، بعد أن قضى على مقاومة تل الفخار وبمعونة الكتيبة التى طوقت القطاع الشمالى على محور القلع — مسعدة .

---

(١) النسق : أحد التشكيلات التى تأخذها القوات فى حالة الهجوم أو الدفاع ، وعند التعرض للاشتباك ، وتكون بنشر القوات عرضانياً على خط الجبهة .

أما اللواء الثالث من مجموعة الألوية هذه ، فقد أبقاه قائد المجموعة تحت تصرفه ليزج به فى عمق الدفاع ، لمتابعة تحقيق واجب اليوم لمجموعة الألوية هذه ، والذى كان احتلال القنيطرة .

ولكن القيادة البعثية ، وفرت على العدو كل تلك الجهود و (التضحيات) وسهلت له احتلال القنيطرة ببلاغ فاجر ، استغرقت إذاعته أقل من دقيقة ، فألغى جهود وتضحيات عشرين عاماً ، وضيع إمكانات تفوق حدود التصور بذلت خلال تلك الأعوام ، استعداداً لساعة محنة كهذه .

أما الألوية الثلاثة التى حشدها العدو فى مواجهة القطاعين الأوسط والجنوبى ، فقد ظلت فى وضع الانتظار ،حتى حان موعد تنفيذ المؤامرة، وإذاعة البلاغ المشئوم ، وإخلاء الأرض من كل الإمكانات والقوى المحشودة فيها ، فتقدمت لتقوم بنزهتها العسكرية ، مستخدمة المحاور الآتية :

بستان الخورى — الجمرك — العليقة — القنيطرة .

عين غيف — الكرسى — البطيحة — الجمرك — العليقة .

عين غيف — الكرسى — سكوفيا — فيق — العال — الرفيد .

وبهذا ، تم للعدو — حسبما اتفق عليه مع قيادة البعث — ، إتمام احتلال الجولان ، دونما جهود أو قتال حتى صدر قرار وقف إطلاق النيران . . وقبله الطرفان ، بعد أن حققت القوات الإسرائيلية سيطرتها على الجولان بأكمله . . حتى الخط :

مجدل شمس — سحيتا — أوفانية — الحميدية — عين عيشة — الرفيد — جسر الرقاد — كفر ألما — الحمة — مروراً بالسفح الشمالى الغربى لوادى الرقاد .

وشوهد رجال هيئة الرقابة الدولية ، يقومون بتأكيد هذه الحدود الجديدة ، صباح الأحد ١١ حزيران بوضع أعلام خاصة على مسافات معينة ، « لمنع » الطرفين من « اجتيازها » ، أو تسجيل المخالفات على الذين يجتازون . . . !

٣ — ولقد لجأ العدو إلى أسلوب يدل على مدى خوفه من المقاومات الضارية التى قد تعترض سبيل قواته ، — رغم الاتفاقات المسبقة مع قيادة

حزب البعث ، بتسهيل الطريق أمامه — ، فقد ركب فى كل دبابة — خلال الهجوم — سائقها ورامى مدفعها فقط — لتقليل الخسائر فى الرجال — وأما باقى السدنة ، فقد ألحقوا بوحداتهم بواسطة الطيران (الهليوكوبتر) ، وذلك فى سهل المنصورة ، بعد إتمام الاختراق ، وبعد إذاعة بلاغ سقوط القنيطرة ، وبعد أن اطمأن العدو أن مقاومات ما لن تعترضه **بفضل دقة حزب البعث فى تنفيذ ما اتفق عليه معه .**

٤ — لوحظ أن أفراد الجيش الإسرائيلى ، كانوا يطلقون النيران بغزارة هائلة لدى اشتباههم بأية حركة . حتى ولو كانت فى حقيقتها صادرة عن ابن آوى أو كلب شارد ، مما يدل على جبن هذا العدو ، وحرصه على تغطية طريقه بكل الإمكانات النارية ، وخوفه من عناد الإنسان العربى وبطولته ، اللذين قد يظهران فى وجهه فجأة ، رغم **كل الضمانات والاحتياطات التى حققتها للعدو ، قيادة حزب البعث .**

ولقد وصلت بعض الأنباء من الأسرى الذين عادوا بعد الحرب ، تفيد أن كثيراً من العرب (ومنهم بعض العسكريين) الموجودين فى إسرائيل ، قد أبلغوهم أن القوات الإسرائيلية فى خلال هجومها على الجولان ، تعرضت أكثر من مرة لنفاد الذخيرة ، واضطر قادة المجموعات المكلفة بالهجوم والاحتلال ، الاستنجاد وطلب الإمداد بالذخيرة ، فاضطرت القيادة الإسرائيلية إلى سحب كميات كبيرة من القوات التى رابطت فى سيناء أو فى الضفة الغربية لتلبية احتياجات القوات على الجبهة السورية ، بعد أن أفرغت هذه الأخيرة ، كميات هائلة من النيران ، أمامها ، لتضمن قدرتها على التقدم ، رغم ندرة المقاومات التى اعترضت سبيلها .

٥ — ولقد ذكر قسم من أفراد كتيبة الأقليات « للأسرى » ، إن قيادة الجيش الإسرائيلى لا تثق بهم ، وقد صدرت إليهم (قبل الهجوم) أوامر بالانسحاب إلى صفد . ثم عاودت القيادة تلك ، وأبلغتهم أن المظليين قد احتلوا القنيطرة ، وأمرتهم بالعودة للعمل نسقاً ثانياً للقوات التى احتلت الجولان .

ولما عادت الكتيبة تلك ، لتنفيذ ذلك الأمر ، وجدت أن القيادة قد

خدعتها ، وألفت نفسها وجهاً لوجه — فى النسق الأول — فى مواجهة المقاومات الضارية ... ولم تعثر على أى أثر للمظليين المزعومين .

٦ — ولقد صرح بعض عناصر هذه الكتيبة (سراً) إلى بعض الأسرى ، **أنهم كانوا على استعداد لضرب القوات الإسرائيلية فى مقتلها ، لو أن الجولان صمد ، ولكن أنباء الهزيمة والفرار والتآمر التى سمعوها وشاهدوا بأعينهم آثارها ، أجبرتهم على السكوت على مضض ، والاستمرار فى التظاهر بالولاء لهذه القوات . . . انتظاراً لفرصة قادمة . . . !**

٧ — وقد يكون مفيداً فى هذا السرد أن نذكر أن شائعة نقلها الأسرى من إسرائيل ، بعد عودتهم ، كانت تتردد هناك على نطاق واسع — ولا ندرى مقدار صحتها — ، وتفيد تلك الشائعة أن (موشى دايان) ، رفض إصدار الأوامر بالهجوم على الجبهة السورية ، خوفاً من ضياع « الانتصار » الذى تم له فى كل من سيناء وضفة الأردن الغربية .

وتتابع الشائعة قولها أن رئيس الأركان الإسرائيلى يومذاك « الجنرال إسحق رابين » هو الذى أخذ على مسئوليته إصدار أوامر الهجوم على الجولان . . وبذلك أصيبت سمعة موشى دايان العسكرية بلوثة ما زالت تفسد عليه نشوة السكرة التى وضعته فيها حرب المسرحية .

٨ — لم تثبت لدينا صحة الشائعات التى روجت عن أن العدو أسقط وحدات من المظليين فى الرفيد أو سهل المنصورة .

٩ — ومما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن العدو تسلم الجولان دون قتال ، هو روايات أكثر الذين شاهدوا الوحدات المعادية خلال تقدمها فى الجولان ، إذ كانت هذه الوحدات من الدبابات ، تتقدم فى تشكيلات المسير ، ودون ما حماية من المشاة ، مما يؤكد اطمئنانها إلى خلو الطريق أمامها من مقاومات قد تعطلها .

خسائر العــدو :

لم أستطع الوقوف على رقم مقبول ، أو تقدير معقول لخسائر العدو التى أصابته خلال دخوله الجولان ، ولكنى أستطيع الاستنتاج أن الخسائر عنده كانت قليلة ، وأن أية خسائر منى بها إنما كانت من المقاومات الضارية فى القلع ، وتل العزيزيات ، وتل الفخار ، وتل شيبان ، وحرش الجويزة ، والرفيد ، ولقد كانت خسائره فى الأرواح قليلة ، أما خسائره فى السلاح ، والعتاد ، فلقد كان مجموعها ما يقارب كتيبة دبابات ، بسبب المقاومات التى ذكرت .

خسائرنا :

ضخمة جداً .. وتفوق حدود التصور فى قيمتها وهولها .

١ ــ فأول الخسائر ، هو كرامة الشعب ، وروحه القتالية ، وقدرته على الصمود ، وشرفه الذى ديس واوث .

٢ ــ وثانى الخسائر ، هو الأرض الكريمة الغالية الحبيبة بكل ما فيها من كنوز وثروات .

٣ ــ وفيما عدا ذاك فقد كانت الخسائر على الشكل التالى :

ــ فى الأرواح ، لم يتجاوز عدد القتلى ٢٥٠ قتيلا ، كما لم يتجاوز عدد الجرحى ٣٠٠ جريح ، بينهم عدد من الضباط ذكرنا بعضهم اسماً ، وحوالى سبعة أطباء .

ــ وأما الأسلحة : فحدث ولا حرج ، فالمدفعية دمرت بكاملها ، والمدافع المضادة للدبابات والطائرات ذهبت كلها بين مدمر أو غنيمة أخذها العدو بعد أن تركتها القوات ، والأسلحة الأخرى ، تركت كلها فى الأرض فى العراء ، جمع العدو قسماً منها ، وجمع الفدائيون قسماً آخر ، وجمع المهربون قسماً ثالثاً وباعوه ، وقسم رابع وضئيل لا يزال مطموراً أو ملقى على الأرض وقد أكله الصدأ .

والمدفعية الصاروخية أصبحت كتلا من الحديد الأسود المحروق .

وقاذفات اللهب ، تركت سالمة للعدو ليستعملها ضد قواتنا وآلياتنا .

والدبابات .. دمر عدد منها لا يقل مجموعه عن كتيبتين (٤٠ ــ ٥٠ دبابة) وغنم العدو كتيبة دبابات برمائية تركها الجيش فى الرفيد .

وأما الآليات .. فواحسرتا عليها .

الآلاف منها دمر ، ابتداء من عربات الجيب .. حتى الشاحنات الكبرى مروراً بعربات الجند المدرعة . . مضافاً إليها عدد كبير من الشاحنات المدنية التى صادرتها السلطة لصالح الحرب ، وأضف إلى ذلك ، ما لا يقل عن ثلاثمائة صهريج بنزين لا تقل قيمة الواحد منها عن ٧٠ ألف ليرة سورية .

والطائرات .. دمر منها وأعطب عدد لم أستطع الوقوف عليه بدقة ، وخربت مدارج الطائرات فى كل من مطارى **المزة والضمير** ، وفى عدد من المطارات **(السرية) الأخرى** .

وأخيراً المستودعات الهائلة الجبارة ، بكل محتوياتها ، من وقود ، أو ذخيرة ، أو مواد طبية أو أطعمة جافة أو ألبسة وتجهيزات ومفروشات ومن أبرز هذه المستودعات وأكثرها أهمية ، هى مستودعات :

تل خنزير ، الحميدية ، جباتا الخشب ، حرش عين زيوان ، بقعاتا ، نخسفين .

الفصل الثانى

الوجه المشرق

« . . . وقد وقع أثناء انسحاب اللواء المدرع السورى حادث طارىء كشف عن مدى الخسائر التى كان يمكن إلحاقها بالمدرعات الإسرائيلية لو قامت الدبابات السورية بالهجوم المعاكس .

لقد تعطلت إحدى الدبابات بالصدفة ، بعد تعطيل جنزيرها وكانت هذه الدبابة فى أواخر الرتل السورى المنسحب ، ولم يكن أمام قائد الدبابة إلا أن يحارب ، فأدار مدفعه إلى الخلف واستطاع من مكانه ، وخلال دقائق معدودة أن يدمر ست دبابات ويوقف تقدم الإسرائيليين ، واستنجد العدو بالطائرات فدمرت الدبابة السورية الشجاعة بصاروخ جوى ، ولولا ذلك لاستطاعت تدمير ١٥ دبابة إسرائيلية على الأقل قبل أن تصاب وتحترق . . » .

(من رواية لضابط لبنانى شهد المعركة صباح ٩ حزيران نشرتها مجلة الحوادث اللبنانية ، العدد ٦٠٤ ، تاريخ ٧ - ٦ - ١٩٦٨) .

- ١ -

وجوه ناصعة للبطولة

وقد يعتقد البعض أن هذا الشعب قد فقد كل مقامات الأصالة والبطولة فيه .. وذلك ، بعد الاطلاع على المخازى والجرائم التى حاولنا فى صفحات سابقة ، إبراز بعضها ، والذى لم نستطع الوقوف عليه ، أكثر وأدق وأعمق أثراً وأبعد خطراً .

ولكن الأصالة والنبل .. والشجاعة والرجولة ، الصادقة غير المفتعلة قادرة على إبراز وجودها ، ولفت الأنظار إليها ، وتحقيق فعالياتها القادرة على إصابة الباطل بشروخ خطيرة ، مهما علا واستكبر ، ومهما كان زيفه محبوكاً ودقيقاً .. بحيث خيل إليه أنه قد قضى على كل بذرة من بذور الحق الوضاء ، والنور الكامن فى النفوس .. القادر على رفع رأسه فوق سحب الظلام المفتعلة .

فهل عدمت الجبهة ، رغم كل ذلك اللؤم والباطل .. عناصر وقفت بإباء ورجولة تدفع عنها طغيان ذلك السيل من خيانات المجرمين ، وأرتال العدو الغازى الغريب ؟

أبداً .. وكما فى كل لحظة يأس .. وكما فى كل صولة باطل .. يقف الحق ، ليبعث البطولة فى صور متعددة الأشكال .. وصيغ مختلفة الأحجام هذه منها بعض النماذج :

١ - لقد كانت فى مقدمة تلك البطولات .. التى ستبقى الدهر ، مفخرة هذا الشعب .. ورمز كرامة وعزة الجيش هى بطولات وحدات المدفعية م - ط .. التى عملت فى أسوأ شروط أتيحت لها .. وحققت أعظم مردود كان يمكن لوحدات أفضل منها تدريباً وإعداداً .. أن تحققه ، وساهمت مساهمة كبيرة فى الحد من خطورة وفعالية طائرات العدو .. بعد أن غاب

من الجو نسورنا ، وعزلوا عن الحرب ، ومنعوا من أداء واجبهم ، وتركوا طاقات معطلة تغلى .. وهم يرون طائرات العدو تمرح فى سماء البلاد .. وما من نسور تتصدى لها .

فالمدفعية المضادة للطائرات .. رغم حداثة عهدها .. ورغم ضعف تدريبها .. ورغم أن أكثر سدنتها كانوا من الاحتياطيين ، ورغم أن أكثر ضباطها كانوا من غير الاختصاصيين .. فقد كان لها دور بطولى رائع واستطاعت أن تمنع الطائرات المغيرة من تحقيق إصابات فعالة ، فوق كل هدف دافعت عنه وحداتها ، وعملت بدون كلل .. وحققت المدافع أكثر من المردود المطلوب منها فى المعدل الزمنى الواحد ، حتى احمرت سبطانات الكثير من المدافع لكثرة ما رمت وتشوه بعض هذه السبطانات ولم يكن لدى السدنة وقت كاف لتركيب السبطانات الاحتياطية .. وعجز المذخرون(١) عن حسن تلبية احتياجها ، ووصلت إليهم الذخيرة مطلية بالشحم ، ولكن ذلك لم يثن عزم الجميع ، وقاموا بواجبهم خير قيام .

٢ – ومن روائع صور البطولة التى برزت ، المقاومة الجبارة التى تصدت « للهجوم » المدرع الذى شنه العدو ، وذلك حين اصطدم بنقطة استناد القلع :

دافع رجال هذا الموقع ، كأفضل ما يمكن لرجال أن يدافعوا .. وكان القائد على رأس هذه القوة الصغيرة الرائد محمد سعيد يونس ، واستطاعت هذه المقاومة الباسلة أن تحطم ٣٦ دبابة ، ولو نفذ الذى سبق أن قررته خطة العمليات ، وقدمت لهذه المقاومة – وغيرها – الحماية والدعم ، بالمدفعية والهجمات المعاكسة وكل أعمال القوات القتالية .. لتحطم الهجوم ، وارتد المهاجمون ، يلعقون جراحهم كالكلاب ، ويلعنون قادتهم الذين زجوا بهم فى وجه أولئك المردة من رجال الجيش السورى .

ولكن ما حيلة البطولة إن كانت وحيدة فى وجه موجات متلاحقة من قوى الغزو الباغى ؟ . وكيف يمكن للرجال الأشاوس أن يستمروا فى ممارسة

---

(١) المذخر : هو أحد سدنة السلاح الإجماعى ، وواجبه تأمين نقل الذخيرة وتجهيزها فى الأشرطة أو المخازن ، وتقديمها إلى السلاح جاهزة للرمى .

بطولاتهم .. ما دام قادتهم يمارسون مختلف صور الخيانة والغدر ، بهم ، وبالبلاد ؟

ولقد استشهد الرائد البطل .. ومعه ضابط آخر ..

فإلى هذا الرجل .. وكل الرجال الذين أدوا واجبهم .. سنؤدى واجب الشكر الآن .. وفى كل مناسبة ترجع فيها إلينا .. ذكرى صمودهم .. ومرارة الجريمة التى نفذت رغم إصرارهم على منع وقوعها .. !

٣ — وليس للبطولة أن تقتصر على الضباط .. أو غيرهم من الرتب .. فهى جوهر كريم .. قابع فى كيان كل كريم .. يبرز باهراً الأبصار ، متى أتيح له البروز .. سواء أكان صاحبه ضابطاً أم جندياً أم مدنياً .. فالبطولة والصمود ، هما من نتاج الأصل الكريم .. والتربية البيتية الكريمة الأصيلة .. وليس للاختصاص أو الرتبة إلا تحديد مجال ظهورها ، أو تحديد الحجم الذى يمكنه استيعابها .

ففى إحدى نقاط الدفاع ، فى تل شيبان .. قام مجند واحد .. نعم عسكرى واحد ، ومجند — من أبناء دير الزور — بتحطيم سبع دبابات للعدو .. وبماذا ؟ بسلاحه الفردى المضاد للدبابات ، المسمى (القاذف ر . ب . ج) .

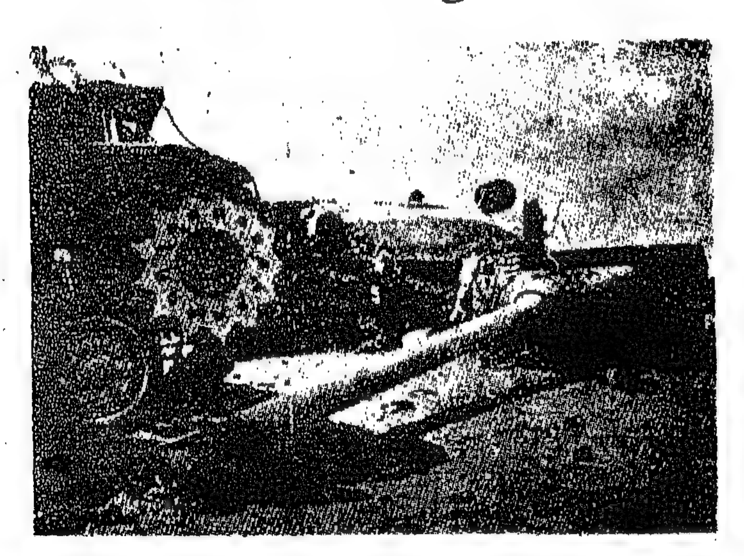
٤ — وفى نقطة تل الفخار .. ذلك الموقع الذى ترك أثراً مريراً فى قلوب القادة الإسرائيليين ، طفحت به تصريحاتهم التى فاضت على ألسنتهم أمام مراسلى الصحف الأجنبية المختلفة ...

فى ذلك الموقع .. صمد الرجال .. وليت كل الرجال مثلهم .. أدوا واجبهم بشرف ما فوقه شرف .. وبروا بالقسم الذى سبق أن أدوه لأمتهم يوم أن ارتدوا لباس الجيش ..

صمد الرجال .. بقيادة ضابطين ، (النقيب نورس طه ، وملازم أول لم يصل إلى اسمه) ، وقاوموا بعناد لا نظير له ومنعوا قوات العدو المهاجمة من تخطى مجالات الرمى لأسلحتهم .. وقدمت هذه النقطة بفضل رجالها الأبرار .. أكرم وفاء لدين الأمة عليها .. ومات الرجال فيها ، شهداء أبراراً ، كراماً ، ولم يتم للعدو متابعة احتلال الأرض إلا على جثثهم .. وبعد نفاد ذخيرتهم .. وانعزالهم وتطويقهم ، وفقدان الاتصال بأى قائد مسئول ..



بطل مقاومات القلع : الرائد الشهيد محمد سعيد يونس



الدبابات الإسرائيلية ، محطمة أمام نقطة استناد القلع مقدمة دليلا حسياً على أن صمود الرجال ، يفل الحديد حتى ولو كان من أحدث طرز الدبابات

فأطبقوا جفونهم على ثرى الأرض الحبيبة ، والأيدى مشدودة إلى الزنادات.. تشكو إلى الله ، خيانة الذين أوقفوا رجالها عن متابعة الضرب .. حتى يرتد العدو الدخيل .

٥ ــ وفى سهل المنصورة ، تصدى شابان من رجال المنصورة لرتل الدبابات المتقدم نحو القنيطرة ، وأطلقا على عربة القائد ، وعلى تجمعات القادة حوله ، خلال إصداره أوامر التقدم لدخول القنيطرة . . فماذا كان ؟

دب الذعر فى صفوف الجبناء المتقدمين لاحتلال القنيطرة . . وتراجع رتل الدبابات الذى لا يقل عن ٥٠ دبابة مسافة ٣ كم إلى الوراء ، واحتل الخط (باب الهوى ــ عين الحجل) ، ثم انتشر بتشكيلة القتال ، وأصدر قائده أوامر الهجوم .. (الأكاديمية وكأنه سيهاجم موقعاً حصيناً) ، ثم تقدم مستعملا كل طرق الحذر والترقب والاستعداد للتدخل ، وقد شمل خط الفتح(١) المسافة الآتية : يميناً السفح الشمالى الشرقى لتل العرام (انظر الخريطة وهو شمال غرب تل أبى الندى) ، ويساراً طريق الأوتوستراد الواصل ما بين المنصورة ــ الحميدية .. وتابعت قوات العدو زحفها بغاية البطء .. وقد حيرها صمت المقاومة التى انبعثت فى وجهها فأجبرتها على التراجع .

ولما عادت وأشرفت على المنصورة .. طوقتها ، وأخذ قائد الرتل يخاطب سكانها بمكبرات الصوت ، ويطلب منهم الاستسلام .. ولما أعياه أن يجيب أحد ، طلب أن يخرج إليه وفد من السكان .. فقابله بعضهم ، وسأله عن القوات والجيش ، فأخبره أن الجيش انسحب ، ولم يبق فى المنطقة أحد من القوات .

عندها سأله قائد الرتل الإسرائيلى عن المقاومة التى سببت له أن يتراجع تلك المسافة ، فضحك المنصورى وأعلمه أن تلك كانت فورة حماس من شابين ، حصلا على بندقيتين من أسلحة الجيش الفار ، فأطلقا على الرتل الإسرائيلى وسببا له ذلك الذعر كله . ولم تهدأ أنفاس القائد الغريب إلا حين اطمأن إلى أن هذين الشابين قد تراجعا ، وأن البلاد أصبحت خاوية على

---

(١) خط الفتح ، هو الخط الوهمى على الأرض ، الذى تقوم القوات عليه بأخذ تشكيلات القتال ، انتقالا من تشكيلات المسير .

عروشها ، ولم يبق فيها إلا من لم يستطع الفرار ، أو الذين تشدهم الأرض لها بارتباطات هى أعمق وأقوى من كل خطر ، .. حتى واو كان خطر الاحتلال الصهيونى .. بلؤمه وخسته .

كان ذاك الحادث ، فى الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر السبت ١٠ حزيران .. وقد استغرق تراجع الرتل إلى خط الفتح عشر دقائق ، بينما احتمل تقدمه (مجدداً) ٥ — ٦ ساعات ، اجتاز خلالها مسافة لا تزيد عن (٣) كيلومترات فى حدودها القصوى ، وكان ذاك بعد إذاعة بيان سقوط القنيطرة من إذاعة حزب البعث .

وبلغ مجموع الخسائر التى ألحقتها بتلك القوة ، رصاصات الشابين المذكورين ما لا يقل عن عشرة رجال بين قتيل وجريح .

٦ — فى الساعة الرابعة من مساء الاثنين (بعد الظهر) ١٢ حزيران .. كانت تتقدم كتيبة دبابات إسرائيلية (٤٠ دبابة) ، على طريق (الرفيد — الجويزة — القنيطرة) وباتجاه القنيطرة .. وما أن وصلت مقدمة الرتل (سيارة القائد) إلى مشارف الحرش المحيطة بقرية (الجويزة) ، حتى أصلته نيران المقاومة جحيما أوقف الرتل بكامله ، فتوقف ، وانتشرت الدبابات واستنجد القائد بالطيران ... وجاءت طائرات (الهليوكوبتر) وفلحت أرض الحرش كلها برشاشاتها .. حتى اطمأنت إلى إخماد المقاومة ... واستمر ذلك التوقف حتى صباح الثلاثاء ١٣ حزيران .. عندها عادت إلى قائد كتيبة الدبابات الإسرائيلية أنفاسه ، وعاود التقدم لإكمال احتلال القنيطرة .

ولقد قام بعض الذين أعرفهم بسؤال النازحين من أبناء الجويزة ، عن تلك المقاومة ، التى عطلت إكمال احتلال القنيطرة مدة لا تقل عن ١٨ ساعة فعلموا أنه شاب من أبناء القرية ، أطلق من إحدى البنادق التى وجدها كثيرة فى الأرض (بنادق الجيش الهارب) ، ولما نفدت الذخيرة التى كانت فى البارودة ، أكمل تراجعه باتجاه القنيطرة .. ثم دمشق .

٧ — وفى فترة الحرب ، حشدت إحدى كتائب جيش التحرير الفلسطينى ، فى الرفيد ، وقد تمكن بعض رجال هذه الكتيبة من إسقاط قاذفة إسرائيلية بأسلحتهم الفردية .. ولكن الطيار تخلى عن طائرته وسقط بالمظلة .

هرع بعض رجال الكتيبة لأسر الطيار .. فجاءت أربع طائرات مطاردة وهاجمت الكتيبة ، واضطر الرجال إلى الاحتماء بالأرض تفادياً لنيرانها .. عندها استغلت تلك الفرصة طائرة هليوكوبتر للعدو ، وأنقذت الطيار من الأسر أو القتل .

٨ – استطاع أحد ضباط الصف ، من قوات المدفعية م ـ ط المتمركزة على (تل أبي الندى) ، وهو المساعد عدنان الداغستاني قتل أحد الطيارين خلال هبوطه بمظلته ، بعد إسقاط طائرته ثم استشهد المساعد فعليه رحمة الله ورضوانه .

٩ – وفي حرش الجويزة ، كان واحد من الأبطال (مساعد لم يصل إلى اسمه) يعمل على مدفع مضاد للطائرات ، استطاع إسقاط أربع طائرات ميستير بمدفعه وحده (عيار ١٤,٥ مم رباعي السبطانات) ، ثم فاضت روحه الكريمة بعد أن هاجمته أربع طائرات ميراج بصواريخ النابالم فأحرقته ومدفعه .

١٠ – ولا يفوتنا في حديثنا عن صور البطولة الرائعة التي برزت خلال تلك الأيام العصيبة ، أن ننوه بالروح التي كانت من العسكريين المسرحين ..

هؤلاء العسكريون ، الذين سرحتهم سلطات حزب البعث ، في نطاق خطتها التي اتفقت عليها مع الإسرائيليين ، تمهيداً لوضع الجيش والشعب والبلاد كلها ، في وضع صالح لتقبل الهزيمة .

العسكريون الذين لم ينج أكثرهم خلال حكم سلطة البعث ، من العنت والأذى ، تسريحاً ثم اتهاماً بالعمالة للأجنبي أو مصادرة للأموال ، أو ملاحقة وحرماناً من الراتب ، أو سجنا وتعذيباً بلغ حدود التشويه في كثير من الحالات أو حكماً جائراً بالسجن أو بالنفي أو بالإعدام ..

هؤلاء المسرحون .. الذين دربهم الجيش ذخراً له لساعة من ساعات المحنة كالتي كانت يوم المسرحية التي أسموها حرباً ..

هؤلاء العسكريون .. الذين أبعدوا عن حقل فعاليتهم الحقيقي ، وعزلوا عن المشاركة في الحرب .. وحملوا فيما بعد – مع باقي فئات الشعب – أوزار الهزيمة التي لم يكن لهم فيها مطلق دور ، ولم يسمح لهم بأي نشاط لمنعها أو وقفها عند حدود أقل مما كانت ..

هؤلاء المسرحون .. لا لشيء ، سوى أنهم رفضوا الموافقة على صفقة بيع الجولان ، وتحدوا حزب البعث المجرم وحاولوا تنحيته لمنعه عن تأدية ذلك الدور الخطير ..

رغم كل هذا وذاك .. لم ينسوا بلادهم وجيشهم وجولانهم الحبيب ، يوم المحنة .. فتقدم أكثرهم إلى قيادة الجيش ، واضعاً نفسه تحت تصرفها للدفاع عن البلاد ، ولكن القيادة « شكرتهم » وطلبت منهم البقاء فى بيوتهم وكأنهم من ذوات الخدور ..

ولقد تنوعت صور البطولة خلال المحنة التى أنست هؤلاء كل جراحهم. فجعلتهم يتقدمون للذود عن حياضهم .. رغم خيانة المجرمين .. أهل السلطة .

ــ فمنهم من تطوع فى الدفاع المدنى ، للمساهمة فى حماية المواطنين ، والتخفيف من خسائر الحرب ، وخاصة فى المدن الكبيرة .

ــ ومنهم من التحق ببعض المنظمات الفدائية ، للمساهمة فى العمل على مؤخرات القوات الإسرائيلية ، فيما إذا حاولت متابعة التوغل داخل البلاد ؛

ــ ومنهم من التحق بإحدى وحدات الاحتياط ، طائعاً مختاراً . وهؤلاء كانوا قلة ، لأن التحاقهم يتوقف على موافقة القيادة ، أولا وأخيراً .. والقيادة لا ولن توافق إلا إذا اطمأنت إلى الذين يطلبون الالتحاق بالخدمة ، بأنهم لن يعملوا ضدها .

ــ ومنهم من شكل ــ ببداهته ــ مجموعات للدفاع عن المدن ، وخاصة دمشق ، بعد أن هجرتها القوات والسلطات البعثية وتخلت عنها ، وتركتها مفتوحة فى وجه القوات الغازية ،

ــ ومنهم من قابل بعض القادة المسئولين فى دمشق ، وألحوا عليهم بوجوب تناسى الخلافات ، ودعوة كل الضباط للخدمة فى ذلك الظرف العصيب .. ولكنهم ــ هكذا أرى ــ كانوا يجهلون أنهم يطلبون الدفاع عن البلاد ، من مجرمين يملكون كل التصميم والتخطيط المسبق لتسليمها إلى عدوها ، مقابل ثمن بخس قبضوه ، فاستحقوا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ــ وحتى المشردين خارج البلاد ، الملاحقين المحكومين كانوا يتحرقون ويتميزون غيظاً للقيام بواجبهم ، فمن سبق منهم كان نصيبه السجن والمحاكمة وكان من أبرز هؤلاء الاخوان (عبد الرحمن ، وعلى السعدى) ، ومنهم

من اتصل بالقيادة العامة ، وخاطبوا الضابط المناوب .. وقد سمى نفسه « الرائد شريف » ، وأبلغوه أنهم يريدون العودة إلى البلاد ، والدفاع عنها ، فطلب منهم التريث ، ثم عاود الاتصال معهم ، وأبلغهم قرار القيادة برفض دخولهم إلى الأرض السورية ، التي كانت – تلك القيادة – تسلم منها جزءاً أغلى من حبة القلب إلى العدو الغريب الدخيل .

١١ – وفى ختام عرضنا لنماذج البطولة الصادقة ، التي تأبى إلا أن تجد لها متنفساً فى كل لحظة تطبق خلالها سوءات الجريمة ، أو تحيق فيها الأخطار من كل جانب .

فى ختام لحظات التسامى فوق مستوى الجريمة التي نفذها الفجار . وفى ساعة التجلى هذه ، التي تبسط فيها البطولة أجنحتها فتظل المنكوبين ، وتتسلل ذكرى الأبطال الذين أدوا ضريبة الرجولة .. فتلمس الجراح لمس الحنو المشبوب بالأمل فى أن تعاود هذه الأمة الإنجاب ..

فى ختام هذا السرد الموجز ، الذى استطعت الوقوف عليه من ملامح الأعمال البطولية التي أبرزت الوجه الحقيقى لهذه الأمة رغم ركام الخيانة والجريمة الهائل ..

فى هذا الختام .. الذى أراه مسك الختام لهذه الصفحات . لست أجد خيراً من المرور بإجلال واحترام ، قريباً من ذكرى أخى الأبطال .. وكريم الرجال .. العقيد أركان حرب كمال مقصوصة ، مبيناً حقيقة البطولة التي كلفته حياته .

ولم تبرز رجولة هذا الإنسان النبيل فى ميدان الحرب ، لأنه لم يرسل للحرب .. بل برزت فى ميدان قولة الحق ، الذى هو ميدان لصولات سادة الشهداء ..

العقيد كمال مقصوصة ضابط من الذين عينوا فى مراكز التجنيد ، والذين تقع دعوة الاحتياط فى حدود مسئولياتهم .

ولقد استدعى إلى القيادة العامة (مبنى الأركان العامة فى دمشق) ، ليشهد اجتماعاً عقده الحزبيون .. ليقرروا سلسلة من الإجراءات والأعمال « للدفاع عن البلاد » وذلك بعد سقوط القنيطرة ، وبعد أن أصبحت دمشق مهددة بالغزو الإسرائيلي .

وفى خلال المناقشة ، طالبوه بدعوة لوائى احتياط من أبناء (دمشق ، حمص ، حماة ، حلب) . فاستغرب العقيد المذكور هذا الطلب .. ونبه القائد الذى يطالبه إلى أن دعوة الاحتياط لا يمكن أن تتم على أساس هذا التقسيم (أبناء المدن ، ومن الطوائف غير العلوية) ، وأن دعوة الاحتياط عادة تتم على أساس مكلفى الأعوام (مثلا مكلفى الأعوام ١٩٦٠ — ١٩٦٥) أو على أساس دعوة المعبأة سابقاً (مثلا : اللواء ٩٠ ، اللواء ٨٠ ، اللواء ٦٠ احتياط .. إلخ) .

أما دعوة الاحتياط من أبناء مدن معينة ، ومن أبناء طوائف معينة ، واستثناء غيرهم من أبناء المناطق والطوائف الأخرى ، فهذا أمر فريد من نوعه فى تاريخ الجيش ، ومستحيل التطبيق لأن أجهزة شعب التجنيد ومكاتب النفير ، لا تملك الإحصاءات الجاهزة التى تمكنها من تنفيذ تلك الدعوة المريبة لبعض قوى الاحتياط .

عندها تصدى منطق التعصب والإجرام لمنطق الحق والإخلاص ، فأصروا عليه أن ينفذ ما طلب منه وإلا .. ثم ألحقوه ببعض النعوت التى لا تليق بإنسان كريم .

.. وجاء العقيد المذكور — رحمه الله — أن الأمر مطبوخ مسبقاً ، وأن هذه الجريمة الجديدة ، معدة ومهيأة لوضع صفوة شباب هذه المدن فى وجه القوات الإسرائيلية المتفوقة ، بغية تركها للعدو فريسة يقضى عليها ، وبذلك يتم لهم إذلال تلك المدن ، والقضاء على أى أمل لديها بالمقاومة . . وأدرك كذلك أنهم يريدونه لتنفيذ تلك الجريمة . . ليحمل وزرها ، وينجوا — هم — أمام الشعب ، فرفض ، ورد التحدى ، وأفهمهم أن هذه الجريمة لن تتم وهو حى ، عندها عاجله أحدهم بإطلاق الرصاص عليه ، فقتل على الفور ، وصعد إلى ربه مظلوماً ؟ !

ولكن المجرمين .. بعد أن وجدوا البطل أصبح جثة هامدة ، هالهم الأمر وحاروا كيف يغطون جريمتهم ، فحمل وألقى من الطابق الثانى لمبنى الأركان وأشاعوا أنه « انتحر » ، ونقل إلى المستشفى العسكرى .. ثم سلمت جثته إلى ذويه ، ومنعوا من تشريحها ، كما أجبروا على دفنه سراً دون أن تكون له جنازة أسوة بأى إنسان آخر .. وذلك خشية افتضاح الأمر ، وانقلاب الجنازة إلى ثورة ضدهم .

رحم الله كمال مقصوصة .. فقد ذهب إلى ربه الذى نسأله أن يكتبه شهيداً من سادة الشهداء . قال كلمة الحق فى وجه سلطان جائر ، فمنع باستشهاده تنفيذ جريمة خطط لها البعثيون .. وفوت عليهم ما دبروا .. فجزاه الله عن هذا الشعب كل خير .. وعوضه فسيح جناته ، وجعله قدوة لغيره من الذين لم تستيقظ فيهم كوامن البطولة حتى اليوم .

رحم الله الشهيد .. ورحم الله كل الشهداء الذين ماتوا ثابتين صادقين .. ولا رحم الله الذين ماتوا فارين مولين الدبر .. وشلت أيدى المجرمين الذين نفذوا تلك الجريمة الفريدة فى تاريخ الشعوب .

الفصل الثالث

نقاش الإثبات

« . . صحيح أننا عملنا حتى الآن على تسهيل الحياة أمام مملكة تعيش بعيدة عن النفوذ السوفيتى ، ولكن ، فى النهاية ، تفرض علينا مصالحنا الاختيار . .

نجد الآن أنه يوجد فى سورية نظام بعثى . . وهو تحت النفوذ السوفيتى .

ولكن الواقع أن هدوءاً كاملا يسود خطوط وقف إطلاق النار التى تفصل بيننا وبين هذه البلاد . وبتعبير آخر ، وبغض النظر عن المفاهيم العقائدية ، علينا أن ننظر إلى الأمور نظرة واقعية .

من تصريح آبا إيبان لمجلة « الإكسبريس » ٢٢ نيسان ١٩٦٨ . عن كتاب (المسلمون والحرب الرابعة) .

- ١ -

من الجانب العسكري

. . . قبيل الحرب وخلالها افتعلت أخطاء عسكرية فى غاية الأهمية والخطورة . كان لها الأثر الذى نراه اليوم ، من فجيعة تكاد تذهب بالعقول .

والأخطاء التى ارتكبت ، سوقية (استراتيجية) ، أو تعبوية (تكتيكية) ما كان لها أن تقع ، لو أن القيادة البعثية كانت حريصة حقاً على صون البلاد ، لأن هذه الأخطاء ، لا تصدر عن مطلق قائد ، مهما بلغ من السذاجة أو السطحية والارتجال فى ما يتخذ من قرارات . ونحن نناقش الآن أهم هذه الأخطاء وأخطرها ، وما كان لها من نتائج سببت النكبة .

١ – عدم إعلان التعبئة العامة (النفير العام) : : وذلك يعنى أن حزب البعث ، لجأ لمواجهة تهديدات بالحرب يطلقها العدو الإسرائيلى ، ويعلن خلالها أنه سيزحف لاحتلال دمشق ..

مثل هذه التهديدات ، وما تلاها من تحركات وأحداث بدأت تتلاحق فى تصاعد مستمر ، حتى بلغت نقطة « اللاعودة » ، وأصبح فى حكم المحقق الأكيد ، وقوع الحرب ، والصدام مع العدو .

رغم كل ذلك .. بقيت قيادة (السويدانى وجديد والأسد وزعين ، وماخوس وسادسهم الأتاسى ، وكل الشركاء الآخرين فى الجريمة) .. هذه القيادة ظلت محتفظة « بهدوء أعصابها .. ! » ، ولم « تؤثر التهديدات فى خط سير الثورة » .. تلك التهديدات . . « الصغيرة التافهة » التى يطلقها العدو . . « لتدعيم موقع عملائه من الرجعيين والإمبرياليين(١) » .

---

(١) الصيغ الكلامية هذه وأمثالها هى من الصيغ التى استعملتها أجهزة الإعلام البعثية خلال فترة التهديد بالحرب . منذ ٢٧ – ٥ – ١٩٦٧ .

أقول : إن قيادة حزب البعث ، لجأت لمواجهة ذلك الخطر المحقق ، بتظاهره دعائية مجرمة توهم أن القيادة تقوم بالحشد العسكرى المطلوب.. بينما تركت الطاقات والقوى الحقيقية الفعالة ، والقادرة فعلا على مواجهة العدو والتصدى له بأمانة وفعالية .. كل تلك القوى والطاقات ، تركتها القيادة « البعثية » معطلة مشلولة ، وكأنها دخيلة على الوطن ، ولأن البعثيين ينظرون إلى هذه الطاقات ، نظرة الريبة ، ويرون فيها — لو جمعت وأطلقت يدها — مصدر خطر على وجودها واستمرارها فى السلطة .

إن كل ما قامت سوريا (حزب البعث) ، باستنفاره من طاقاتها لمواجهة الحرب بعد أن تحقق وقوعها ، هو ثلاثة ألوية احتياطية من ألوية المشاة ، هى الألوية (٨٠ ، ١٢٣ ، والثالث لم أقف على اسمه) .. وهذا يعنى أن كل ما استنفر ، لم يتجاوز عشرة آلاف مقاتل . . كان معظمهم من الاحتياطيين بعيدى العهد بالتدريب .. ثم عبئوا فى وظائف وأعمال ليست اختصاصاً لهم . . ثم رغم كل ذلك .. كلفوا الهجوم على « صفد » .

لقد استطاعت إسرائيل حشد (١١ ٪) من طاقاتها المقاتلة للحرب ضد العرب[1] ، وأن مبادئ النفير السليم تنص أن من واجب أية دولة لمواجهة الحرب ، أن تعبئ ما لا يقل عن ١٠ ٪ من طاقاتها البشرية للقتال . .

فإذا كان تعداد سكان سوريا لا يقل عن خمسة ملايين شخص . فإن من واجب الدولة أن تستنفر نصف مليون مقاتل وتضعهم فى ظروف الاستعداد للحرب ، ليؤدوا الأمانة المطلوبة .

ولزيادة الإيضاح ، نؤكد أن نصف هذه النسبة على الأقل كان فى وسع القيادة حشده واستنفاره لأن ما لا يقل عن ربع مليون من الرجال سبق له أن جند ودرب منذ تطبيق نظام التجنيد الإجبارى فى سوريا وحتى يوم المؤامرة .

إذن .. كان فى وسع حزب البعث ، أن يعبىء ربع مليون من المقاتلين فى وجه إسرائيل على الأقل وهذا الـ « ربع مليون » فيه من أهل الاختصاص والخبرة عشرات الألوف من الضباط وضباط الصف والجنود ، الذين

---

(١) انظر كتاب الوحدة العسكرية العربية الطبعة الثانية ص ١٣٩ .

سرحوا من الجيش خلال العهود السياسية المتعاقبة ، فلم لم تستنفر هذه القوى لتؤدى دورها فى الدفاع عن البلاد ؟؟!

هنا .. تقع أولى نقاط الاتهام ، بحق المجرمين الذين صنعوا هذه النكبة ، ويدعم هذه التهمة تصريح خطير لقائد الجيش البعثى ، يثبت الجريمة :: ويدين المجرمين ..

فلقد صرح اللواء أحمد سويدانى ، رئيس الأركان العامة ، عشية الحرب وبتاريخ ٤ ـ ٥ ـ ١٩٦٩ ، خلال زيارته لتفقد القوات فى الجبهة ، وأمام جمع من ضباط الوحدات قائلا : « **إن القيادة لا تتوقع الصدام مع العدو .. وإن الذى ترونه يجرى الآن ، ما هو إلا تظاهرة عسكرية بالحشد** » .

٢ ــ حشد القوى الاحتياطية غير المدربة ، وتعبئة العسكريين فى ملاكات ووظائف ليست من اختصاصهم ، فى الوقت الذى تركت فيه العناصر الاختصاصية معطلة الفعالية ، ومعزولة تماماً عن ميدان القتال .. فكانت النتائج المذهلة التى رأينا .

إن أية قيادة ، مهما كان رجالها جهلة أو مغفلين ، لا يمكن أن تقدم على الذى فعلته قيادة حزب البعث ، وإن هذا الرأى الذى فعلته لا نجد له تفسيراً إلا أنه الخيانة المدبرة مسبقاً والمرسوم لها أدق الخطط وأكثر التفصيلات لؤماً وسوء نية .

إن أية مؤسسة (حتى بائع الفول والحمص) ، لا تسمح لغير المتخصص أن يمارس عملا لا يفقهه أو لا يتقنه .. وهذا أمر طبيعى وبديهى .. فكيف تقدم قيادة جيش ، ومن ورائها قيادة دولة على وضع قوات بكاملها ، فى مواجهة العدو ــ حتى ولو كان ذاك العدو ضعيفاً أو جاهلا ــ وتكلفها بأخطر الواجبات القتالية .. وهى تعلم أن هذه القوات ليست إلا جمعاً متنافراً من الرجال ــ كما رسمت لذلك قيادة البعث ــ فاقداً لأبسط مستوى من التماسك والتعاون اللذين لا ينشآن عادة إلا بنتيجة التدريب المشترك الطويل ؟

كيف يمكن أن تقدم أجهزة دولة ، وقيادتها ، قوات للحرب عين فيها المتخصص بالهاون ، رامياً لمدفع م ـ ط ، أو الذى أمضى خدمته السابقة حاجباً أو خادماً فى بيت أحد الضباط ، رامياً لمدفع مضاد للدبابات ؟

لا .. إن الذى حدث لم يكن أخطاء مبعثها الجهل أبداً .. فأجهزة النفير ومكاتبه التابعة لقيادة الجيش السورى لها من الخبرة والاختصاص ما جعلها تحقق – فى أوائل الستينيات – أرفع مستوى فى أعمال النفير وتعبئة الوحدات ، عرفته دولة عربية على الإطلاق .

والجداول الإحصائية ، والسجلات الذاتية لكل من عاش فى الجيش تضم من المعلومات ما هو كاف وبدقة كافية ، لتعطى من يستعملها أوضح معلومات عن اختصاص كل فرد فى الوطن .. وبالتالى ما يمكنه من تعبئة هذه الاختصاصات فى ميادين عملها ، والوظائف التى تتيح لها أن تقدم أفضل إنتاج . فلم قامت أجهزة النفير خلال عهد حزب البعث بهذا العمل المجرم ؟ . :

هذه أيضاً ، **النقطة الثانية من الاتهام** ضد الحزب وأجهزته المتسلطة على الحكم .

٣ – حشد الألوية والوحدات المختلفة فى حدود ضيقة من الأرض دون توفير الحماية الجوية لها . .

إن المعروف – بدهياً – فى الحرب الحديثة ، أن القوات الأرضية تكون شبه عاجزة عن تحقيق قتال ناجح – إلا فى حدود ضيقة وحالات خاصة كالليل والالتحام مع العدو – إن لم تكن تملك الحماية الجوية الكافية التى تمكنها من إجراء التحركات والمناورة ، دون خوف من ضربات جوية خطرة .

ولقد لجأ حزب البعث إلى حشد مجموعة ألوية فى قطاع ضيق من أرض الجولان . كان يغص أصلا بالقوات المدافعة ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، وازدحمت الأرض بالرجال والسلاح والعتاد والآليات .. كل ذلك ، أجراه حزب البعث ، فى غياب الطيران غياباً كاملاً عن سماء المعركة .. فكان ما كان من استنسار الطيران المعادى وتحقيق الفاجعة ، التى دمرت العديد من وحدات الجيش ، وأذلت رجولته وكرامته وسمعته ، وأفقدته أجود أسلحته وعتاده :

والسؤال الذى لابد من طرحه .. لإيضاح الجريمة ، هو عما فعلته قيادة البعثيين بالطيران السورى .

إن من حقنا أن نسأل ، بل واجبنا أن نصر ونلح فى السؤال ، أين كان الطيران السورى فى تلك الحرب ؟

إن كانت قيادة البعثيين لا تملك من الطيارين الذين تثق ببعثيتهم ، من هو قادر على امتطاء صهوات الميغ والتصدى للميراج التى يقودها جبناء من يهود ، فهل من حق تلك القيادة أن تخلى سماء البلاد من الطيران الذى تملكه وتكدسه فى العنابر (الهنغارات) وتترك الطيارين القادرين على أداء دورهم مسرحين مشردين ، يرون الطائرات الإسرائيلية تحرث أجواء البلاد ، وتحرق أرضها ، وتدمر قواها .. وهم معزولون عن التصدى لها ، فكأن الواحد منهم مصارع جبار شلت ساقاه وقيدت بالأغلال رجلاه ؟

هذه من زاوية الطيران الذى غاب عند الحاجة إليه .

وأما من الوجهة الأخرى ، المقابلة . فكيف تقدم القيادة الفحة على إجراء ذلك الحشد وتحريك القوات فى وضح النهار ، وهى تعلم تمام العلم أنها عاجزة عن تحقيق حماية جوية لها ؟

أوليس هذا وحده دليلاً كافياً على أن تلك القيادة لم تكن جادة فى كل ما قامت به من إجراءات هزيلة ادعت أنها قامت بها استعداداً للحرب ؟

٤ – الهجوم الكاذب :

وأما فكرة الهجوم ، ذلك الذى زعموا أنهم قاموا به أو ينوون فلنا عنده وقفة طويلة .

إن ما نود تأكيده ، ولفت الانتباه إليه ، أن سياسة الهجوم لم تكن معتمدة فى سوقية (استراتيجية) القيادات السورية ، منذ قامت الهدنة الدائمة عام ١٩٤٩ ، وحتى يوم النكبة .

إن سوق القيادات المتعاقبة فى سوريا – مدنية وعسكرية – كان كله مبنياً على الدفاع والتشبث بالأرض ، للحيلولة دون وقوع نكبة جديدة ، لأن الجيش – فى تقدير الخبراء العسكريين – لم يكن فى يوم من الأيام قادراً على تحقيق تفوق يمكنه من خوض هجوم ناجح على الأرض المحتلة ، لتصفية الكيان الإسرائيلى الدخيل ، إن كل ما بنى من سوق للدولة السورية – حتى خلال أيام الوحدة – كان قائماً على الدفاع وحده ، دون التعرض للعدو بأعمال تتسم بالطابع الهجومى ، مهما كان حجمها أو مداها .. لأن سياسة السوق السورى بنيت على عقدتين أساسيتين كانتا تحكمان العقلية التى تعاقبت على القيادة السورية منذ نكبة ١٩٤٨ وحتى حزيران ١٩٦٧ ، وهما :

أولا : أن الوضع السياسى الدولى لا يسمح — فى زعمهم — بالتعرض للعدو الإسرائيلى بأية أعمال هجومية ، محلية محدودة ، أو عامة تهدف إزالة الورم الإسرائيلى الخبيث .

وثانياً : أن القدرة القتالية الفنية (فى التسليح والمستوى التكنولوجى وأعمال إمدادات القوات بكل احتياجاتها للحرب) ، ستبقى دوماً عاجزة عن تحقيق التفوق القادر على دفع الجيش السورى لخوض حرب هجومية — خاطفة أو طويلة المدى — بهدف إزالة إسرائيل . وبتعبير آخر وأوضح أن فكرة إزالة إسرائيل ، وتحرير الوطن المسلوب وإعادته إلى أصحابه الشرعيين ، لم تكن سوى شعارات تطرح للجماهير بغية الاستهلاك السياسى وكسب الأنصار والأتباع ، بينما كانت العقليات التى حكمت البلاد ، تؤمن وتردد فى مجالسها الخاصة والسرية وحتى فى مخاطباتها الرسمية(١) أن إزالة

---

(١) عقب معركة تل النيرب التى جرت بين القوات السورية والقوات الإسرائيلية فى ليلة ١٦ — ١٧ — ٣ عام ١٩٦٢ ، رفعت تقريراً مفصلا إلى القيادة العامة ، شعبة المخابرات ، وأوضحت فيه نتائج المعركة ، والخسائر التى منى العدو بها ، ثم ذيلت التقرير باقتراح مؤداه أن نجر العدو إلى مجزرة أخرى ننفذها فيه على أرضنا ، وفى منطقة البطيحة بالذات ، وذلك بأعمال متتالية من التحرشات الصغيرة ، تجعل العدو يقدم على عمل انتقامى كبير ضد قواتنا ، يهدف فيه إلى إزالة عار تل النيرب الذى لحق بقواته ، ورفع معنويات سكانه وخاصة فى المنطقة الشمالية من فلسطين المحتلة .

ويتابع الاقتراح قوله : إن من واجب القوات السورية أن تكون مستعدة لذلك الهجوم الذى سنجره إليه ، واقترحت لذلك إخفاء وحدات من الدبابات والقوات الراكبة فى وديان منطقة البطيحة ، استعداداً لساعة دخول قوات العدو فى الهجوم — الذى سنجره إليه فى تلك المنطقة — ، ومتى حدث ذلك ، تقوم القوات السورية بتطويق تلك القوات والفتك بها ، بعد أن تعزلها نيرانها المدفعية عن خطوط انسحابها أو نجدتها ، وبذلك تكون مجزرة للعدو جديدة ، تحطم فيها معنوياته ، وتكلفه ضحايا كبيرة جداً ، ونظهره أمام العالم بأنه هو المعتدى — لأن الهجوم يجب أن يتم على أرضنا — ، وبذلك نكسب ضده معركة دعائية جديدة ، تشوه سمعته ، وتكسبنا احترام الأشقاء العرب ، وباقى شعوب العالم .

ذهب هذا الاقتراح ، وغاب أسبوعاً واحداً ، ثم أعيد إلى ، مع كتاب وقعه رئيس شعبة المخابرات — آنذاك — العقيد أ . ح محمد منصور ، وفيه يقول :

« يطلب إليكم الكف عن مثل هذه الاقتراحات ، ونحيطكم علماً أن سياسة الدولة لا تبيح القيام بمثل هذه الأعمال » .

هذا ، وسيطلع القارىء على تفاصيل من هذا النوع ، وأكثر خطورة . . فى كتاب قادم إن شاء الله .

إسرائيل شيء غير ممكن . . وأن هذا مما لا يصح إعلانه للجماهير . . لذلك فإن أفضل قيادة عرفتها البلاد ، كانت تركز كل اهتماماتها حول صون الحدود ، ورد العدو إذا ما حاول الزحف لابتلاع أرض جديدة ، والتوسع على حساب مزيد من الأرض السورية .

وإننا حين نصر على هذا المفهوم الذى حكم السياسة السورية العليا ، طيلة سنوات ما قبل حزيران العار ، لسنا متجنين على أحد ، ولا نغمط أحداً حقه أبداً .. بل ، وإن الذى يؤكد بشكل قاطع ما ذهبنا إليه ، هو إصرار القيادات المتعاقبة على زيادة التحصين ، ورفع مستواه ، حتى بلغ فى عام ١٩٦١ ، مستوى من المنعة والقدرة والفعالية ، جعل خبراء الدفاع فى العالم ، يصفونه بأنه التحصين الذى يستحيل اختراقه . وأنه قادر على الصمود حتى أمام ضربات ذرية صغيرة ، أو قصف كيمياوى تستعمل فيه أنواع متعددة من الغازات أو السوائل الكيميائية الفعاله .

ولذلك . . فإننا حين سمعنا ادعاءات اذاعة حزب البعث ، إنها قامت بالهجوم ، واحتلت ودمرت ، وأن قوتها قد وصلت إلى صفد . . كان الانطباع المنطقى لدينا ، أنهم كاذبون دجالون .. يفترون الكذب على الله وعلى الأمة بمجموعها حتى فى أدق ساعات الخطر التى مرت بها خلال تاريخها الحديث . .

وقد أكدت الأحداث والأخبار والحقائق التى نشرت أو أذيعت أو تسربت على ألسنة الصادقين المخلصين الذين كانوا هناك أيام تلك الحرب .. صحة تكذيبنا لهم ، وأوضح لنا أنهم إنما كانوا يزايدون على الأمة حتى فى اللحظة التى كانت جيوش العدو تحتل أرضها ، وتشرد مزيداً من أبنائها وتدمر ما يعجز الحصر من عدتها وعتادها وتسليحها .

وفيما اتخذته القيادة السورية البعثية من أعمال وأجرته من تحركات ؛ من أجل « الهجوم الكاذب » تكمن أخطر نقطة فى المؤامرة التى نفذوها .. وبها سلموه جولاننا الحصين ، حبة القلب ونور العين وضياءها .

هذه الأعمال التى قامت بها القيادة البعثية ، تميزت بعملين هما فى الحقيقة أهم ما نفذته من إجراءات ، ظاهرها ضد العدو ، وحقيقتها كانت لصالحه .

فالعمل الأول ، هو الهجوم الذى قامت به وحدات هزيلة من الحرس

الوطني – وما أعد الحرس الوطني في يوم من الأيام إلا للإنذار وقتال التأخير – دخلت فيه الأرض المحتلة مسافة ٢ – ٣ كيلومترات ، وهاجمت مستعمرة شرياشوف ، فوجدتها خاوية على عروشها ، قد أخلاها العدو منذ عدة أيام سبقت الحرب .

والعمل الثاني ، هو تقديم لواءين من الاحتياط ، لاحتلال قاعدة الانطلاق – انظر تحديدها في فصل سابق – بحجة اجراء الهجوم على صفد .

فما هي مكامن الخيانة في هذين العملين ، وما هي حقيقة الأهداف التي من أجلها نفذتها القيادة البعثية ؟

(أ) إن من المعلوم لكل من خدم في الجبهة (الجولان) ، أن أكثر القطاعات احتمالا أن تتعرض للهجوم المعادى ، هما القطاعان واسط ، والأوسط وذلك بسبب قرب المسافة ما بين القنيطرة والحدود في كل منهما .. !

... ولقد كان قطاع واسط ، أضعف قطاعات الجبهة تحصيناً وتدعيما بالقوات ، وذلك بسبب ضآلة المحاور الصالحة لحركة الآليات ، ووعورة الأرض وعدم صلاحيتها لإجراء المناورة الهجومية (بالنسبة للعدو المهاجم) .

وأما القطاع الأوسط ، فلقد كان محور جهد الجبهة والجيش ، وكان أكثر القطاعات كثافة بالقوات والتحصينات ، وأفضل القطاعات صلاحية لإجراء قتال دفاعي نموذجي (بالنسبة لنا) ، يقدم العدو خلاله خسائر قد تفوق حدود التقديرات التي وضعت قبل إجراء أي قتال هناك ..

(ب) ويأتي في الأهمية بعد هذين القطاعين ، القطاع الشمالي ، ومحور جهده هو طريق بانياس – مسعدة ، وقد قام الجيش لذلك بتركيز فعال للمواقع الدفاعية على هذا المحور ، والمحاور الأخرى ، الصالحة للتقدم ضمن القطاع ، بالإضافة إلى الملاغم التي جهزت لتضع العدو في موقف هو غاية في السوء ، لا يملك حياله إلا أن يتراجع ، أو يخضع فترة طويلة لنيراننا حتى يمكن له إصلاح التخريبات ومعاودة التقدم . أضف إلى ذلك التركيز الشديد بحقول الألغام التي زرعت في كل ثغرة تصلح لتنفذ منها آليات العدو حتى بلغ عمق بعض حقول الألغام أكثر من مائتي متر ، وعرضها أكثر من كيلومتر . ومثل هذه المقاييس تعتبر نادرة في حقول الألغام التي تزرع في أرض غير صحراوية .

(جـ) ويأتي في النهاية ، القطاع الجنوبي ، وفيه محوران هامان ، أولهما هو محور الكرسي — (تل — ٦٩) — سكوفيا — فيق العال . وثانيهما هو محور الحمة — كفر حارب — فيق — العال .

ولو أن عدواً ما ، حاول إجراء الهجوم — بقواه الرئيسية — على أى من هذين المحورين ، لاعتبر مجنوناً أو أحمق أو جاهلا ، لأن أية قوات تحاول التقدم مستعملة أحد هذين المحورين أو كليهما ، ستخضع لنيران من المدفعية — وحدها — كافية لتجعل من الأرض التي تقف عليها مقبرة لها ، لأن المحورين المذكورين هما في غاية الوعورة والانحدار والتعرج ، أضف إلى ذلك ما حضر عليهما من ملاغم وتخريبات ، عدا المواقع الدفاعية الحصينة وحقول الألغام ، ثم . . النيران المحضرة لكل وحدات المدفعية والهاون والطيران .

ورغم كل هذا ، وبما أن العدو لا يملك إمكانية تحقيق الكثافة البشرية التي تمكنه من تغطية القطاعات كلها في الامتدادات الطويلة للجبهة ، فلقد توقع القادة المتعاقبون الذين أشرفوا على رسم السياسة الدفاعية للجولان ، توقعوا أن يركز العدو كل همه على تحقيق خرق خاطف في أحد القطاعات ، ومن ثم ينطلق من قطاع الخرق هذا إلى عمليات التطويق ، ليشل القدرات الدفاعية للوحدات المتمركزة في باقي القطاعات ، ويمنع عنها طرق إمدادها بالنجدات والمؤن .

ولتلافي إمكانية حدوث مثل ذلك .. فقد حسبت القيادات المتعاقبة حساب عمليات التطويق هذه فأقامت مجموعة من المواقع والتجمعات القتالية لتتحكم بالطرق التي سيركز العدو جهده للوصول إليها واستعمالها في عمليات الالتفاف والتطويق . لذلك نرى أن كثيراً من النقاط والتجمعات القتالية قد أقيمت لتسيطر على هذه الطرق وإحباط نوايا العدو .

ومن أهم هذه المواقع والتجمعات :

في القطاع الشمالي : حرش مسعدة — بقعاتا — القلع ،

في قطاع واسط : تل شيبان .

في الأوسط : معسكرات كفر نفاخ — نقطة استناد العليقة الشمالية (على طريق حفر — العليقة) ، معسكرات الخشنية وفيها تقيم كتيبة دبابات القطاع الأوسط التي كان لها واجب الدفاع عن الخشنية في حال عدم زجها في المعركة الدفاعية الأساسية :

فى الجنوبى : معسكر الجوخدار حيث تقيم فيه كتيبة دبابات القطاع الجنوبى ومنه تنطلق لشن الهجمات المعاكسة فى اتجاه القنيطرة ، وفى اتجاه الخشنية .

وأما على الخط العرضانى الأقرب إلى الحدود . والواقع معظمه فى منطقة الحيطة ، فإننا نجد سلسلة من المواقع الهامة واجبها الدفاع فى كل الاتجاهات وإحباط محاولات التطويق أو الالتفاف التى قد يقوم بها العدو . ومن أهم هذه المواقع (من الشمال إلى الجنوب) قنعبة ، حفر ، فى الشمالى و ٢١٧ ، علمين ، تل المشنوق ، تل ٦٢ ، تل الأعور ، فى الأوسط . و — ٦٩ فى الجنوبى .

إذن .. نستطيع أن نقول أن القطاعين الهامين ، اللذين « يجب إخلاؤهما من القوات المدافعة ليتمكن العدو من التقدم بحرية وراحة » هما القطاع الشمالى ، والقطاع الأوسط .

ونظراً لأن العدو ، لا يمكن أن يعطى تفصيلات خطته لعملائه — مهما بلغوا من الأمانة له والحرص على خدمته — لذلك فقد أشار عليهم إخلاء هذين القطاعين ، من القوات ، فكان له ما أراد . وقامت القيادة البعثية بلعبتها الخطرة ، فأخرجت القوات المدافعة عن أخطر مواقع القطاع الشمالى من مواقعها ، وزجت بها فى معركة هجومية صورية ، أنهكتها ، وخيبت ظنونها . فلما عادت لتحتل مواقعها ، وجدت أن الخيانة قد صفت كل شىء ، إذ هرب القادة ، وانهزمت القوات ، ودمرت مواقعها الدفاعية ، فلم يبق أمامها إلا الفرار أو التمزق(١) .. وبذلك خلت المواقع الأمامية الحصينة فى القطاع الشمالى من حماتها .. وقيل للعدو الإسرائيلى . أقبل فالأرض مفتوحة أمامك .

وأما فى القطاع الأوسط . . فلكى تبلغ اللعبة القذرة غايتها ، وتحقق أهدافها ، اخترعت القيادة البعثية فكرة الهجوم على صفد ، وأوكلت أمر تنفيذها إلى الألوية الاحتياطية الهزيلة ، ثم بحجة ذلك الهجوم ، سحبت القوات الأصيلة المرابطة للدفاع ، من مواقعها التى تعرفها تماماً ، وتتقن القتال فيها بحكم التدريب والإقامة الطويلين — فكان إخلاء الأرض من حماتها بذلك الأسلوب المموه اللئيم ، « أدق » عمل أدته القيادة البعثية ، لخدمة أطماع الغزو

---

(١) ولكنها صمدت رغم كل ذلك ، وظهرت فيها بطولات حيرت الأعداء .

الإسرائيلي . . التي لا تقف عند حد ، وحتى وضع القوات الإحتياطية في ذلك الموقف ، لم يخل من دقة في التآمر . وحرص على تنفيذ الجريمة بأكثر السبل ضمانة لبلوغها غايتها .

فبالإضافة إلى كل المساوىء التي كانت تشل فعاليـــة تلك الألوية الاحتياطية ، كانت هناك فكرة خبيثة وخفية في هذا العمل . وما فحصها أن القيادة لو أحلت محل القوات المدافعة الأصيلة . قوات نظامية مدربة ، فإن هذا يشكل خطراً على مخططاتها المشتركة مع العدو لتسليم الأرض الحصينة .. لأن القوات المدربة جيداً . والمتماسكة في بنيانها ، تعرف تماماً أن من الطبيعي أن ينقلب الهجوم بين لحظة وأخرى . إلى دفاع ، فيمكنها – بحكم التدريب والمعرفة المسبقة – أن تدير قتالا دفاعياً ناجحاً ، يرد كيد العدو إلى نحره ، ويخرب مخططات القيادة البعثية في التآمر . . فلجأت إلى إحلال القوات الاحتياطية المتنافرة غير المدربة . في ذلك الموقف العصيب ، لتضمن عجزها عن خوض قتال دفاعي جيد وفعال في وجه العدو ، وبذلك ضمنت للغزاة إخلاء الأرض ومواقعها من كل طاقة ذات فعالية قد تعترض سبيلهم .

ويبقى في هذا الشرح ، وضع قطاع واسط ، الذى فيه أيضاً حصل الاختراق .

ولقد سبق أن قلنا إن هذا القطاع ، هو – من حيث التحصين – أضعف قطاعات الجبهة ، ولكن وعورة الأرض ، وقلة الطرق الصالحة لتقدم الآليات ، كانت البديل الأفضل لهذا الضعف ، ورغم كل ذلك ، فإن المقرر له أن يدافع عنه لواء بكامله مع كل أسلحة التعزيز . . فماذا فعلت القيادة البعثية بهذا القطاع ؟ .

أولا : إن اللواء المقرر له أن يحتل قطاع واسط ، ليدافع عنه لم ينقل إلى مكانه ذاك . . واكتفت القيادة بالقوات الضئيلة المستعارة من الحرس الوطني ومن القطاع الشمالي ، لاحتلال نقاطه ومواقعه الدفاعية .

وثانياً : نرجح إنه كان في تقدير القوات الإسرائيلية والقيادة البعثية ، أن هذا القطاع لن يصمد طويلا ، فلا يلبث أن تضعف مقاومته وينهار ، وخاصة أن الطيران سينهك قواته قصفاً وإحراقاً ، مع الضمانات الكلية بأن القيادة البعثية لن تفعل شيئاً لنجدته . . وهذا ما حصل فعلا ، منذ صباح

الجمعة ٩ حزيران . . فتم الاختراق فيه ، وتقدمت القوات لاحتلاله متخذة تشكيلة الأنساق المتتابعة ، خوفاً من بطولات تعترض سبيلها فتردها مدحورة مذمومة ، رغم كل ضمانات حزب البعث ، وأعماله التي كفلت لها تسليمها الجولان بدون قتال .

ونريد الآن أن نسأل : من أين هبطت فكرة الهجوم على القيادة البعثية ، وهي تعلم أن جيشها ليس إلا مؤسسة بوليسية قادرة على قمع الشعب والهجوم على المقدسات والحرمات . . وليس لها أن تخوض أي قتال هجومي فعال داخل الأرض المحتلة ؟ ؟

لماذا قررت القيادة البعثية إجراء الهجوم . . مع إنها لم يك في سياستها وسوقها أنها قادرة على ذلك ؟ .

إن الجيش السوري عشية حرب حزيران ، كان في أسوأ حال عرفها منذ إعادة تشكيله عام ١٩٥٥ ، ولم يك أحسن حالا منه خلال أعوام الضعف التي سبقت ذلك العام ، وكانت القيادة البعثية تعلم ذلك . .

أفلا يكفي القيادة السورية البعثية ، علماً بأحوال جيشها وعجزه عن خوض قتال ناجح ضد العدو الإسرائيلي ، أن يعلن لها — منذراً — أحد كبار قادة الجيش السوري البعثي ، اللواء فهد الشاعر ، خلال محاكمته :

« إن جيشاً يشتغل في السياسة ثماني عشرة ساعة ، ويأكل وينام خمس ساعات ، ويتدرب ساعة واحدة في اليوم . . إن هذا الجيش لن يرجى منه نفع ساعة المحنة » ؟

القيادة البعثية كانت تعلم أن جيش العدو متفوق على جيشها في مختلف المجالات ، وخاصة في حقل الطيران ، وهي تعلم أن طيرانها عاجز عن حماية البلاد حتى من سرب جراد ، لأنها شردت الطيارين ، وخزنت الطائرات في عنابرها . . خوفاً من أن يستخدمها طيارون غير بعثيين ضدها ، فتفقد مواقع الحكم التي تدير منها التآمر والخيانة لتسليم الأرض إلى عدو لا تقف له أطماع عند حدود . !

فمن أين جاءتها فكرة الهجوم هذه . . رغم كل علمها بأنها عاجزة عن خوض أي هجوم ؟ هنا سؤال خطير . . ستكشف الأيام تباعاً ، جوانب من الإجابة عنه ، لأن من غير المتيسر لنا كشفها كلها . . ونحن لا نملك

الاطلاع على ما يدار ويحاك فى دور السفارات والأقبية السرية . . ولكننا لا بد من أن نشير إلى مسئولية الخبراء الروس . . فى تلك الجريمة .

نحن نقول إن فكرة الهجوم – أصلا – كانت مسرحية لتبرير سحب القوات المدافعة الأصيلة ، وإخلاء طريق القوات الإسرائيلية من كل مقاومة فعالة .

ولكن . . لماذا أشار الخبراء الروس بوضع ألوية الاحتياط فى مقدمة قوات الهجوم . . ذاك المزعوم ؟ ؟ !

نحن لا نستطيع تبرئة الخبراء الروس من تلك الجريمة ، لأنهم ليسوا حديثى عهد بالعمل فى سوريا ، وقد مضت عليهم سنوات عشر ، يعملون خلالها فى الجيش ، يدربونه ، ويطلعون على كل ما يخصه ، حتى أصبحوا على علم بأدق التفصيلات عن سلاحه ، وعتاده ، وتعداده ، والتغييرات التى أصابته ، ومستويات تدريبه والقدرات القتالية لوحداته .

وما داموا يعلمون كل تلك التفاصيل ، أكثر من كثير من ضباط الجيش ، وما داموا يعلمون أن مستوى الوحدات الاحتياطية لا يؤهلها لخوض هجوم فعال ضد دفاع محصن . . فكيف لهم أن يشيروا بوضع هذه الوحدات فى المقدمة بحجة أن من الأفضل ترك الوحدات النظامية للعمل فى داخل إسرائيل ، فتكون مرتاحة متماسكة . . ويمكن عندها لها أن تحقق استغلال الفوز ؟ ؟ !

إن الخبراء الروس الذين دربوا جيشنا . . ليسوا أطفالا أو حديثى عهد بالخدمة العسكرية . . إن أقل رتبة فيها كانت رتبة العقيد . . وإن أقل واحد منهم ، كان له اشتراك فى الحرب العالمية الثانية عدا مئات المناورات التى خاضها فى جيشه اشتراكاً مع جيوش الدول الشيوعية الأخرى . . وهؤلاء لهم من الخبرة والعلم العسكرى ما جعلهم أهلا لتدريب جيش ناشىء كجيشنا . . وهم يعلمون أن جميع جيوش الأرض ، تضع أقوى وحداتها ، وخيرة سلاحها وعتادها ، فى الهجوم الرئيسى ، لتوجيه الضربة الأولى والرئيسية ، التى إن تمت بنجاح ، ستزلزل دفاع عدوها ، وتمهد لتشريد قواه ثم تدميرها . .

جميع جيوش العالم . . تزج بخيرة قواها لتحقيق الفوز منذ الضربة الأولى . . فكيف أشار أو قبل الخبراء الروس الذين يعلمون ذلك أن تزج القيادة الســورية بقوات قليلة التماسك وهزيلة التدريب . . والمعبأة أسوأ تعبئة عرفها تاريخ جيش – ما – في مواجهة دفاع حصين متماسك متين . . بحجة ترك الوحدات العاملة ، مرتاحة لتتابع التوغل في عمق – دفاعات العدو ؟ ؟

إننا لم نجد تفسيراً لهذا العمل ، سوى التواطؤ . . إما لصالح إسرائيل مباشرة وهذا ما لا نملك إثباته فيكفينا إننا ننبه إليه . . وإما التواطؤ المأمورين به من قياداتهم ، لترك الألوية (البعثية الاشتراكية) ، سليمة لحماية الخط اليساري الثوري ، من أية تحركات شعبية عارمة ضده ، وخاصة في تلك الساعات التي برز خلالها جبن وضعف وتواطؤ الجيش البعثي – ومن ورائه حزبه وأجهزته الحاكمة – تجاه العدو الإسرائيلي ، وخطره الآتي عبر الحدود .

وإن الذي يؤكد ما ذهبنا إليه هنا – هو ما رأيناه من إصرار وسرعة مذهلة ، قامت بها دولتهم – الاتحاد السوفيتي – في تعويض ما خسرت الدول الثورية العربية خلال مسرحية حزيران ، وخاصة في حقل الطيران ، بسبب فعاليته في شل قدرة أية تحركات قد تقوم بها الشعوب المنكوبة لإزالة الذين صنعوا لها النكبة . . بينما بقيت دولة من الدول المنكوبة – غير اليسارية – تعاني حتى اليوم من النقص الخطير الذي لحق بقواتها عقب النكبة . . ذلك لأنه ليس في مصلحة روسيا نجدة هذه الدولة غير الثورية . . !

٥ – البلاغ رقم ٦٦ بسقوط القنيطرة :

ومن الأمور الخطيرة جداً . . التي تميزت بها أيام الحرب (المسرحية) ، هو تصرف القوات بعد الإعلان الكاذب عن سقوط القنيطرة . . وهـذا ما يحتاج إلى مناقشة وتوضيح .

(أ) لنترك جانباً ، – ولفترة محدودة فقط – إصرارنا على أن بلاغ سقوط القنيطرة ، قد أذيع قبل سقوطها بزمن غير قليل ، فلقد سبق أن بينا ذلك بوضوح وأثبتنا أن القوات الإسرائيلية كانت وما تزال تشتبك بالمقاومات الفردية المعزولة ، في تل شيبان ، والقلع ، وتل الفخار ، وفي المنصورة وأماكن متفرقة أخرى . . حين أذيع البلاغ الكاذب ذاك . .

ولنفترض جدلا أن البلاغ كان صحيحاً . . وأن القوات الإسرائيلية قد دخلت القنيطرة وقت البلاغ تماماً أو قبيله بزمن بسيط . . فلماذا تترك الوحدات الباقية مواقعها ، وتفر كالفئران ؟ ؟

إن نظرة واحدة إلى خريطة الجولان . . توضح أن سقوط القنيطرة ، لا يشكل خطراً أو تهديداً مباشراً ضد باقى القوات المقيمة فى القطاعات الأخرى . وخاصة الأوسط والجنوبى . .

إن القنيطرة تبتعد عن مواقع القوات الرئيسية فى القطاع الأوسط ، عشرين كيلو متراً ، وعن مواقع القوات الرئيسية فى الجنوبى خمسين كيلو متراً .. فهل يمكن أن يسمى احتلال العدو للقنيطرة ، التفافاً أو تطويقاً ضد هذه القوات ؟ ؟ .

إن التطويق لا يكون تطويقاً ، إلا إذا استطاعت القوات عزل الوحدات المطوقة تماماً ، والإحاطة بها من كل جانب ، وقطع طرق انسحابها أو تموينها ونجدتها ، ومن ثم تبدأ القوات المطوقة زحفها لتدمير القوة المطوقة ، أو إجبارها على الاستسلام .

وحتى فى هذه الحالة — النادرة فى الحروب — كثيراً ما تقوم القوة المطوقة بأعمال تتسم بطابع العنف والضراوة ، بهدف فك الحصار ، وفتح الطريق إما لانسحابها أو لتأمين وصول النجدات إليها . .

وفى حالتنا هذه التى نناقش ، يرى الناظر إلى الخريطة أن قوات الجولان لم يتم تطويقها ، وأن نجدة الجولان كانت ممكنة — وهذا ما سبق للقيادات أن وضعته فى احتمالها — إما عن طريق قطنا — مزرعة بيت جن — مسعدة (من الشمال) ، وإما من الطرق المختلفة المؤدية من حوران إلى القطاع الجنوبى ثم الأوسط (من الجنوب) ، وإما من الطرق المؤدية من دمشق إلى منطقة القنيطرة مباشرة (من الشرق) .

وكذلك يرى الناظر إلى الخريطة ، أن مجال المناورة كان واسعاً جداً ، فالأرض فسيحة . والطرق متوفرة والليل كفيل بالسماح للقوات السورية بإجراء التحركات اللازمة حتى تتم الالتحام مع العدو ، لطرده ، أو وقف زحفه على الأقل . . !

إذن . . فليس للقوات أى عذر فى تركها لمواقعها ، بحجة أنها سمعت بلاغ سقوط القنيطرة . . فظنت أنها قد طوقت . . أو أصبحت مهددة بالتطويق . .

هذا من ناحية . . ومن الناحية الأخرى . . لا بد لنا من التذكير بأننا نوهنا فى فصل سابق ، أن المواقع الدفاعية — كل المواقع — قد حضرت ، لتقوم بالدفاع فى كل الاتجاهات (الدفاع الدائرى) . .

فلو عدت معى أيها القارىء ، إلى فصل (الإعداد المسبق) ، لوجدت أنه لكل سلاح قد جهزت مواقع رمى تكميلية ، وأن الأسلاك الشائكة والألغام قد أحاطت بكل موقع من كل جانب ، حماية له من نقطة ضعف . . وتسهيلا له أن يقوم بالقتال فى أى اتجاه يقع منه التهديد .

إذن . . نستطيع القول : إنه حتى ولو قامت القوات الإسرائيلية بالزحف من القنيطرة إلى باقى القطاعات ، لقتالها من أحد الجوانب أو الخلف . . فإن تلك القوات كان يجب أن تصمد ، وتقاتل . . لأن ذلك من صلب مهماتها . . ولأن أكثر القوات (وخاصة قوات القطاعين الأوسط والجنوبى) قد دربت مسبقاً ، وخلال سنوات طويلة ، على تلك المهمات القتالية المختلفة .

وأخيراً .. علينا أن نضيف ، أن الأوامر المستمرة ، الدائمة التى كانت تلقن لكل عسكرى يدخل الجبهة (الجولان) ، تنص على أن من واجبه الدفاع والقتال حتى الموت . . وأن لا انسحاب مهما كانت النتائج ، فكيف استطاعت الشائعات التى راجت عن أوامر انسحاب أصدرتها القيادة . . أن تفعل فعل السحر فى تلك النفوس المتخاذلة . . حتى تركت مواقعها وولت الدبر ؟ ! . .

ومن كل ذلك . . نستطيع أن نؤكد أن أسباب الصمود والاحتفاظ بالأرض كانت متوفرة ، فالأوامر الدائمة المسبقة بوجوب الدفاع حتى الموت ، وإعداد المواقع للقتال فى كل الاتجاهات ، وتوفر إمكانية المناورة والضرب ضد العدو فى كل أرض ، وإمكانية إمداد ونجدة القوات عبر الطرق المختلفة . . ومناعة التحصين الذى كان قادراً على تأمين حماية كافية ضد الطيران الإسرائيلى . . ووفرة المواد التموينية من ذخيرة وطعام ومواد علاج ، المكدسة فى مستودعات القطاعات والوحدات . .

كل ذلك . . لم تستفد منه القوات ، فما أن سمعت البلاغ المشئوم . . حتى بادرت إلى ترك مواقعها – وحتى أسلحتها ووثائقها – . . ثم أسلمت السيقان للريح . . ميممة شطر إربد وحوران أو دمشق أو لبنان وهى تعتقد أنها لن تبلغ الأمن والسلامة إلا بخروجها من حدود الأرض التى تحمل الصبغة القتالية . . أرض الجولان . .

٦ – الهجمات المعاكسة :

ويبدو لى الآن أن الحديث عنها قد أصبح أقل ضرورة مما كنت أعتقد ، لأن ذلك لا يعدو كونه جزءاً من الحديث عن أعمال القوات ، الذى تعرضنا عنه فى الفقرة السابقة . . .

ولكن ذلك لا يعنى أننا نغفل مناقشة هذا الأمر الخطير . . وخاصة فيما يتعلق بالقيادة العامة وأعمالها . . فإن نحن سلمنا أن القوات المدافعة التى كانت تحتل الجولان ، قد تخاذلت وجبنت فى وجه العدو . . فلماذا لم تقم القيادة العامة بذلك الواجب . . وتبادر هى إلى الزج بالقوى الرئيسية التى تحت قيادتها ، لسد الخرق الذى حصل، ورد القوات المعادية ، أو إيقافها عند حدود ضيقة على الأقل ؟ . .

قد يتصدى متنطع وقح ليقول إن الطيران الإسرائيلى كان مسيطراً على جو البلاد كلها . . وهذا ما يمنع تحرك الوحدات لإجراء الهجوم المعاكس المطلوب . . :

وأفضل رد على مثل هذا الادعاء ، هو أن الذى يقوله . جاهل ، يتحدث بما ليس له به علم . . أو منافق مخادع والغ فى الجريمة . . ويريد صرف الناس عن خطورتها . .

إن من الأسس العامة لقتال القوات ، أن الطيران – مطلق طيران – يكون عاجزاً عن التدخل ضد قوات عدوه فى حالة الالتحام بين الطرفين . .

وإن من أبسط قواعد التحركات العسكرية أن الليل يشكل أكبر عامل مساعد لتحرك القوات خفية عن أعين الرصد المعادى . . كما يقدم حماية كاملة للقوات خلال تحركها على الطرقات . . رغم إمكانية الطيران – أى طيران – استخدام المشاعل والقنابل المضيئة لكشف أعمال العدو أو تحركاته فى منطقة من الأرض . . ولأن ذلك يبقى محدوداً ضمن مساحات معينة ،



بأمثال هذا الـ (...) ، تدعى إسرائيل أنها هزمت « رجال » الجيش السورى ، واحتلت الجولان ، فهل يصـــدق عاقل أن ذلك حق ، وأن « رجالا » مقاتلين كانوا فى ميدان الحرب ، قبالة هذا الـ (. . .) وأمثاله ؟

وفى حدود ثوان أو دقائق معدودات . . وهذا لا يعين الطيران على القيام بهجوم ناجح فى الليل ضد القوات الأرضية . .

ومن المعلوم كذلك أن الطرق المؤدية إلى منطقة واسط — القلع (قطاع الحرق) ، أكثر من أن تحصى . . والقوات السورية تعلم تلك الطرق خير علم . . كما سبق لها أن مارست عليها مختلف أنواع التحركات والأعمال التدريبية .

كان من الممكن إذن للقيادة — لو أنها أخلصت — أن تجرى التحركات اللازمة ، وتدفع بالقوات المكلفة إجراء الهجوم المعاكس ، فى الليل ، حتى تصل إلى خطوط الفتح المقررة لها ثم تقوم عند بزوغ أول ضوء ، بتنفيذ الهجمات المعاكسة المطلوبة . . وبذلك تكون قد حققت واجبها وبقيت فى مأمن من تدخل الطيران ضدها . . !

ولقد سبق أن بينا أن شعبة العمليات أصدرت تلك الأوامر ، وكان اللواء عواد باغ قد تدخل بنفسه لتحقيق ذلك الواجب الكبير . . ولكن ؟ . . لا رأى لمن لا يطاع . . فالسلطة الحزبية قد علت على السلطة القانونية العسكرية حتى فى أسوأ لحظات المصير . . وتطاولت عليها ، ورفض القادة البعثيون تنفيذ تلك الأوامر ، مستندين إلى سندهم وحماتهم فى الحزب المجرم . . وبذلك كان مثل اللواء عواد باغ ، كمثل ضابط عربى يصدر الأوامر لقوات سوفييتية مثلا . . فهل لها أن تطيع ؟ ! . .

٧ — الطعــام :

ثم موضوع الطعام ، ما حقيقته ، وما هو السر الكامن فى اختفائه ، وكيف كان له أكبر الأثر فى وقوع الكارثة ؟

إننا نعلم أنه منذ بداية التوتر ، ومع تصاعد احتمالات الصدام مع العدو ، أخذت مظاهر الاستعداد « الكاذب » لذلك الصدام ، تتلاحق ، وتأخذ صوراً شتى . . حسب كل ميدان من ميادين الاختصاص .

ولقد كان من جملة مظاهر « الاستعداد » . . قصة طعام الطوارىء . . قصة سحبه وما كان لذلك من آثار خطيرة .

ولكى يمكن فهم هذه النقطة ، ومدى خطورة اللعبة الخائنة التى ارتكبتها قيادة الحزب ، لضمان تسليم الجولان ، إلى العدو دونما مطلق مقاومة .

لكي يكون الأمر هذا واضحاً ، نعود قليلا إلى الوراء . . إلى نظام الطعام في الجولان . . خلال عمره قبل نكبته ، ونكبة الأمة بضياعه :

(أ) إن إطعام القوات في الجبهة (الجولان) ، كان مؤمناً بواسطة المطابخ ، التي تؤمن الطعام الطازج في وقته ، والتي كانت منتشرة في الجبهة ، على مستويات مختلفة ومتعددة ، بدءاً من المطابخ الميدانية المتنقلة ، ومروراً بالمطابخ الثابتة للوحدات الصغرى المنعزلة . . حتى مستوى المطابخ الكبيرة التابعة للثكنات والمعسكرات ، التي تضم وحدة كبيرة أو أكثر(١)..

ولكن إلى جانب ذلك . . ومع احتمالات القتال — التي ما وجدت القوات في الجولان إلا لمواجهتها — المختلفة ، والمتعددة الوجوه . . ومع احتمالات انقطاع التموين — لفترات مقدرة ومحسوبة — لجأت القيادة إلى نظام توزيع أطعمة الطوارىء .

(ب) وأطعمة الطوارىء . . عبارة عن أنواع من الخبز (المجفف أو البسكويت) ، الذي يحتوى على غنى مركز بالفيتامينات الحيوية الضرورية ، مع معلبات من لحم البقر ، أو السردين .

هذه الأطعمة ، خصصت للاستهلاك في حالات انقطاع التموين . . وقد حددت الأوامر الحالات التي يسمح فيها باستهلاك أطعمة الطوارىء هذه أو جزء منها . . ثم علق تنفيذ هذه الأوامر (أي مدى انطباقية حالات تنفيذها ، على الواقع اليومي الذي تواجهه القوات) بأوامر خاصة تصدر لهذا الغرض ، من قيادة الجبهة .

إذن . . نستطيع أن نفهم أن أطعمة الطوارىء هذه ، كانت من مواد التموين التي شدد الحرص عليها حتى أصبحت بمستوى الذخيرة من حيث الأهمية . . وهذا معلوم سببه . . لأن الجندي إذا جاع . . يصبح صعباً عليه أن يقاتل .

(ج) وزيادة في الحيطة ، ونظراً لأن وحدة القتال الأساسية التي بنيت عليها مواقع الدفاع في الجولان ، هي « نقاط الاستناد » التي تدافع عنها « سرية مشاة » معززة أو مخففة . . وبسبب من طبيعة الأرض التي تفرض على نقاط الاستناد هذه أن تواجه احتمالات العزل أو التطويق ، خلال الصدام المحتمل . . ونظراً لأن هذه الاحتمالات . . تجعل « آلياً » تلك النقاط

---

(١) سيرد شرح مفصل وممتع لهذا الأمر في كتاب قادم إن شاء الله .

مطالبة بأن تقاتل اعتماداً على قواها الذاتية ، فترة محدودة ، ريثما تتم نجدتها وكسر الحصار المفروض عليها . . لذلك . . فقد زودت هذه النقاط ، بكل احتياجاتها التموينية . . التي تمكنها من القتال (منعزلة) ، فترة من الزمن ، كافية لإعطاء فرصة للوحدات الأخرى ، لنجدتها . . وقد كان أضعف تقدير لهذه المهلة « ٤٨ ساعة » . . وكانت أطعمة الطوارىء من جملة المواد التموينية التي زودت بها تلك الوحدات . . بل ، وزودت بها حتى المواقع والمخافر الصغرى المنعزلة — بغض النظر عن حجم الوحدات المدافعة عنها — . وحتى فى الكثير من النقاط والمواقع . . وخاصة التي كانت تواجه احتمالات الحصار أكثر من غيرها ، بسبب انعزالها أو وعورة الأرض حولها ، مما يسبب تأخر نجدتها . . حتى فى تلك المواقع . . لم تترك أطعمة الطوارىء لدى قيادات السرايا أو قيادات تلك المواقع . . وإنما وزعت على المستويات الصغرى ضمنها . . حتى بلغ التوزيع فى بعض الأمكنة مستوى الفرد . . حيث كنا نجد بعضاً من تلك المخافر والمواقع . . وقد زود الأفراد فيها بكل احتياجاتهم من الذخيرة والطعام (للطوارىء) ليواجه القتال منفرداً . . مع الاحتفاظ بنسبة معينة من هذه المواد التموينية ، تحت تصرف القائد — على كل المستويات — ليتصرف به حيث تدعو الحاجة .

(د) وحرصاً على بقاء هذه الأطعمة دوما بحالة ممتازة ، وخوفاً من فسادها وتلفها . . . فقد لجأت القيادات المتعاقبة إلى نظام رائع باستبدالها . . . وكانت الأوامر الدائمة قد حددت ذاك النظام كما يلى :

١ — خصصت أياماً معينة من كل شهر ، يكون فيها طعام القوات ، جافاً ، وتقوم الوحدات بالحصول عليه من مخزونها من أطعمة الطوارىء (حسب الجعالة القانونية المقررة) .

٢ — تقوم أجهزة الشئون الإدارية فى الوحدات ، بتعويض ما استهلك فوراً (وفى اليوم نفسه وأحياناً بصورة مسبقة) ، بغية الحفاظ على مخزون الوحدات من هذه الأطعمة متوازياً مع مخصصاتها القانونية — وحسب التعداد.

ويكون هذا التعويض للوحدات ، دوما من مخزون القيادات فى مستودعاتها .

٣ — تقوم القيادات — فى الوقت نفسه — بتعويض ما استهلك من

بمخزونها ، بواسطة وحدات التموين المختلفة ، وأحياناً – وحال الاضطرار – من الأسواق ، وذلك لبقاء مخزون المستودعات متوازياً بصورة دائمة .

هذا ، . . . مع لفت الانتباه إلى أنه كان يؤخذ دوماً بعين الاعتبار في عملية الاستهلاك والتعويض ، الترتيب الزمني لاستقدام هذه المـواد وخزنها . . . وأحياناً وقت صنعها – في بعض المعلبات التي كتب عليها تاريخ التعبئة .

هذا النظام هو الذي سارت عليه الوحدات وقياداتها المتعاقبة . منذ إنشاء الوضع الدفاعي في الجولان ، وحتى الأيام الأخيرة التي سبقت النكبة . . .

فني تلك الأيام . . . وبالتحديد منذ حوالى ثلاثة أسابيع قبل الحرب أصدرت قيادة الجبهة (قيادة أحمد المير . . البعثي) ، أمراً بسحب جميع أطعمة الطوارىء . . بحجة استبدال أطعمة جديدة بها . . . (وهذا وضع انفردت به قيادة البعث بين جميع القيادات المتعاقبة) . . . وبذلك مرت الأيام الأخيرة التي سبقت الحرب . . . دونما تزويد للقوات المدافعة بأي نوع من أطعمة الطوارىء ، واقتصر تزويدها بالطعام على الأسلوب اليومي المعتاد في تأمين الطبخ الطازج .

ومرت الأيام تشعر بقرب الصدام يوماً بعد آخر . . . وأطعمة الطوارىء الجديدة – التي ادعت قيادة البعثيين إنها ستقدمها بدل الأطعمة السابقة – ، لم تصل إلى الوحدات . . . حتى وقعت الواقعة . . . وحصل الصدام . . . وقام الطيران الإسرائيلي بقصفه المركز المنهك على قوات الجبهة . . . مستهدفاً في حملة أعماله ، المستودعات ، ومراكز التموين . . ، وأماكن الطبخ ، وآليات التموين المتحركة على الطرقات . . . فانقطع بذلك مورد الطعام الوحيد عن القوات . . . وبقيت طيلة أيام ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، حزيران . بلا طعام ولا ماء . . . إلا ما استطاع العسكريون فرادى ، الحصول عليه ، إما من قرى مجاورة ، أو من بقايا المخزونات (سابقاً) في مستودعات السرايا والوحدات الأمامية .

هذا عن قوات الوضع الدفاعي . . . الموجودة في الجولان . منذ ما قبل الحرب بزمن طال أو قصر . . .

أما قوات الهجوم (المزعوم) . . . فلقد كان الأمر لا يقل سوءاً إن لم يكن أسوأ . . .

نحن نعلم . . . أن من جملة ما يزود به كل مقاتل فى الهجوم ، طعام جاف يكفيه لمدة - ٢٤ - ساعة . . . على أن تتكفل وحدته بأن تؤمن له بعدها وجبة واحدة على الأقل طازجة (ساخنة) ليستطيع الاستمرار فى عمليات القتال المنهكة . . .

ولكن القيادة البعيثة ، زجت بالألوية الاحتياطية فى واجب هجومى ، (مزعوم) . . . وحركتها لاحتلال قواعد الانطلاق تمهيداً لهجومها — (الدجال) . . . دون أن تزودها بأى نوع من أطعمة الطوارىء . . . بل استمر تأمين الطعام حتى صباح ٥ حزيران ، بالأسلوب نفسه الذى كانت به تؤمن أطعمة باقى الوحدات . . . ولكن ما أن ابتدأ القتال . . . وبدأ القصف الجوى المركز على هذه الوحدات وغيرها . . . حتى انقطع التموين .. وأصبح حال القوات كحال أختها السابقة التى شرحنا عنها . . . وأصبح الجميع فى الجوع والظمأ والتعرض لقصف الطيران الإسرائيلى ، سواء .

وهنا . . . يكمن أحد الأسرار المذهلة . . . التى تعطى تفسيراً عن السهولة التى دخلت بها قوات العدو ، أرض الجولان المنيع . . دونما مقاومة تذكر . . .

ذلك . . . أن بقاء القوات فى ذلك الوضع الغريب الشاذ . مدة تزيد عن أربعة أيام مع الليالى . . . ، فى حال مريع ، من الجوع ، والظمأ ، إضافة إلى سوء التدريب ، وسوء التعبئة ، وفقدان السيطرة لدى القيادة ، وفقدان الاتصالات ، . . . إضافة إلى الخسائر التى تنزل بها كل يوم من تلك الأيام ، بفعل الطيران المعادى . . . والخيانات التى أخذت تصفى جيوب المقاومات الباسلة من خلفها . . .

إن ذلك كله . . . جعل القوات مشلولة عاجزة عن اتخاذ أى موقف جدى حازم ضد قوات العدو ، لذلك ما أن بدأت الشائعات تسرى عن أوامر الانسحاب . . . حتى بدأ الهرب المذهل المخزى . . . على نحو فصلناه فيما سبق وأعطيناه حقه من الشرح والتوضيح . . . ثم ساهم فى التعجيل بالكارثة البيان الفاجر . . . عن سقوط القنيطرة . . . المزعوم .

ولقد رأيت بعض الذين كانوا فى تلك الأيام هناك . . . وعاشوا المأساة

على مسرحها ، وكانوا من ضحاياها . . . ويا لهول ما وصفوا . . . ويا لهول ما لاقوا . . .

ولن أطيل في وصف ذلك الهول . . . ولكن يكفي أن أنوه فقط ، بأن أكثرهم أكل من أعشاب الأرض وخشاشها . . وأن قسماً منهم سطا (نعم سطا يسطو سطواً) على بعض القرى أو البيوت . . والقسم الآخر كان يطرق الأبواب (حتى في دمشق) ، بذل وانكسار ، يطلب ، رغيفاً من الخبز ، يقيم به أوده ، في وقت كانت الرتب تحلي الكتف أو الذراع ، واللباس العسكري مازال يستر الجسد والرأس . . . الذي لم يبرز منه إلا الوجه بعد أن غطت اللحية معظمه ، أو شوهته الحروق ، وغطاه تراكم الدخان والغبار مجبولين بالعرق والدم . . .

٨ ـ الخسائر :

ونعود مرة أخرى إلى الخسائر ونبدأ بالحديث عن الأنفس . . . لأن الذي ثبت أن الخسائر فيها كانت قليلة لا توازي الربح الذي حصل عليه العدو ، باحتلال الجولان .

إن احتلال الجولان ، لو تم بعد قتال صحيح ، حقق فيه الطرفان أقصى الجهود ، لفوز كل منهما بهدفه وإنجاز مهماته . . . لكان اليوم كل من حشد من القوات الدفاعية للجيش السوري ، بين قتيل وجريح وأسير ، ولكانت الخسائر لدى الطرف الآخر ـ العدو ـ تبلغ ضعف الخسائر السورية إن لم تقل أكثر . . .

فالأوامر الصريحة بوجوب التشبث بالأرض ، إضافة إلى متانة التحصين ، وكثرة الموانع . . . ، يقابلها في الطرف الآخر ، إصرار لدى العدو على تحقيق أهدافه ، تعززه إمكانات نارية هائلة كان أهمها الطيران الذي عمل بحرية ودقة . . . !

إن هذا وذاك . . . لو أنه جرى فعلا كما كان يجب أن يجري . . لغطيت أرض الجولان بالجثث ، تزيد على ما دمر من سلاح وعتاد ، ويا ليت ذلك حصل . . . إذن لكانت خسارة الأرض أقل فجيعة منها الآن . . . ففي ذلك عزاء كبير . أن العدو لم يحتلها بسبب جبن القوات وتآمر قادتها ... !

ولكن هل ذاك يكفي ، ... وهل يريح النفس أن نقول إن القوات قد انهزمت من وجه عدوها ، ولم تؤد واجبها ؟ ...

إن ما يلفت النظر ، هو أن القوات الإسرائيلية ، قد ظفرت أكثر من مرة بتجمعات من القوات الهاربة ، أو بأرتال مشوهة متجرجرة تسحب أذيال الخزى والعار فى رحلتها هروباً إلى أرض « الأمان » ... : فلماذا لم تقم بالفتك بهذه القوات الهاربة ؟ .

هل هذا نبل من العدو . . . أن لا يفتك بقوات محطمة مشردة بعد أن ألقت سلاحها وغادرت مواقعها مولية الدبر ؟ . . .

إن تصرف العدو هذا . . . يثير التساؤل حقاً ، ويستحق وقفة فاحصة ، للتعرف على الأهداف اللئيمة التى كان العدو يرميها بعمله هذا . . .

وقبل أن نحاول التعرف على تلك الأهداف . . . ومقدمة تقود إلى التعرف المقصود . . . نؤكد أن موقف العدو من تلك القوات ، لم يكن أصيلا فى طبعه ، وإنما كان جزءاً من مخطط ذى أهداف بعيدة . . .

ذلك أن العدو . . . يقوم كل يوم فى داخل الأرض المحتلة بعمليات الإبادة والتهجير ، ضد كل الآمنين العزل ، ويوقع فيهم أشد أنواع الإرهاب والوحشية . . . مما لم تعرف له الإنسانية مثيلا إلا فى سجون حزب البعث العربى الاشتراكى . . . ، شريك العدو . . . والمنفذ الأول فى المؤامرة .

ونحن نرى كل يوم ، ونسمع فى اليوم مرات كثيرة . . . عن الوحشية والعنف اللذين يمارسهما العدو ، ضد أية وحدات أو أفراد من الفدائيين ، حين وقوعهم فى قبضته . . . كما أننا ما زلنا نذكر بأوضح ما تكون الذكرى . . . وحشية العدو وحقده فى القدس والكرامة وقلقيلية ، وإصراره على إنزال أكبر الخسائر بالأرواح ، قبل الممتلكات والعتاد . . .

فلم إذن كان ذاك الموقف العجيب ... الذى وقفته وحدات العدو من القوات السورية الهاربة الهائمة على وجهها فى الاتجاهات الأربع وتفرعاتها؟؟

إننا لا نجد لذلك إلا تفسيراً واحداً ، تتفرع عنه أهداف عديدة ، قصد إليها كل من العدو الإسرائيلى ، والحزب البعثى . إن التفسير الوحيد لذلك الموقف . . . هو أن العدو — حين وضعت خطة تسليمه القنيطرة ، — قد قام بإعطاء تعهدات والتزامات مؤكدة ، بأن قواته « الظافرة » لن تتعرض إلى الأشخاص ، شريطة أن تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بسوق هؤلاء الأشخاص ، (ويشكلون بمجموعهم الوحدات المقاتلة) إلى إلقاء السلاح والفرار من وجه القوات العدوة المهاجمة . . .

. . . لقد نفذ العدو التزامه كأدق ما يمكن أن ينفذه آخر سواه . . . وسلم الأشخاص من حقد القوات اليهودية . . ، فكانت الخسائر من القلة بحيث لا يليق ذكر عددها ، نسبة إلى ضخامة الخسارة التي وقعت في السلاح والعتاد والأرض ، . . . ونسبة إلى ما كان يجب أن يدور على تلك الأرض من قتال . . ! .

ولكن العدو المعروف بغدره ، ونكثه المواعيد والمواثيق ، وخيانة العهود وضرب الحائط « وغيره » بالالتزامات التي يعطيها ، ماذا كان يهدف من حفاظه على التزاماته هذه حتى نفذها بدقة وأمانة ؟

هذا ما سنحاول تقصيه من خلال ما نعرف عن حزب البعث وإسرائيل ، كعدوين لئيمين يكيدان لهذه الأمة في دينها ومستقبلها . . !

(أ) إنه لم يسبق أن جاء حكم إلى سوريا ، قادر على تخريبها وتحضيرها لتقبل غزو العدو الإسرائيلي مثل حزب البعث ، . . . وقد بينا ذلك في كثير من الإشارات العابرة أو المفصلة إلى هذا المعنى وأثبتناه . . .

(ب) ونتيجة منطقية لهذا . . فإن العدو الإسرائيلي ، لا ولم ولن يكون أحد أشد منه حرصاً على تثبيت حزب البعث في مواقع الحكم . . . ثم مساعدته للامتداد حتى يشمل خطره كل جزء يشكل تهديداً — عاجلا أو على المدى البعيد — ، للوجود العدواني الإسرائيلي الغريب .

(جـ) وإذا ما قام العدو بتدمير القوات ، وإلحاق خسائر في الأرواح كبيرة . . — خلافاً لما قدم من التزامات مسبقة — ، فإن لذلك نتائج خطيرة على مخططات العدو للمستقبل ، وأهم هذه النتائج الخطيرة تقع في :

أولا : إن حزب البعث لن يعود يثق بالعدو الإسرائيلي ، وفي ذلك خطر كبير على مستقبل العلاقات بينهما ، وإذا خسر العدو مثل هذه الهيئة ، فإن من الصعب عليه أن يحصل على أخرى مماثلة لها إلا بعد إعداد وجهود مضنية طويلة قد تثمر ، وقد لا تعطي إلا النتائج المعكوسة .

وثانياً : إن الخسائر الكبيرة في الأرواح ، ستجعل معظم عائلات سورية منكوبة موتورة ، بمعدل قتيل أو أكثر في كل عائلة . . . وفي ذلك ما يشكل أكبر الخطر على وجود الحزب الحاكم ، لأن الجماهير المنكوبة بأبنائها . . لا تستطيع نسيان تلك الجراح بسهولة ، فتصبح سهلة الانقياد لكل داع

يدعوها إلى إسقاط حزب البعث الذى تعتقد أنه سبب كل نكباتها ومحناتها ... والتى توجت أخيراً بمحنة حزيران العار .

وثالثاً : إذا تم تدمير تلك القوات وتشتيتها ، فماذا يبقى لحزب البعث ليحمى نفسه من غضبة الشعب المنكوب ؟ . .

إذن ، لا بد من الإبقاء على الوحدات سليمة ، شريطة أن تلقى سلاحها وتفر خارج الأرض التى يريد العدو استلامها . . . وليقم بعد ذلك حزب البعث ، بإعادة تسليحها ليحمى نفسه ويثبت حكمه . . .

(د) إن عودة القسم الأكبر من القوات ، سالماً ، بعد أن رأى فظاعة القصف المعادى ، وذاق أهوال الحرب ، ثم استمتع بلذة النجاة . . . فإن لهذا نتائج تفيد العدو على المستقبل البعيد وتقع فى :

أولا : قدرة هذه القوات الهاربة على إشاعة روح الجبن والذلة والرعب من الحرب بنشرها بين سكان البلاد أخبار الحرب ، وأهوال القتال . . . ومع ما يرافق ذلك عادة من مبالغات وتهويل ، ينسجها خيال الجبان ، ليبرر — بصورة غير مباشرة — ، أمام سامعيه وناظريه فراره وتركه مكانه مولياً دبره.

وثانياً : استعداد هذه القوات نفسها . لتكرار الفرار والهزيمة فى أى صدام مقبل مع العدو على غرار ما حدث فى سيناء ، خلال عامى ١٩٥٦ ، و ١٩٦٧ ... وهذا لعمرى من أهم ما يحرص العدو عليه . . . ويسعى لتحقيقه .

وثالثاً : ستبقى هذه القوات فى موقف ضعيف تجاه قيادتها . . . التى ستبقى تهددها بالجزاء والعقاب على الفرار . . . فتضطر للاستمرار فى الخنوع الذليل للقيادة المتآمرة ، وتستمر هذه فى تنفيذ ما يرسم لها من أدوار ومراحل عمل جديدة . . .

وأما عن الأسلحة والعتاد . . . فقد كانت الخسائر فيها كبيرة جداً . . . ولكن الذى يلفت النظر ، أن الخسائر وقعت ضمن حالتين لا ثالث لهما :

١ — الحالة الأولى : وتشمل الأسلحة التى دمرت نتيجة القتال ، سواء منها ما دمرته الاشتباكات مع قوات العدو ، وما دمره قصف الطيران والمدفعية الإسرائيليين . . . وفى كل منهما . . . كانت الخسائر ذات قيمة خطيرة . . . ولكن هذا أمر طبيعى ، لا يحزن ولا يستحق منا أن ننفق شيئاً من الوقت وغيره فى الأسف عليه . . .

٢ ـ الحالة الثانية : وتشمل السلاح والعتاد الذى ترك سليماً على أرض الجبهة . . . فاستفاد منه العدو أو سرقه المهربون ، أو أكلته عوامل التلف الأخرى . . .

هذا النوع من الخسائر ، هو ما يستحق الوقوف عنده لكشف الجرائم التى ارتكبت بحق الشعب المسكين المغلوب على أمره .

. . إن من أهم المبادىء التى يتعلمها كل عسكرى حتى تصبح جزءاً من حياته اليومية . . وجزءاً من ردود فعله الطبيعية عند حلول وقتها . . . هو أن من واجب القوات ـ أية قوات ـ تدمير كل سلاح وعتاد لا تستطيع إنقاذه ، حين تشعر أن الوضع أصبح يقضى بالانسحاب من موقع تتمركز فيه . . . وذلك حرصاً على عدم السماح للعدو بالإفادة منه . . .

ولقد كان أمام القوات التى انهزمت من الجولان متسع من الوقت ، لسحب أسلحتها وعتادها . . . أو تدميرها إذا هى شعرت أن الطيران الإسرائيلى لن يتيح لها حمل ذلك السلاح والعتاد . . .

فلماذا تركت الأسلحة والعتاد . . . فى القسم الأعظم منها ، هكذا . . . للعدو ليقوم بجمعها وتشكيل وحدات كاملة من جيشه مزودة بأسلحتنا هذه؟..

لا بد من إجابة يطالب بها يوماً ما ، المسئولون عن تلك القوات ، وخاصة الضباط . . . لأن هذا يقع فى دائرة واجباتهم خلال أعمال الانسحاب . . .

ومثل هذا . . . يقال عن المستودعات . . وخاصة مستودعات الوقود والذخيرة .

إن تدمير مثل هذه المستودعات ، لم يكن يحتاج لأكثر من يد لا ترتعش ، تقوم باشعال فتيل معد مسبقاً لمثل هذه الساعة ، ثم تنسحب . . . فتترك تلك المستودعات خراباً لا يجنى منه العدو مطلق ربح . . . ، ولكن تلك اليد ، افتقدت فى ساعة الحرج .

وغابت فى اللحظة التى تعين عليها فيها الحضور لأداء الواجب .

ويبقى فى موضوع نقاشنا للخسائر ، **الآليات** .

الآليات بكل أنواعها ، بدءاً من عربات الجيب وانتهاء بالدبابات الثقيلة ، مروراً بالشاحنات ذوات الأحجام المختلفة ، وعربات نقل الجند المدرعة . وقاطرات المدافع ، وحاملات الدبابات . . .

هذه الآليات ، كانت تشكل الثروة الآلية للجيش . . . فدمرت .

ولكن لماذا ؟ . وما أسباب حرص العدو على أن لا تفلت منه إحداها ؟ .

وماذا كان على سائقيها وقادتهم أن يفعلوا للحيلولة دون أن يشملها التدمير بكاملها . . . ؟

وهل كان يمكن إنقاذ شيء منها ، وإفلاته من قبضة الطيران الإسرائيلي؟...
هذا ما نحاول الإجابة عليه .

— إن حرص العدو على تدمير كل القوة الآلية للجيش لا يخرج عن حدود مخططه العام لتدمير الطاقات الفعالة فى البلاد العربية . . . وشل إمكاناتها ، وإلحاق أكبر ما يمكن من خسائر باقتصادها . . .

إن تدمير تلك الثروة الضخمة من الآليات التى كان يملكها الجيش ، يحمل فى أحشائه إصراراً لئيماً على إنهاك الشعب بالضرائب والتكاليف . . .

إن من الطبيعى . أن تلجأ القيادة — أية قيادة — إلى تعويض ما خسرته فى الحرب ، وهذا بدوره يحمل الحكومة نفقات هائلة لا مورد قادر على تغطيتها إلا ما فى البلاد من موارد ، وما فى أيدى الشعب من طاقات للبذل ، فتفرض الضرائب الجديدة ، ويطالب الشعب بمزيد من التضحيات .

وما دامت القيادة المعنية هى حزب البعث ومتسلطوه على الحكم .. فإن ذلك يعنى — استنتاجاً — إن مزيداً من الإذلال والإرهاق سينزل بالشعب كله ، وفى هـذا ما يحقق المزيد من إلهاء الشعب بقوت يومه .. عن التفكير بقضاياه الكبرى . والمبادرة لممارسة مسئولياته فى علاجه ... !

هذا من جانب العدو ، وحزب البعث ...

ولكن ما الذى كان من جانب القوات نفسها من أسباب التدمير ذلك ؟!

إن الفوضى التى دبت فى القوات .. وسوء استخدام الطرق والأرض وإصرار القادة على تحريك الأرتال فى ظروف سيئة حقق فيها العدو أقصى تفوق فى الجو ، . . . ثم روح الهزيمة التى سيطرت على الجميع ، والتسابق للخروج من حدود الجولان فراراً من الموت والدمار ... هذا كله كان السبب الأكبر فى نزول الخسارة الماحقة تلك . .

إن من أهم مبادىء الدفاع السلبى ضد الطيران ... التى تتعلمها كل القوات خلال حياتها ... ، ويؤكد فى تلقينها وتعليمها — بصورة خاصة — على الضباط والسائقين ، والمسئولين عن تنظيم حركات النقل ...

إن من أهم هذه المبادىء هو مبدأ انتشار الآليات .

إن انتشار الآليات ... يعنى لكل مسئول عن حماية القوات ... وبالنسبة للآليات ما يلى :

١ — بخصوص الآليات المتوقفة ... ، فإن ذلك يعنى ويوجب نشرها ضمن أكبر مساحة ممكنة من الأرض ... مع الإفادة من كل ما فيها من انحناءات وتضاريس ، تقلل من إمكانية انقضاض الطائرات ... وتزيد من فعالية الأسلحة المضادة لها ، شريطة أن لا يسبب الانتشار ، فقدان

سيطرة القادة على تلك الآليات ...

٢ - وأما بخصوص الأرتال المتحركة ... فإن واجبها يقضى عليها حين تتعرض للهجمات الجوية ، أن تزيد الفواصل بين الآليات والوحدات ... وتزيد سرعتها ... وتحاول استعمال الطرق الفرعية أو الأرض على جانبي الطريق .. ، .. كل ذلك من أجل التقليل من تأثيرات الانقضاضات التى تقوم بها طائرات العدو ...

٣ - إضافة إلى كل ذلك ... فإنه علينا أن لا نغفل ما كان على تلك القوات من واجب التمويه والإخفاء وخاصة بالنسبة للآليات المتمركزة ...

فهل حصل من ذلك شيء ..

إن النتائج التى حققها الطيران الإسرائيلى ... تدل بوضوح ودقة . على أن تلك المبادىء لم تطبق أو طبقت ولكن بشكل هزيل سخيف ... حتى بلغت الخسائر ذاك المبلغ الهائل .

واستناداً إلى ما لدينا من معلومات عن الذى وقع . واستناداً إلى ما نعرفه من طبيعة الأرض - وخاصة فى مناطق الجولان وما حولها من أرض سورية - فإننا نؤكد أن تلك المبادىء والأسس كانت بعيدة من المسئولين عن الوحدات وآلياتها ... ، بعد السماء من الأرض ...

إننا نؤكد أن الأراضى تلك كانت قادرة على إخفاء القسم الأعظم من الآليات ، بما تحويه من انحناءات وتلال ومناطق مشجرة ... لو أن المسئولين عن الآليات وقادة الوحدات ، استطاعوا أن يمالكوا أنفاسهم ، ويسيطروا على السائقين ...

إن واجب أولئك القادة ، كان يقضى عليهم إجراء التحركات كلها فى الليل .. ، بسبب انعدام الحماية الجوية لها ، ، ومن ثم ... الانتشار والتمركز فى النهار ... مستفيدين من كل إمكانية تقدمها الأرض للاختفاء ... ومضيفين إلى ذلك ما يقضيه واجبهم من أعمال التمويه .

إن الذى سجلته عدسات التصوير ، وأفلام السينما والتليفزيون ، وما نشرته الصحف الإسرائيلية والأجنبية ، عن خسائر الجيش السورى فى الجولان ، يثبت - مع أشد الأسف - أن كل الخسائر الآلية تلك ، قد وقعت على الطرقات المختلفة ، ولم يكن على الأرض خارج الطرق ، من الخسائر إلا ما يعادل من الجمل أذنه !

فما حيلتنا بعد ذلك كله ، مع جيش المراهقين .. جيش الجهلة ... الجيش الذى أثبت أنه أسوأ وأجبن المؤسسات التى أنفق عليها الشعب ثلثى موارده خلال عشرين عاماً ... ليحميه من خطر آت عبر الحدود ... فأسلمه لذاك الخطر ، وأسلم « شجعانه » السيقان للريح ؟! ...

الخلاصة

.. وبما أن عهد تسليم مفاتيح الممالك أو الدول أو البلاد قد ولى . وأصبح من مظاهر الخور في العصور القديمة(١) . . !

وبما أن التآمر والتواطؤ ، قد بلغ مستويات رهيبة من الدقة والشمول والإخفاء ، والتمويه عن أعين الشعوب . . !

وبما أن أجهزة التآمر والغدر ، تملك القدرة العجيبة على التضليل . وإخفاء حقائق الأحداث ، وكوامن الدوافع إليها ، وإلباسها صوراً شتى متقنة الصنع ، من الزيف الدعائي المضلل ، الذي يهدف تمويه المؤامرات .. وإظهارها للناس على أنها ملاحم بطولات ... !

وبما أن حزب البعث .. قد بلغ مرحلة التفوق بين الأحزاب والهيئات العميلة ، في التضليل الوقح . والقدرة على مجابهة الناس العارفين حقائق الأمور ، بوجه صفيق لا يعرف معنى الخجل .. ثم يلح على أن أعماله كانت غاية في البطولة والأمانة ونبل القصد ، وسلامة النية . . !

لكل ذلك .. وغيره أكثر منه .. نقول : أن مؤامرة تسليم الجولان . ما كان لها أن تنفذ بشكل فج وقح مفضوح .. بأن تسحب القيادة جيشها سلفاً أو بعد قتال صوري ، وهو في كامل عدته وقواه .. ثم تقول للعدو ، أقبل واستلم حصتك من الصفقة ..

---

(١) على غرار تسليم مفاتيح غرناطة إلى الأسبان على يد آخر ملوك بني الأحمر ، أبي عبد الله الصغير . والطريف في الأمر ، أن عملية تسليم المفاتيح لم تنقرض ، بل تحولت إلى تقليد احتفالي يطبق في احتفالات الاستقبال أو التكريم .. وذلك بتقديم مفاتيح المدينة ، أو الولاية ، أو المقاطعة ، أو . . أو . . إلخ ، (وهي مصنوعة عادة من الخشب أو الحديد أو حتى الذهب) إلى الشخص المحتفى به ، وذلك رمزاً للتكريم والحفاوة .

ومن أطرف ما ترينا إياه هذه الأيام ، أن مفتاح مدينة واحدة ، أو مقاطعة أو . . إلخ ، قد يعطى لأكثر من شخص واحد ، في أكثر من مناسبة تكريم .

وآخر مظهر عشناه من هذه المظاهر ، هو تقديم مفاتيح مدينة القدس ، في الفترة الأخيرة ، إلى السيدة « فيروز » المغنية المشهورة ، وذلك عرفاناً من « لجنة القدس » بالجميل ، تقديراً لهذه المغنية ، التي « خدمت » قضية القدس بأغانيها أكثر مما « خدمها » كثيرون من السفراء والوزراء والمسئولين العرب . . ! ! ؟

إن هذا لا يمكن أن يحدث ، وبهذه الوقاحة ..

غير أنه حدث .. وكانت الصورة التي حدث بها .. أكثر لؤماً ، وأدق حبكاً .. وأبرع في التضليل والخداع .

ونظراً لهذا كله الذي ذكرنا .. فإننا نقول أن مؤامرة تسليم الجولان قد نفذت بواسطة سلسلة من الإجراءات.. اتخذها حزب البعث ، ليضمن وضع البلاد كلها ، شعبها وجيشها وكل ما فيها من إمكانيات .. على شفا الهزيمة المحققة .. وبأعمال نفذتها القيادة البعثية .. لتكفل بها عجز الجيش ، والشعب من ورائه ، عن التصدي للعدو بقوة وضراوة فكان ما كان من هزيمة ، وكانت النكبة .

ونستطيع أن نلخص الأعمال التي أقدم عليها حزب البعث – متواطئاً – ليكفل الهزيمة للأمة كلها ، ولسورية خاصة .. بالأعمال التالية :

(أ) أعمال وإجراءات كبيرة على مستوى الأمة العربية :

١ – السعي بكل طريقة ، وبكل وسيلة ، وفي دأب لا يعرف الكلل ، **لتوريط المنطقة العربية كلها ، في حرب غير متكافئة مع إسرائيل ،** تحدد هذه الأخيرة توقيتها وميادينها وحجم الأرباح التي يجب أن تجنيها منها ، وكان ذلك .. في حرب المؤامرة (حرب حزيران العار) .

٢ – التهرب من كل عمل يهدف إلى توحيد الجهود العربية ، لصد خطر العدو ، ونسف كل محاولة قامت بها الجامعة العربية ، أو بعض دولها .. **لإنشاء قوات مشتركة ، أو قيادة مشتركة** تعطى الصلاحيات والقدرة على التصرف بحرية تامة ، بكل ما تحت قيادتها من إمكانات .

٣ – تسميم الجو العربي – حتى بين الشعوب العربية – بسموم الحقد والخلافات التافهة التي أورثت فقدان الثقة ، وعمقت في القلوب أحقاداً لا يغسلها إلا الدم .

٤ – ورغم اندلاع الحرب التي سعى الحزب إليها حتى بأظافره وأنوف **قادته** .. ورغم مطالبة القيادة الأردنية باشتراك الطيران السوري مع طيران الأردن في قصف المطارات والقواعد الإسرائيلية ، خلال عودة الطائرات المعادية من هجومها على مصر (صباح ٥ حزيران) ، وهي مجهدة ، وقد نفد منها الوقود والذخيرة .

هذه المطالبة التي كررتها القيادة الأردنية أكثر من ثلاث مرات .. **وفي كل مرة كان الحزب يتهرب** ويدعي أعذاراً واهية غريبة .. **حتى أتاحت**

بتلكوئها هذا ، لطائرات العدو أن تتزود من جديد بالوقود والذخيرة ، وتستعيد سيطرتها المطلقة على سماء الحرب .

٥ – ورغم كل تبجحات المسئولين فى حزب البعث ، وخاصة فى طبقة الحكام منه .. عن قواهم وطاقاتهم وقدراتهم وإمكانياتهم . .

ورغم كل ما أطلقوه من تهديدات لإسرائيل ، بالتدمير ، والطرد ، والإذلال و .. الخ .

ورغم اندلاع الحرب ، وانشغال القوات الإسرائيلية بكل ثقلها فى جبهة سيناء والضفة الغربية .

ورغم بروز الفرصة التاريخية لجيش سوريا ، **بالقيام بخرق سريع للقسم الشمالى من فلسطين ، كان – لو نفذ – قادراً على تحويل وجهة الحرب نحو النصر ، أو الاقلال من حجم الكارثة . .**

رغم كل ذلك .. فإن سوريا **(حزب البعث) ، قد تأخرت عن الاشتراك الفعلى فى الاشتباكات مدة ٢٢ ساعة** ، كانت حاسمة فى تاريخ أمتنا الحديث .

٦ – ورغم كل ما أصاب البلاد المنكوبة من بلايا ، وخسائر ، وهزيمة نكراء ، استمرت أجهزة الإعلام البعثية **بإذاعة البلاغات الكاذبة عن « انتصاراتها »** – الدونكيشوتية – ، مما كان له أكبر الأثر فى ترك المواطن العربى فى كل مكان **مشلول التفكير** ، **عاجزاً حتى عن تصور حقيقة الأحداث** ، حتى ما كاد يتوقف القتال ، لتنجلى أنباء الكارثة ، **فوقع** العرب أجمعون فى ذهول المفاجأة .. ولولا عناية الله ، لكان ممكناً جداً فى تلك الأيام أن تحصل إسرائيل على ما تريد من فرض شروط الغالب على المغلوب « نحن » .

(ب) أعمال وإجراءات على مستوى الدولة فى سوريا :

١ – **تسريح الجيش ، وإبداله بجيش غير اختصاصى** ، وغير مدرب وغير متماسك ولا متمازج .. كانت فيه السيطرة الحقيقية للانتماء الحزبى ، وفى وسطه بؤرة من الانتماء النصيرى (الطائفى) المتعصب .

٢ – **تدمير الاقتصاد فى البلاد** ، وتشريد رؤوس الأموال والخبرات الاقتصادية والمالية ، حتى عادت سوريا فى اقتصادياتها وسمعتها المالية الدولية عشرات السنين إلى الوراء .. إلى ما قبل عهد الاستقلال .

٣ – تشريد كل الطاقات الفعالة المنتجة ، وكل الكفاءات العلمية والفنية (التجارية والصناعية والزراعية) حتى اضطر كل أصحاب هذه

الكفاءات إلى الهرب من بلادهم ، والتفرق فى أرجاء المعمورة ، طلباً للأمن (وليس طلباً للربح) . . وبذلك وضعت قيادة البعث ، البلاد **على حافة الحرب . . وهى فى شبه إفلاس كامل .**

٤ — **عدم إعلان التعبئة العامة** ، ومواجهة الحرب باحتياط جزئى غير مدرب ، وترك القوى المدربة ذات الفعالية الممتازة ، مشلولة مقيدة ، ترى بأعينها الفاجعة ، ويذوى شبابها وهى لا تملك الدفاع عن حدود البلاد ومقدساتها .

٥ — **تصنيف سكان البلاد إلى مواطنين من فئات متدرجة** ، مما ساهم فى تمزيق أواصر المجتمع ، وأشعر الفئات التى عوملت بظلم أنها دخيلة على الوطن ، ففقدت حماسها للدفاع عنه .

٦ — **شن الحرب الضارية ، وبكل الوسائل القذرة ، على عقيدة الأمة وإيمانها** (وخاصة شعب سوريا) **وتربية جيش تافه فارغ الفكر والقلب** ، فكان منه ذلك الموقف المتداعى فى وقت يطلب فيه الصمود .

٧ — **خنق الحريات ، وملاحقة رجال الفكر ، وحملة الأقلام ، واستئجار طبقة من أشباه الكتبة ، وأنصاف المثقفين** ، يروجون للضلالات والعمايات فى حين عزل المفكرون المخلصون عن ميدان الحرب .. فكان وجه من أوجه النكبة .

٨ — **إشاعة الفوضى والانحلال فى الأخلاق ، وتشجيع السفلة على الاجتراء على مقدسات الشعب ، ومعتقداته** — وهذا من طبيعة كل حكم يقوم على الطغيان — فى ظل حماية الدولة ، وفى صور شتى . . تراوحت بين التهتك والفجور فى سلوك طبقات معينة يرعاها الحزب ، وعلناً على مرأى من كل الشعب .. ومروراً بالبرامج والمقالات والأغانى والحفلات التى يرعاها الدولة وتنشرها أجهزتها الإعلامية ، الرسمية وشبه الرسمية . . وانتهاء بمفاخرة القادة والحكام والضباط بل وحتى رئيس الدولة .. بسلوكهم الفاجر ولا أخلاقيتهم ، التى بها يحكمون (فى كل شأن من شئون الحكم) ..

وليس أبلغ فى الدلالة على هذا من مقالة تبجح بها واحد من رؤساء الدولة البعثيين (الفريق أمين الحافظ) أمام مؤتمر صحفى ضم مندوبين عن وكالات الأنباء وعدد من الصحف المنتشرة فى العالم كله .. وقف خلالها يدافع عن سلوك ربيب الحزب الماجن .. سليم حاطوم ، وأمثاله من ضباط الحزب ، مع (...) أبرزهن الحزب ورعاهن ، مثل المغنية « لودى شامية » وغيرها

كثيرات(١) ..

٩ ــ **عدم تسليح الشعب** ، بل ومحاربة كل محاولة من الشعب للتسلح وتوزيع السلاح بلا حساب على المنظمات التابعة للحزب ، مثل منظمة الحرس القومى ، الذى أسموه فيما بعد : « الجيش الشعبى » ، وهو يضم فى صفوفه كل العاطلين عن العمل ، والمنبوذين من المجتمع ، والذين تربوا فى الشوارع أو فى أوكار الفساد والرذيلة ، فكان هذا « الجيش الشعبى » وسيلة إضافية لإذلال الشعب ، وقمع حرياته ، ونهب ثرواته ، والاعتداء على كل مقدس وعزيز عنده .

(ج) أعمال وإجراءات تتعلق بالجيش وبالوضع العسكرى فى الجبهة :

١ ــ **تعبئة الاحتياط بأسوأ صورة من صور الإهمال والفوضى .**

٢ ــ **دعوة الاحتياط دعوة جزئية** مبنية على الاعتبارات الطائفية أو الطبقية البحتة .

٣ ــ **اختراع فكرة الهجوم** ، واتخاذ التحضيرات له بشكل تمثيلى ، لتبرير **سحب القوات الأصيلة من مواقعها الدفاعية** وإخلاء المنطقة من كل الطاقات المقاتلة الفعالة .

٤ ــ وبحجة الهجوم الكاذب .. . **وضعت الألوية الاحتياطية المهلهلة فى الأنساق الأولى** ، لتتلقى الصدمة الأولى من العدو ..

٥ ــ **سوء حال أجهزة الاتصالات اللاسلكية والهاتفية** حتى وصلت الحال إلى درجة انعدام الاتصال تقريباً بين القادة ووحداتهم وجوارهم ، فكانت تلك الفوضى الرهيبة التى عجلت بالكارثة .

٦ ــ **ممارسة أوضح صور عدم الثقة بالقوات** ، حين لجأت القيادة إلى **تطويق الألوية الاحتياطية** (التى كلفت الهجوم على صفد) ، بكتائب

---

(١) كان ذلك فى عام ١٩٦٤ ، وفى مؤتمر صحفى عقد لإيضاح كثير من قضايا الدولة والأمة ، وقد استشهد الحافظ المذكور ــ للدفاع عن الضباط الحزبيين الذين لاكت الألسنة سمعتهم ــ بالعديد من الأبيات الشعرية ، مثل البيت :

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

وغيره كثير . .

أو ليس هذا الذى نراه ، تطبيقاً حرفياً لما أورده حكماء صهيون فى (بروتوكولاتهم) ، من : « تحكيم السفلة ، فى الشعوب الأممية » ليتسنى لأبناء صهيون « القفز على ظهور الحمير ، لإنهاء سلطة الدول الأممية » ؟ ؟ .

الدبابات (البعثية الموثوقة) ، لمنع تلك الألوية من أية محاولة لإسقاط الحكم المنحرف القائم فى دمشق .

وكذلك . حين لم توزع الأسلحة على الألوية الاحتياطية إلا قريباً من قواعد الانطلاق (للهجوم » بـ ١ – ٢ كم .

٧ – عدم نسف الملاغم .

٨ – سوء التموين بالذخيرة .

٩ – سحب أطعمة الطوارىء بحجة تبديلها . . فكان أن انقطع التموين وجاعت القوات خمسة أيام وعندها حصل الانهيار الرهيب .

١٠ – انعدام أعمال الإخلاء ، الذى سبب انهيار المعنويات .

١١ – فقدان المواد الطبية والعلاجية ، رغم توفرها بكثرة لدى الجيش السورى .

١٢ – سحب القوات المدافعة الأصيلة – لإخلاء الأرض لقوات الهجوم – بشكل فوضوى سبب الزحام على الطرقات . . فكانت كارثة تدمير معظم هذه القوات (وخاصة عتادها وسلاحها) .

١٣ – عدم تنفيذ الهجمات المعاكسة على مختلف المستويات ، العدو يتقدم بحرية وراحة بال . وكأنما هو ذاهب إلى نزهة عسكرية .

١٤ – انعدام أعمال الاستطلاع ، التى كانت قادرة لو نفذت كما هو مقرر . على إمداد القيادة بأفضل وأحدث المعلومات ، لتتيح لها اتخاذ قرارات تحقق أفضل النتائج .

١٥ – إجراء معظم التحركات نهاراً ، وبدون حماية جوية ، فكان لطيران العدو فرصة التسلى بضرب هذه الأرتال من القوى المتخاذلة.

١٦ – سحب أسلحة المقاومة الشعبية . وترك سكان منطقة الجولان عزلا فى وجه خصم متفوق .

١٧ – وجود أفراد منتشرين فى صفوف الحزب والجيش ، يعملون باتصال مباشر مع شبكات التجسس ، التى كان لها أثر كبير فى إعطاء المعلومات الهامة فى أوقاتها مسهلين بذلك للطيران المعادى حسن ضرب الأهداف بدقة عجيبة . ولا غرابة فى هذا الأمر . فكوهين وشركاؤه هم خير مثال على ما نقول .

---

(١) ومما يلفت النظر هنا ، ويؤكد أن جواسيس العدو وعملاءه تشرون فى كل مكان ، وعلى أعلى المستويات ، هو أن شركاء كوهين أمثال صلاح الضلى ، وسليم حاطوم ، وأمين الحافظ.

١٨ — ترحيل عائلات العسكريين ، وهذا كانت له الآثار السيئة التي تميزت به :

(أ) تأجيج نار الحقد والحسد والشعور بالكراهية والتمييز بين العسكريين البعثيين ، وبين باقي فئات الشعب .

(ب) إفقاد الجيش قسما كبيراً من آلياته وقت حاجته إليها بسبب انشغالها بنقل متاع وأثاث البعثيين .

(ج) إفقاد العسكريين ، الحافز الأخير للصمود ، لأن إبعاد النساء والعائلات عن ميدان القتال ، يطمئن المقاتل إلى أن أهله بخير ، فلا يعود يشعر بالحرج من الفرار أو التراجع دون مبرر .

إن هذا العمل مخالف لكل أعرافنا وتقاليدنا القتالية ، التي مارسناها وأعطت خير النتائج ، منذ جاهليتنا الأولى ، وفي صدر إسلامنا ، وحتى في انسياحنا الفاتح عبر أرجاء العالم القديم .

ففي الجاهلية ، كانت أبرز صورة لوضع النساء والأطفال . ضمن إطار الحرب ، هي معركة ذي قار .

وفي صدر الإسلام ، كانت أبرز صور تطبيق هذه القاعدة . هي اصطحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وعدد من الصحابة . النساء في كل غزوة خرجوا إليها .

وخلال انسياحنا الفاتح ، تكثر الصور وتتنوع ، ولكن أبرزها كان في القادسية . ومن كرام النماذج فيها الخنساء ، وزوجة سعد بن أبي وقاص وغيرهن كثيرات . وفي اليرموك ، وكان من كرام النماذج فيها ، خولة بنت الأزور وصواحباتها اللائي وقفن خلف الجيش ، يرددن الفارين ، ويلهبن حماسة الرجال على الصمود ، فكانت تلك الملاحم الفريدة في تاريخ الإنسانية .

= حين سقطوا ، لم يسقطوا بسبب صلتهم به ، وإنما سقطوا بسبب تكتل أو انتماء سياسي معين ، ضمن أحد أجنحة حزب البعث . . ورغم أن معظم هؤلاء الشركاء قد وقعوا — بعد سقوطهم في يد السلطة الجديدة — عقب حركة ٢٣ شباط — فإنهم لم يحاكموا ، ولم يعد فتح ملف قضية كوهين ، التي لفلفها عهد أمين الحافظ ، فلو كان في المسئولين الجدد ، أقل مستوى من الإخلاص والنزاهة ، أفلم يكن من أول القضايا التي يبادر إلى معالجتها بدقة وحذر وسرية ، هي قضية الجاسوس الأول الذي رشح لعضوية القيادة القومية لحزب البعث ، كما رشح أكثر من مرة ليصبح وزيراً في حكومة ذلك الحزب ، ولم يمنعه من ممارسة الوزارة إلا رفض رؤسائه (في إسرائيل) حرصاً على بقائه صديقاً للجميع ؟

أما حزب البعث .. الغريب الدخيل حتى على العربية ، فقد رحل النساء والأطفال ، وأبعدهم عن ميدان الحرب .. ليسهل الفرار على المقاتلين .. !

١٩ – **إعلان سقوط القنيطرة قبل سقوطها** لتفويت الفرصة عن كل محاولة للصمود والمقاومة .

٢٠ – **هروب القادة المسئولين** (وكلهم بعثيون) ، وعلى رأسهم قائد الجيش ، وقائد الجبهة .

٢١ – **تحرك وحدات الدبابات هرباً إلى دمشق** (لحماية الثورة) ، وترك واجبها فى دعم وتعزيز القوات المحاربة فى الأنساق الأولى .

٢٢ – **إصدار الأوامر الشفهية ، بإجراء الانسحاب (كيفياً)** ، مما كان له أكبر الأثر ، فى تحقيق الفرار والهروب الكبير ، وترك كل الإمكانات التى كانت قادرة على وقف الجريمة عند حدود أقل مما هى الآن .

٢٣ – **عدم سحب الأسلحة والعتاد والوثائق أو تدميرها** ، وإنما تركت للعدو سليمة ليستفيد منها فوق كل فائدة حققها باستلام الأرض الحصينة .

٢٤ – وأخيراً . . وما يعتبر أبلغ الأدلة وأوضحها وأكثرها إثباتاً لتواطؤ الحزب – كل الحزب – **هو عدم محاكمة أى واحد من المسئولين عن نكبة الجولان .**

الكل يعرف أن فى الجيوش التى تحترم نفسها ، يحاكم حتى الأبطال الشجعان إذا خالفوا الأوامر ، وتفرض بحقهم عقوبات مختلفة ، إلى جانب مكافأتهم على بطولاتهم ، وذلك – فقط – لمخالفتهم الأوامر ، لأن هذا – لو ترك دون محاسبة – فإنه يفتح الباب واسعاً أمام كل عسكرى ، أن يخالف أوامر قادته ، أملا فى تحقيق بطولة أو موقف متميز بالشجاعة .. وفى هذا أبلغ الخطر على استمرار حياة الجيوش ، وتحقيق مهماتها ، وخاصة خلال الحروب .

أما فى جيش حزب البعث ، فإنه لم يحاكم أحد – وليس فقط الذين خالفوا الأوامر – بل الذين خانوا ، وانهزموا ، أو رتبوا نكبة الجيش والبلاد .

وأكثر من ذلك .. هناك من المجرمين من كوفىء ، **وعومل معاملة الأبطال..** وهذا لا يمكن أن يقوم به إلا نظام حكم هو كله متواطىء مع العدو .

إن أحمد سويدانى ، قائد الجيش .. استمر بعد النكبة قرابة ستة شهور ، قائداً للجيش ، ثم أزيح ، لأن القيادة « الخفية » بدأت ترى فيه منافساً خطيراً على السلطة ، ولم ينح ، بسبب مسئوليته عن نكبة الجولان .

وحتى لو كانت إزاحته عقوبة على مسئولية ثبت أنها قسطه من نكبة الجولان .. فهل يجوز توقيع العقاب عليه ، دون محاكمة علنية يطلع الشعب كله على جرائمه وجرائم أمثاله من خلالها ؟ .

أوليس الإعدام عقوبة خفيفة ، بالنسبة لما يستحق هذا المجرم وأمثاله من المسئولين عن النكبة ؟

وأحمد المير .. قائد الجبهة .. ماذا حل به ؟

بعد الحرب مباشرة .. عين عضواً فى القيادة القومية للحزب . ثم نقل سفيراً لسوريا فى إحدى العواصم .. فهل هذه عقوبة أم مكافأة ؟

إن الحصول على منصب سفير ، فى الدولة التى تحترم نفسها — لا يتاح لأى كان .. وله من الشروط والكفاءات والخبرات المطلوبة فى الرامى إلى الحصول على هذا المنصب ، ما لا يمكن توفره إلا فى القلة النادرة من أبناء تلك الدول .. فكيف يلجأ حزب البعث .. إلى تعيين مجرمين متواطئين مع العدو ، فى سفارات سوريا ، لدى دول العالم ؟ .. أوليس هذا جزءاً من مخطط التخريب والتآمر الذى ينفذه حزب البعث على كل المستويات ؟

ووزير الدفاع .. اللواء حافظ الأسد .. الذى وقع بلاغ سقوط القنيطرة .. ماذا حل به ؟

لقد رقى إلى رتبة الفريق .. واستمر فى وزارة الدفاع .. وعزز سلطته وسيطرته على الجيش ، فهل هذا كله عقوبة له على دوره فى نكبة الجولان ؟

وعزت جديد ، الذى رفض تنفيذ الهجوم المعاكس ، وتحرك بلوائه إلى دمشق ، ليحمى فلول الحزب من غضبة الشعب .. ماذا حل به ؟ . .

لقد نقل من قائد اللواء السبعين ، إلى تشكيل فرق جديد ، وهو يمارس الآن عمله فى منصبه ، ويكتب فى مجلة جيش الشعب ، والمجلة العسكرية .. ويساهم بدور جديد وكبير فى التقييم المضلل لنكبة الأمة ، كما يساهم بدور فعال فى حماية السلطة البعثية من الشعب .

ورثيف علوانى .. نقل إلى قيادة تشكيلات (الصاعقة) التى سموها (منظمة فدائية) ، لينتقل بأعماله التخريبية خارج حدود سوريا .. وبين الأشقاء العرب ..

هذا غيض من فيض .. مما ناله بعض المسئولين عن النكبة ، والباقى مما نعرف ، قد لا تتسع له مئات الصفحات ، عدا عن الذى لا نعرف ، ولكن هذا وحده دليل دامغ على سقوط الحزب كله فى وحل الجريمة

والتواطؤ ضد مصلحة الأمة والبلاد .. وستكشف الأيام تباعاً ، ملفات هذا التواطؤ ، وإن غداً لناظره قريب .

رأى :

إن لنا فى كل ماحدث ، رأياً واضحاً ، سنكشف عنه فى مايلى من سطور .

إن رأينا الجازم ، أن الذى حدث لا يمكن أن يكون إهمالا وراءه نية حسنة . ولا سببه الجهل ، أو عدم الخبرات ، أونقص الإمكانيات ، أو .. أو .. إلخ .

إن رأينا الجازم فى هذا الموضوع ، هو أن حزب البعث ، بكل أجهزته وأفراده وقادته وأجنحته ، حزب متواطىء مع العدو ، ويعتبر امتداداً للسلطة الإسرائيلية ، داخل الأرض التى لا تحتلها جيوش إسرائيل .

وفيما يلى ، سنقدم الأدلة لإثبات هذا الرأى :

١ – من الملاحظ أن الخيانة والجريمة لم تقتصر على جانب واحد ، أو مجال واحد ، أو شخص أو أشخاص معدودين ، **وإنما شملت كل نواحى النشاط العسكرى والاعلامى والسياسى والحزبى ، والاقتصادى ، والاجتماعى ..** فى كل الأعمال التى أقدم عليها حزب البعث ، قبل وخلال وبعد الحرب .

ولو كانت الخيانة أو الإهمال أو التواطؤ مقتصراً على جانب واحد ، أو شخص أو أشخاص معدودين ، لما كانت النكبة بهذه السهولة ، وبهذا الاتساع والهول ، ولبقيت جوانب أخرى من الجيش والبلاد ، فى امتناع عن أن تشملها الجريمة المدبرة .

إن هذا الشمول فى التواطؤ يجعلنا نجزم أن حزب البعث ، قد أعد إطاراته الحزبية والقيادية ، نفسياً وسلوكياً وفكرياً ، لممارسة هذه الجريمة وأمثالها . . وهذا ما يضطر مفكرى هذه الأمة إلى إعادة النظر مجدداً بتقييم الحزب ، ودراسة نشأته وتطوره وحياته وسلوكه ، وسير قادته ، من أول يوم برز فيه هذا الحزب للوجود ، وعلى يد مؤسسه الأول ، ميشيل عفلق ، وأضرابه من (مثقفى) الحزب الأوائل ، وقادته المختلفين ، الذين تلقوا – تقريباً كلهم – تعليمهم وثقافتهم (العالية) فى دول الغرب المستعمر .

٢ – إن سوريا ، لم تكن تشكو **قلة الإمكانات** ، **وقلة ونقصاً فى الخبرات** . . وإن جيش سوريا ، لو أتيحت له قيادة مخلصة صادقة ، لكان قادراً على الوقوف برجولة فى وجه الطغيان الإسرائيلى ، يحطم غرور جيشه ،

ويذل قادته المتغطرسين ، ويكشف جبن تلك القوات ، وعجزها عن المجابهة الصادقة المتكافئة .

(أ) فمن حيث التسليح ، كان لدى جيش سوريا أنواع من الأسلحة ، لم تلك تحلم إسرائيل بامتلاك مثيلاتها ، ومن أهمها : « المدفعية (١٢٢ مم طويل) ذات المدى الذى يبلغ ٢١ كيلو متراً ، والدبابة (ت ٥٤) ، المزودة بجهاز يتيح لها الرمى أثناء المسير ، ومزودة بمنظار ليلى يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، والدبابات البرمائية القادرة على اجتياز مسافات واسعة من المياه ، والمدفع المضاد للدبابات (ب ـ ١٠) ، الذى يعتبر من أفضل الأسلحة م ـ د فى العالم ، وقاذفات اللهب الثقيلة المضادة للدبابات ، والمدفعية الصاروخية المحمولة على عربات ، والتى يتألف كل مدفع منها من ـ ٣٢ ـ سبطانة ، والقادرة على أن تدمر برشقة واحدة ، مسافة ٦ كم ٢ . والمدفعية م ـ ط عيار (١٠٠ مم) الموجهة بالرادار ، وقانصات الدبابات (SU 100) . . . إلخ » .

هذه الأسلحة ، التى كان حلماً لدى العدو أن يمتلك مثلها ، رغم كل ما يدعونه من تفوق هذا العدو ، لم تستطع أن تحقق شيئاً ، لأنها كانت بأيد غير أمينة .

(ب) ومن حيث القوى البشرية ، يكفى أن نعلم إن تعداد سوريا يزيد عن ضعف تعداد سكان إسرائيل بما يقارب المليون نسمة .

(ج) ومن حيث الكفاءات ، فإن سوريا تمتلك رصيداً ضخماً جداً من الضباط وضباط الصف والجنود ، المتخصصين والمدربين ، وأصحاب الخبرة الطويلة بأمور الجيش . . كل هؤلاء سرحهم الحزب ، ووضع الجيش فى مواجهة العدو . . بشكل غير متكافىء ، ليضمن الهزيمة لجيش البلاد ، ويضمن تسليم الأرض المباعة إلى القوات الإسرائيلية .

(د) وأما الخبرات الأجنبية ، فلم تكن سوريا تشكو نقصاً فيها ، فإن سوريا منذ عام ١٩٤٧ ، استقدمت الأعداد الكبيرة من الخبراء الألمان والروس والتشيكوسلوفاكيين ، وهؤلاء يدربون جيشها ـ وخاصة الروس ـ منذ عشر سنوات قبل النكبة ، وكان لهم إشراف دقيق على رسم خطة تحصين الجولان ، وخطة قتاله ، وكان لهم فضل كبير فى تدريب القوات السورية فى مختلف الاختصاصات والميادين ، وكانوا كلهم من أصحاب الخبرات الطويلة ، وجلهم من الذين اشتركوا فى حرب عالمية أو أكثر .

(هـ) **وأما الطاقة المالية** ، فإن كل من يقول إن سوريا كانت فقيرة ، فهو مغالط .

إن سوريا تملك من الإمكانات الاقتصادية مقداراً وافراً ، لو أحسن استغلاله وتوجيهه ، كان قادراً على مد الجيش بكل احتياجاته لرد عدوان إسرائيلي مهما كان مدعماً ومعززاً وكبيراً

إن سوريا هي البلد الوحيد في العالم ، الذي دفع ٦٠ – ٦٥٪ من موازنته العامة ، لأغراض الدفاع وتنمية الجيش ، استعداداً لمثل هذه الساعة . .

وفوق كل هذا . . فإن الشعب السوري لم يبخل بتضحية ، فإنه فوق كل ما يدفع من ضرائب ، كان يتقدم بالتبرعات السخية في كل مناسبة ، بشكل يستدر دموع الإعجاب والفرح ، لأريحية هذا الشعب الطيب واستعداده للبذل والتضحيات . . وخير دليل على ذلك ، هو أسبوع التسلح في عام ١٩٥٦ وحملات معونة الشتاء السنوية ، ولكن كل تلك الطاقات والإمكانات ، عطلها حزب البعث ، وألغاها ، ودمر القسم الأعظم منها ، وشل الباقي . . فهل يمكن أن يكون هذا غير التواطؤ الجماعي ، الذي على أساسه بنى الحزب ، وربى عناصره ، ووضعت تحت تصرفه كل أجهزة التآمر ، لضمان تنفيذ المخطط التآمري الرهيب ؟ !

٣ – ما من عهد من العهود المتعاقبة على حكم سوريا ، إلا وكان له مؤيدون ومعارضون ، إلا حزب البعث ، **فلم يكن له مؤيدون مطلقاً**، ومنذ اليوم الأول ، الذي برز فيه أن لحزب البعث موقعاً في السلطة التي نشأت عن مؤامرة ٨ آذار ١٩٦٣ ، وقف الشعب كله في جانب آخر ، ضد حزب البعث ، ومع مرور الأيام ، وتعاقب الأحداث ، قام حزب البعث بتعميق الهوة بينه وبين الشعب ، وبتأصيل روح العداء ضده في نفوس أبناء الشعب ، حتى أصبح موقفه تماماً مثل موقف الكيان الإسرائيلي الدخيل في فلسطين ، الذي لم يستطع ، (ولن يستطيع أبداً) أن يزيل روح العداء تجاهه من قلوب العرب والمسلمين ، مهما طال الزمن وتعاقبت السنون أو القرون .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل إن حزب البعث ، ضمن المجموعة العربية (على كل ما فيها من تفسخات وتنافر وأحقاد) كان – ولا يزال وسيبقى – أشبه بجسم غريب ، غرس في جسم إنسان ، فما كان من ذلك الجسم إلا أن قوقع الجسم الغريب ، وعزله وكون حوله نسيجاً يحميه من سمومه ، ثم أخذ يطلق الإفرازات بلا انقطاع ، حتى تمكن له طرده والتخلص منه .

أقول : إن حزب البعث ، كان ، ولا يزال ، وسيبقى ، حزباً كريهاً ، دخيلاً ، على الأمة بمجموعها ، غير قادر على تألف قلوبها نحوه ، واستمالة عطفها عليه وحبها له.

إن حزب البعث كان ، ولا يزال ، وسيبقى ، عدواً من ألد أعداء الأمة ، ومن أكثرهم حظاً فى سعيها للتخلص منه ومن شروره وآثامه

ورغم كل ذلك . .

فإن حزب البعث . . **استطاع أن يحتفظ بالسلطة ومواقع الحكم ، أكثر من أى عهد سياسى عرفته سوريا** منذ الاستقلال وحتى اليوم . . فلماذا ؟ .

أو ليس هذا وحده ، دليلاً عقلياً — دونما حاجة للغوص على الوثائق والمستمسكات — على أن هذا الحزب ليس وحده فى السلطة ، وإنما هو **امتداد لكيانات عدوانية متكالبة على هذه الأمة** ، تمده بكل أسباب البقاء والقوة ، لتضمن به تنفيذ مخططاتها الإجرامية ضد هذه الشعوب المسكينة؟.

هذا الحزب رغم كل ما يتمتع به من عداء الشعب ، وعداء المجموعة العربية الأخرى له ، ورغم كل المحاولات التى بذلت لإسقاطه ، عسكرية كانت أم شعبية أم اقتصادية ، ورغم دمغه محلياً وعربياً وعالمياً بالتواطؤ وتسليم البلاد إلى العدو ، ورغم كل ما أصابه من تشرذم وتمزق ، ورغم كل ما سفك من دماء أفراده بيد أفراده الآخرين . .

رغم كل ذلك .. فإن هذا الحزب ، ما زال يحتفظ بالسلطة حتى اليوم ، أو ليس فى هذا وحده دليل كاف على إنه **مدعم بكل قوى البغى المتآمرة على أمتنا ،** وأن إلى جانبه الثقل الأكبر من الإمكانيات التى تملكها أجهزة الدول الاستعمارية ، **تمده بالتوجيه والخبرات والمعلومات والطاقات والأموال التى تمكنه من البقاء فى السلطة ،** كما تمد إسرائيل بأسباب البقاء والنماء والتأييد بمختلف صوره وطرائقه ..؟!!

وهل يمكن أن يكون هذا التأييد للحزب ، بدون مقابل ؟ .

إن العقل لا يقبل هذا . . وإن الفطرة السليمة ، والتفكير النقى المخلص ، يستطيعان فوراً أن يكشفا زيف ادعاءات الحزب ، ويبرز لهما بوضوح وجلاء . **أن هذه الإمكانات التى تمده بها الأجهزة الصهيونية والاستعمارية . . إنما هى مقابل جهود يبذلها فى خدمة تلك المصالح والمطامع . . . .** التى كان من أكبر صورها ، تسليم الجولان . . !

هذه الأمور الثلاثة ، بما فيها من تفرع . تشكل أدلتنا على ما أطلقنا من اتهام ، بأن سقوط الجولان كان أمراً متفقاً عليه بين حزب البعث ، والأجهزة الإسرائيلية . . وفى باقى سطور المناقشة (فصل نقاش الإثبات) ، توضيحات لجوانب كثيرة من جوانب المؤامرة ، والله أعلم بحقائق الأمور ، وإياه ندعو أن يعين هذه الأمة على ما حل بها من نكبات ومحن .

- ٢ -

.. ومن الجانب السياسي ...
رؤى متنوعة للمؤامرة ...

١ — . . . ويشاء الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء . . . أن يثبت لى وللأمة ، صحة ما ذهبت إليه . . . ويكشف جانباً من المؤامرة على لسان واحد من كبار المتآمرين . . .

ففيما أنا منهمك فى إعداد الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب . . صدر للدكتور سامى الجندى ، كتاب جديد بعنوان « كسرة خبز » . . يفضح فيه جانباً كبيراً جداً من المؤامرة . . هو جانب الاتصالات واللقاءات مع المسئولين الإسرائيليين . . لإعداد مخطط الجريمة . . !

والدكتور سامى الجندى . . حين يصرح بهذا الأمر ، فإن خطورة مثل هذا التصريح ، تقع فى كون الجندى هذا ، رجلا غير عادى ، ومطلعاً على كثير من الخفايا والأسرار . . فى أخطر فترة سبقت تنفيذ المؤامرة ، فترة الإعداد لها ورسم خططها والتفاصيل والأدوار فيها .

سامى الجندى ذاك ، هو أولا من الشرذمة الأولى التى أسست حزب البعث العربى الاشتراكى وساهم فى كثير من أعماله التنظيمية ، وصوغ عقيدته ، والدعاية له . . ونشر أفكاره فى المجالات التى يعشش فيها الحقد الطائفى ، ممتزجاً بالكره والحسد الطبقيين . . وهما أهم مناخين تربى فيهما قادة حزب البعث . . وتكونت مقومات شخصياتهم .

وسامى الجندى . . هو من الأوائل الذين شاركوا فى حكم سورية باسم حزب البعث — صراحة — فكان عضواً فى القيادة القطرية . . ثم وزيراً للاعلام . . ثم رشح أكثر من مرة لرئاسة الوزارة . . ولا ندرى سبب رفضه .

وسامى الجندى . . شارك فى الأعمال والمؤسسات والمؤتمرات التى

عقدت على مستوى الجامعة العربية ، لمعالجة قضايا الأمة المصرية .. وكان أبرز عمل له هو مشاركته فى لجنة المتابعة التى انبثقت عن مؤتمرات القمة العربية .

وسامى الجندى أخيراً . . سفير سوريا فى فرنسا . . فى باريس . . التى شهدت كثيراً من اللقاءات بين مسئولين أو مبعوثين شخصيين غير رسميين ، لمسئولين عرب . . وبين جوانب مماثلة من جانب العدو . :

سامى الجندى هذا . . وبلهجة الـ (. . .) اللذى خانه شركاؤه . . فلبس زيفاً لبوس التقوى ، وقرر فضح شركائه تمهيداً لتنصله من المسئولية .. يقول فى معرض حديثه عن الجولان :

« لقد نبهت حكومتى منذ ١٩٦٥ إلى أنها تنوى احتلاله(١) كنت أعارض دائماً فى حرب مع إسرائيل أعرف فيها إننا خاسرون(٢) . . . » .

---

(١) ونريد أن نسأل الجندى ذاك . . : « ومن أين لك أن تعلم وحدك أن إسرائيل تنوى احتلال الجولان ؟ » .

كيف عرف الجندى بهذه النية المسبقة لإسرائيل قبل تحققها بعامين ونصف على الأقل ، وفى وقت لم يكن يخطر ببال أكثر الناس إغراقاً فى التشاؤم ، أن الذى حصل سوف يحصل فعلا . ؟

والأغرب من هذا أن الجندى إياه . . تكلم عن نوايا إسرائيل فى احتلال الجولان قبل أعوام من وقوع الاحتلال ، تكلم بهذا ليس بلهجة التنبؤ والتنجيم ، بل بلهجة الجد « المحذرة المنبهة » ، وفى جلسات رسمية تعقدها حكومته للنظر فى تصريف أمور البلاد . . فمن أين للجندى هذا ، أن يتكلم بهذا التأكيد المسبق قبل أعوام من وقوع الفاجعة ؟ ؟ .

ثم . . ألم يكن فى حكومته من يسأله عن مصدر معلوماته ليتأكد من صحتها وأهميتها . . أم إن حكومته كلها كانت فى مستواه من الاطلاع والعلم « المسبقين » ؟ ؟

(٢) ومما يزيد فى غرابة الأمر وخطورته أن الجندى هذا ، يعترف ، أنه كان يعارض فى حرب مع إسرائيل .. رغم تأكيده لحكومته أنها ستحتل الجولان

عجباً والله . . ماذا كان يريد الجندى من سوريا أن تفعل إزاء نوايا العدو باحتلال الجولان ، وعجزها عن الحرب للذود عنه . ؟ هل كان يريد أن تدخل إسرائيل الجولان ، دونما أية طلقة تطلق فى وجهها — حتى ولو كانت للتهويل وذر الرماد فى العيون — ما دام لا مفر من احتلالها له ، وعجزنا عن حربها ؟ . .

نريد المزيد يا دكتور . . وأنت الذى تصرح فى كتابك أنك ممن يعرفون الكثير . . ولكنك لم تتكلم حتى الآن بما يبرئك ، بل وقعت فى الفخ الذى نصبته للشركاء . . فنحن نطالب — نيابة عن الأمة كلها — بالمزيد من هذا الذى تعرف . . فى المزيد الذى توضح . . سيكون توضيح أكثر لجوانب المؤامرة وأبعادها . . وكشف أهم عن الشركاء المستترين . . ويكون تأكيد جديد على ولوغ فى الجريمة . . أو البراءة . . من يدرى ؟ .

ويتابع الجندى : « آرائى كلها دون استثناء كانت ضد الحرب ، لم أعرف أبداً أن الحكم يعد لهزيمة ، لا لاسترداد فلسطين . « نعم ! نعم . . » لم تكن هنالك أية بادرة للنصر ، ولا أعني أنه كان يعد لهزيمة نفسه .. وإنما لهزيمة العرب الآخرين ، كي يبقى (الثورى) الوحيد ، سيد المناخ الثورى العربى . . » .

ثم يقول : « وكنت مؤمناً — وما زلت — أن إسرائيل ليست حريصة على الاعتراف بها ، ولو شاءت لحصلت عليه ، لأنه يفقدها مبرر (الدفاع عن نفسها ، واحتلال أرض أخرى سنة ١٩٧٠(١) .

---

(١) وبلهجة التنبؤ ذاتها . ولكنها — فى هذه المرة — مشاعة على الأمة العربية كلها . . وليست محصورة فى كواليس السياسة . . يتنبأ سامى الجندى . . عن احتلال إسرائيل لأرض أخرى عام ١٩٧٠

. . وما دامت نبوءاتك يا « متنبىء النكبات » . . لا تخيب . . فلم لا تدلنا على الأرض الأخرى التى ستحتلها إسرائيل فى عام ١٩٧٠ ؟ . . فنحصنها ونركز عليها الدفاع لنمنع نكبة رابعة ؟ . .

إنى لأظن أن هذا غير مباح التفوه به . . بل مطلوب منكم إيقاع الرعب والهلع فى قلوب العرب قبل وقوع الأحداث بوقت مناسب . . وها أنت تتكلم عن الاحتلال القادم بلهجة المقرر الجازم الذى لا جدال حول ما يقول . . لتعطى لأقوالك فى ضمير العربى ، صورة القدر الذى لا مرد له . . فيستسلم العرب . . وييأسوا . . وينتظروا مصيرهم بذل وخنوع . . حتى يحين موعد الاحتلال القادم فى عام ١٩٧٠ ؟

ثم . . أو لست أنت نفسك ، الذى مهدت فى كتاب سبق ، وبعد النكبة مباشرة . .
« . . بعد كل انتصار إسرائيلى يزداد عدد النازحين ، وسيكونون ملايين بعد سنوات ! (كتاب عرب ويهود ص ٢٥) . ثم جئت الآن تحدد موعد « ازدياد عدد النازحين . . ونجعله فى سنة ١٩٧٠ ؟ » ؟ ثم . . أنت لم تكتف بالإعلان ، بل تقرر ، فى الصفحة نفسها : « الأمر الواقع يتطلب منا أن نقبل ما حدث ، وما يمكن أن يحدث ، أو أن نظل نواجه الذبح والتقتيل . . ؟ » (أرجو ملاحظة هذه الـ « ما يمكن أن يحدث » وما بعدها) ثم . . تعلن يا جندى رغم كل ذلك . .
« إنى أرفض مع ذلك ، ورغم كل ما حدث ، أن أغمس ريشتى فى محبرة الحقد . ! » .

لا . . وبالطبع ألف مرة لا يا جندى ويا أمثاله . . أنتم ترفضون « الحقد » على اليهود الغاصبين الدخلاء . . وتمارسون أبشع أنواع هذا الحقد على أبناء أمتكم . . العرب أمثالكم . . أبناء وطنكم ورفاق صباكم . . زملائكم فى الدراسة والجامعات والعمل . . بل وحتى زملائكم فى النضال الثورى السياسى . . !

. . ضد كل هؤلاء المقربين الأقرباء . . يمارسون الحقد والإرهاب والتقتيل والتشريد ودوس الحرمات والمقدسات ، ثم . . يرفضون أن « يغمسوا ريشتهم فى محبرة الحقد . . » حين يعالجون قضية المصير الأولى لهذه الأمة . . قضية الصراع بيننا وبين اليهود الغزاة الدخلاء . . !

. . هل يمكن أن ترزأ أمة ما . . بأسوأ من هذا الذى نسمع ونرى كل يوم . . ؟ !

ألا ، خاب العرب . . إن لم يخيبوا ظن الذين أوحوا بهذه التنبؤات . . !

« لم إذن اختارنى الدكتور ماخوس لهذه المهمة ، وهو لم يعدم الأشخاص ولا الوسيلة للاتصال بإسرائيل ؟ ثارت أقاويل فى باريس نفسها عن أمين منظمة الحزب التابعة لدمشق . وأنا — وهنا بيت القصيد — متأكد من أن اتصالات جرت عن طريق أكثر من دولة « ثالثة » وفى أكثر من عاصمة .

ثم يقول : « عندما نتتبع فصول معركة الجولان ، نجد أن العسكريين الذين قاوموا ، فعلوا دون أوامر ، أما الذين صدرت إليهم فقد انسحبوا بناء على خطة . . ترى ما هى الخطة ؟

تم إخلاء الجولان من السكان منذ ٥ حزيران . . لماذا ؟

لست بحاجة للقول إن إعلان سقوط القنيطرة قبل أن يحصل أمر يحار فيه كل تعليل تبنيه على حسن النية . . إن تداعى الأفكار البسيطة ، يربط بين عدم وقف إطلاق النار والحدود سليمة(١) ، والإلحاح بل الاستغاثة لوقفه بعد أن توغل الجيش الإسرائيلى فى الجولان ، ويخلص إلى الاستنتاج بوجود خطة.

فوجئت لما رأيت على شاشة التليفزيون (فى باريس) ، مندوب سورية فى الأمم المتحدة (الدكتور جورج طعمة) يعلن سقوط القنيطرة ، ووصول قوات إسرائيل إلى مشارف دمشق ، والمندوب الإسرائيلى يؤكد أن شيئاً من ذلك لم يحصل(٢) .

إذن . . كانت هناك لقاءات مع مسئولين إسرائيليين . . وبوساطة أكثر من دولة ثالثة . . وقبل حرب حزيران التى نفذت فيها المسرحية اللئيمة . .

فما الذى دار فى تلك الاجتماعات . . ومن الذى نفذ هذه اللقاءات ؟؟ . .

هذا جانب ستكشفه الأيام تباعاً . . وعلى الذين يعون ، متابعته وتقصيه . . خشية أن يضيع بين الركام الهائل الذى تقذف به المطابع والإذاعات كل يوم . .

٢ — وتتحدث ألسنة المطلعين فى أوساط السوريين . . عن أمر لا يقل خطورة عن هذا الذى صرح به الجندى . .

يقول الملازم الأول : « . . . . »(٣) ، عضو الوفد السورى إلى لجنة الهدنة المشتركة . . ما يلى :

---

(١) قبل حصول الخرق يوم الجمعة ٩ حزيران ، وحيث كانت كل من مصر والأردن قد طلبتا وقف إطلاق النار .

(٢) النصوص هذه منقولة من كتاب « كسرة خبز » للدكتور سامى الجندى ، الطبعة الثانية ، صادر عن دار النهار للنشر ، الصفحات ١٥ ، ١٦ ، ١٧

(٣) لم تتح لى معرفة اسمه . . ولو عرفته لذكرته ، لأن ذلك ليس سراً ، فالضابط المقصود ، هو الآن موقوف فى سجن المزة العسكرى فى دمشق ، فلقد سرح عقب الحرب ، ثم أوقف لأنه بدأ يذيع بين الأوساط العسكرية المسرحة . . معلوماته عن هذا السر . . !

« إنه استدعى إلى مكتب الدكتور يوسف زعين ، رئيس الوزارة البعثية ، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٦٧ الساعة العاشرة ليلا . . فوجد عدداً من أفراد لجنة الرقابة الدولية فى مكتب الزعين ، برفقة السفير (. . . .) فى دمشق . . فكلف الضابط المذكور بالترجمة بين رئيس الوزارة ومخاطبيه . .

قال السفير : إذا لم تسحب القيادة السورية قواتها من الجولان . . فإن القوات الإسرائيلية لن ترتضى هدفاً يتوقف زحفها عنده إلا دمشق . .

وهنا سأل الزعين : وما هى الحدود التى تريد إسرائيل الوقوف عندها؟..

أجاب السفير : هل عندكم خريطة ؟ . .

فأبرز الملازم الأول المذكور خريطته ، وهنا وضع السفير عدداً من النقاط التى يجب أن يمر بها خط الحدود الجديد . . وتتوقف عنده القوات الإسرائيلية إذا قامت السلطات البعثية بسحب قواتها خارجا عنه .

. . وافق الدكتور زعين «يقول الملازم الأول المترجم» . . ووعدالسفير بتحقيق ما طلب . . وغادر الجميع مكتب رئاسة الوزراء على هذا الأمل . .

وفى الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالى . . صدر بلاغ سقوط القنيطرة ، على النحو الذى شرحناه وأوضحناه فى أكثر من موضع . .

وفى الوقت نفسه كذلك ملأت جو الجولان الشائعات الخانقة . . عن أوامر الانسحاب المزعومة . . فكان الهروب الكبير . . ودخلت القوات الإسرائيلية أرضنا الكريمة . . راكبة إلى نزهة عسكرية . . دونما خوف من صدام حقيقى يشتتها أو يفنيها . . !

٣ — . . . وتأكيداً وتوضيحاً لهذه اللفتات السريعة نحو جوانب من الوجه السياسى للمؤامرة . . لا بد لى من أن أثبت ما قاله بعض المسئولين البعثيين . . عقب وقوع الجريمة . .

(أ) فأول هذه التصريحات اللئيمة . . صدرت من الدكتور إبراهيم ماخوس . . وزير الخارجية البعثية ، وكان ذاك فى أروقة مجلس الأمن . . فى دورته التى عقدها عقب حرب حزيران ، لمناقشة ما حدث .

كان المندوبون والمسئولون العرب يتحدثون بذهول عن الذى وقع . . إلا ما خوس إياه . . ماخوس هذا . . يقول بلهجة الـ (. . .) . . حين تحاول تهوين المصيبة على عذراء فقدت شرفها فى ساعة طيش . . طمعاً فى جرها إلى وحل العهر لتشاركها العيش فيه .

باللهجة هذه . . يقول ماخوس . . وأمام عدد كبير من المسئولين

العرب . . وجواباً على قول أحدهم : « إنها لفاجعة كبيرة . . ونحمد الله إن إحدى العواصم لم تمس . . » فأجاب ماخوس ، بصفاقة عجيبة . . « . . **وهل فى ذاك غرابة لو حصل ؟ . . إن الغريب فى الأمر أن العواصم لم تسقط .. وإننا من جهتنا** – يقصد مسئولى حزب البعث – . . . **كنا عاملين حسابنا على أن دمشق ستسقط بيد العدو . .** » .

(ب) وفى أحد الاجتماعات الحزبية التى أعقبت الجريمة . . يقول ماخوس أمام « الرفاق » . « **لاتنسوا أن الهدف الأول من الهجوم الإسرائيلى هو إسقاط الحكم التقدمى فى سورية ، وكل من يطالب بتبديل حزب البعث ، عميل لإسرائيل . .** » .

(ج) وكذلك فى أحد الاجتماعات البعثية وبعد أن هزت الجريمة ضمائر بعض الحزبيين المغرر بهم . . والذين ما زالت فيهم بقية من خير . . طلب بعضهم من المسئولين توضيح ملابسات سقوط الجولان . . وأصروا على وجوب تقصى الحقائق حول إذاعة البلاغ الفاجر . . .

وفى نطاق تلك التساؤلات . . وجه بعضهم سؤالا حول هذا الموضوع إلى اللواء أحمد سويدانى ، قائد الجيش البعثى السورى يوم المحنة . . فأجاب :

« **أنا . . كمسئول لم أستشر فى "بلاغ الذى أعلن سقوط القنيطرة . . وكمواطن . . سمعته من الإذاعة كغيرى . . !** » .

فمن هى اليد الخفية التى وقعت ذلك البيان وأمرت بإذاعته ؟

ستبدى ذلك الأيام . . مهما طال الوقت . . وإن غداً لناظره قريب !

٤ – « . . . ظهر الخامس من حزيران(١) ، اتصل سفير دولة كبرى فى دمشق بمسئول كبير ودعاه إلى منزله لأمر عاجل وهام ! ! وتم الاجتماع فى الحال ، فنقل السفير للمسئول السورى نص برقية عاجلة من حكومته ، تؤكد أن سلاح الجو الإسرائيلى قد قضى قضاء مبرماً على سلاح الجو المصرى وإن المعركة بين العرب وإسرائيل قد اتضحت نتائجها منذ الساعة التاسعة من ذلك الصباح ، وإن كل مقاومة أرضية ستورث خسائر فادحة فى الأرواح والممتلكات لا مبرر لها ، وأن إسرائيل **لا تنوى مهاجمة النظام**

---

(١) النص هذا كله ، منقول عن كتاب (المؤامرة ومعركة المصير) لسعد جمعة ، أحد رؤساء الوزارة الأردنية السابقين ، ص ١٠٩ – ١١١ ، الطبعة الثالثة .

السورى ، بعد أن يستتب لها تأديب جمال عبد الناصر ! وبانتهاء الزعيم المصرى . . تتفتح الآفاق العربية أمام **الثورة البعثية** من المحيط إلى الخليج ، وأن إسرائيل — من قبل ومن بعد — بلد اشتراكى يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية . . **وخاصة البعثيةالعلوية** ، ويمكنها أن تتعايش وتتفاعل معها لمصلحة الكادحين فى البلدين . . وقد يكون ذلك منطلقاً نحو تسوية نهائية على أسس الأخوة الاشتراكية ، ولذا فمن مصلحة سوريا . . **مصلحة الحزب** ومكاسب الثورة ، أن تكتفى بمناوشات بسيطة لتكفل لنفسها السلامة !

وذهب المسئول السورى ليعرض ما سمعه لتوه على رفاق القيادة القومية والقيادة القطرية . . إلى آخر القيادات ؟ وكانت الطائرات الإسرائيلية فى تلك اللحظة تدمر المطارات السورية والطائرات الجاثمة — براحة — فوقها ، مما أضفى على الموقف جو المأساة !

وعاد الرسول السورى ، غير بعيد ، ليبلغ السفير استجابة الحزب والحكومة والقيادات ، لمضمون البرقية العاجلة ! وهكذا كان ! . . .

غير أن إسرائيل بعد أن أنهت العمليات الحربية فى الجبهتين الجنوبية والشرقية ، اتجهت بثقلها إلى الجبهة الشمالية ، بعد أن مهدت لهذه الحركة المفاجئة بحرب نفسية ، فسقط خط (ماجينو) السورى ، **دون قتال** ، وسحبت القوات الأمامية لحماية **مكاسب الثورة** . . وبطولات الحاكمين فى دمشق ! .

. . . وقال معلق راديو دمشق ذلك المساء : « الحمد لله(١) لقد استطاعت قواتنا الباسلة حماية مكاسب الثورة أمام الزحف الإسرائيلى ! الحمد لله الذى أفسد خطة العدو وقضى على أهدافه الجهنمية ! . . إن إسرائيل لن تحقق نصراً يذكر ، مادام حكام دمشق بخير ! !

وليت شعرى ، ما الذى كان يعيق إسرائيل عن المضى فى فسحة إلى دمشق ! . . لكنها لا تريد ، ولن تريد ، إذ ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن » .

٥ — « . . . ولما كنت أعتقد أن المبرر الوحيد لغلطة ترتكب هو

---

(١) عادوا يحمدون الله ويذكرونه بخير ، وهم الذين طالبوا قبل هذا بأربعين يوماً ، بأن يوضع مع الأديان وأمور أخرى ، فى متاحف التاريخ ، انظر الصفحة (٣٢) .

الدرس الذى يمكن استخراجه منها ، يهمنى أن أوضح هنا – دون أن أحاول إلقاء مسئولية الفشل المشترك على فريق معين – أن عاملين اثنين ، أوصلانا – والنزاع فى مستهله – إلى ما انتهينا إليه ، وجعلانا ندفع الثمن غالياً .

فمن جهة فوت علينا تأخر الطيران السورى فى التدخل فرصة ذهبية ، كان يمكن أن ننتهزها لقلب الموقف لمصلحة العرب . فلولا تردد السوريين ، لكنا قد بدأنا عمليات القصف الجوى فى وقت مبكر ، ولاستطعنا اعتراض القاذفات المعادية وهى فى طريق عودتها إلى قواعدها ، بعد قصفها القواعد المصرية وقد فرغت خزاناتها من الوقود ونفدت ذخيرتها ، وكان بإمكاننا حتى مفاجأتها وهى جاثمة فى مطاراتها تملأ خزاناتها استعداداً لشن هجمات جديدة ، فلو قيض لنا ذلك لتبدل سير المعركة وتبدلت نتائجها . .

« الزمن وحده سيعطى تفسيراً لمسائل عديدة ، لكن ما تأكدت منه هو أن الطيران السورى لم يكن مستعداً يوم ٥ حزيران للحرب . . . » .

« . . . لأننا كنا ننتظر السوريين ، فبدون مساعدة طائراتهم الميج لا يمكن أن يسفر قصف قواعد إسرائيل عن نتيجة مهمة ، ومنذ الساعة التاسعة – من صباح الخامس من حزيران – اتصلت قيادة العمليات الجوية بالسوريين ، فكان جوابهم أنهم بوغتوا بالأحداث . وأن طائراتهم ليست مستعدة ، وإن مطاراتهم تقوم برحلة تدريبية . وطلبوا إمهالهم نصف ساعة ، ثم عادوا وطلبوا إمهالهم ساعة ، وفى العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين كرروا الطلب نفسه فوافقنا ، وفى الحادية عشرة لم يعد بالإمكان الانتظار فأقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم إلى سلاحنا الجوى وتساهم فى القيام بالمهمة المشتركة المنوطة بسلاح الطيران .

وكان من نتيجة الاستمهال المذكور من جانب السوريين ، أن عملياتنا الجوية لم تبدأ إلا بعد الحادية عشرة صباحاً . . »(١).

لنقارن بين هذا الكلام . . بل هذه الوقائع المخزية ، وبين ما قاله المسئولون البعثيون ، قبيل الحرب . .

قالوا: « . . إن طائرات سلاح الطيران السورى ، قامت بعدة رحلات استطلاعية فوق إسرائيل ، كانت آخرها فى ١٤ – ٥ – ١٩٦٧ وعند الظهر . .

---

(١) من كتاب « حربنا مع إسرائيل » . أحاديث للملك الحسين ملك الأردن مع اثنين من الصحافيين ، ص (٥١ – ٥٢) نشر دار النهار ببيروت .

إن طائراتنا توغلت عشرات الكيلو مترات فى مهمة استطلاعية ، وقد انطلقت المدافع المضادة ، وصواريخ (هوك) الإسرائيلية على الطائرات السورية التى قامت بمهمتها وعادت إلى قواعدها . .

إن سلاح الطيران السورى أصبح فى المستوى الذى يمكنه من القيام بواجبه على أكمل وجه ، وله مهمات محددة ومرسومة بموجب الخطة الموضوعة . .

إن سلاح الطيران السورى تطور تطوراً كبيراً بعد ثورة ٢٣ شباط ١٩٦٦ من حيث الكمية والنوع والتدريب ، وأصبحت لديه زيادة كبيرة فى عدد الطائرات(١) ، وهى من أحدث الطائرات فى العالم وأفضلها تسليحاً ، كما ازداد عدد الطيارين وارتفع مستوى التدريب »(٢).

كان هذا التصريح قبل الحرب بنصف شهر بالتمام والكمال ، فماذا جرى لسلاح الطيران هذا ، الجاهز ، القوى ، المدرب ، الـ . . الـ . . إلخ . خلال نصف شهر ، فقط ، حتى فقد فاعليته وقعد كالأرنب الذى انخلع قلبه لمجرد رؤيته الثعلب متجهاً نحوه يريد افتراسه ؟ . .

ولكن . . تكفى الإشارات العابرة ، التى تصدر من صحافة العالم المطلعة على أكثر مما نستطيع نحن الاطلاع عليه من بواطن الأمور . .

ولنسمع مجلة « تايم » وهى تقول :

« . . . أنقذ الهجوم الإسرائيلى على سورية ، خلال حرب حزيران ، النظام البعثى المتطرف فيها . . »(٣) .

٦ — وفى الختام . . لا بد من لفت الانتباه إلى الذى يجرى على خطوط وقف إطلاق النار كل يوم . .

فبعد أن استعرضنا أكثر من رواية للمؤامرة ، وبعد أن نقلناها — على ذمة رواتها — ودونما التعرض لها بالتفصيل وبالإثبات أو النفى ، لأن ذلك غير ممكن بما لدينا من دلائل وحيثيات . . لا بد لنا من أن نثبت — للتاريخ — موقف القوات المتحاربة على جبهات القتال ، فى مواجهة العدو .

---

(١) حقاً إن لديهم زيادة كبيرة فى عدد الطائرات ، وهى مخزنة فى العنابر ، لأن جميع الإطارات الأصلية والرافدة لحزب البعث لم تستطع أن تقدم له خلال ربع قرن أكثر من عشرة طيارين ، نصفهم على الأقل ، وقوف عن الطيران لأسباب صحية ، أو لأسباب عدم كفاءة كالفريق حافظ الأسد . بينما كان ومازال معظم طيارى سوريا مسرحين مشردين ، ولذلك فإن الطائرات ستزيد حتماً عن حاجة حزب البعث إلى الطيارين !!

(٢) جريدة الثورة ، العدد الصادر بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٦٧

(٣) مجلة تايم ، عدد ٢٣ حزيران ١٩٦٧ ، (عن كتاب المسلمون والحرب الرابعة) ص ١٦٥

فى الوقت الذى نرى فيه كل يوم تصعيداً متزايداً للصدام ، وبالأسلحة المختلفة ، وبالمستويات القتالية المتدرجة نحو الاتساع والشمول ، على جبهتى مصر والأردن . . مع إسرائيل(١) .

فى هذا الوقت نجد الجو هادئاً هدوء عش زوجى فى فترة شهر العسل . بين الإسرائيليين وقوات حزب البعث . . لا يعكره إلا خلافات بسيطة ، كالخلافات التى تقع بين عروسين حول ما يجب أن يتعشيا ، أو حول أفضل مكان يقضيان فيه السهرة .

وفى الوقت الذى نجد اليوم – وكل يوم – عشرات الرجال ينطلقون من الجبهات المختلفة ، لضرب الوجود الإسرائيلى الدخيل فى كل جانب على أرضنا . . نرى الحدود « الجديدة » بين سوريا وإسرائيل ، مغلقة فى وجه كل التنظيمات الفدائية . . ومن يتحدث عن تحرير الجولان ، أو العمل الفدائى على أرض الجولان . . يلقى مصيره الأسود على أيدى الجلادين من بنى النصيرية المتسترين باسم حزب البعث .

وزيادة فى التضليل ، الذى برع فيه حزب البعث ، وتمادى فى سلوك سبيله إلى أبعد مما يمكن لأحد أن يمضى . . ناسياً أن تضليله قد عاد عليه بأبشع فضيحة ، جعلته يبدو أمام الناس سخيفاً كسخف النعامة حين تدفن فى الرغام رأسها لتوهم الصياد بأنها ضللته . .

بمثل هذه الصفاقة والقحة . . يلجأ حزب البعث الحاكم . . المجرم إلى التضليل . . وإلى مطالبة غيره بمواقف الرجولة والبطولة التى عجز عنها . . حتى بدا مثل (. . .) تطالب الناس بأن يكونوا نساكاً . .

بمثل هذه الروح التى تنز بالحقد ، وتفيض بمعانى الإجرام يطالب حزب البعث غيره من الدول بأن تفتح حدودها لحرية العمل الفدائى . . بل ويرسل مجموعات من مرتزقته ، ليؤدوا بعض العمليات التمثيلية عبر حدود الأردن ولبنان ، لذر الرماد فى العيون ، ولتحويل الأنظار عن قصوره وفجوره وصفاء عيشه مع قوات إسرائيل التى احتلت الجولان وتمتعت بخيراته .

بهذه الروح . . يرسل حزب البعث أفراداً من وحداته النظامية متسترة

(١) وأخيراً لبنان . . .

باسم التنظيمات الفدائية « الصاعقة » ليشوهوا معنى الفداء ، عبر حدود غيره من الدول . . بينما يغلق حدوده مع العدو فى وجه كل تنظيم فدائى مناضل شريف ، وكأنه لا يحكم بلاداً احتل العدو جزءاً منها . . وكأن تحرير تلك الأراضى — إن كان وارداً لدى حزب البعث كأمنية ليس إلا — يقع على كاهل غيره من الدول . . بينما هو يتمتع فى الوارغ فى الدماء والحرمات . .

إن مثل هذه الأفعال . . تقع كل يوم ، تحت سمع وبصر الأمة العربية المنكوبة . . ثم يبح دعاة حزب البعث حلوقهم . . يطالبون الأمة العربية بالفداء . . ويدعون أنهم . . أهل الحرب وحدهم ، وهم الذين ما حاربوا . . ولن يحاربوا(١) . . بل يسعون لجر الأمة إلى نكبة رابعة تزيدها إذلالا . . وتضاعف التعداد من أبنائها المشردين . . وتقدم للعدو أرضاً جديدة يثبت عليها وجوده اللقيط . . !

هذا موقف نسجله دونما زيادة فى التفاصيل . . فراغب الزيادة قادر عليها ، ويجد ضالته فى بطون الصحف . . وفيما تنقله كل يوم أجهزة الإعلام عبر إذاعات العالم

هذا موقف لا نجد فيه إلا الحرص على رعاية الوجود الصهيونى على أرضنا . . تباركه قيادة حزب البعث وتسهر على راحته أجهزته العسكرية والمدنية على السواء .

ولكن هذا ليس هو — أبداً — موقف المخلصين من أبناء الشعب . . فإلى هؤلاء . . وخاصة الرابضين فى المخافر الأمامية والمواقع المتقدمة . . نطير صرخة استغاثة ، ونطلق صيحة إنذار . . أن اقتدوا بإخوانكم فى الأردن ومصر . . واضربوا الوجود الصهيونى . . افتعلوا الحوادث أنتم . . لتجروه إلى مجزرة عقب مجزرة . . لا تتركوا له راحة أبداً . . فإن سكوتكم هذا . . ليس له تفسير أمام الله والأمة . . إلا أنه التواطؤ . . أو الخنوع الذليل ، تفضيلا لمصلحة الرتبة والراتب . . على كرامة الأمة ومصيرها ومستقبلها . . وفى هذا لعمرى من الجريمة ما يعدل التواطؤ . . إن لم نقل إنه يفوقه !

---

(١) كما وصفهم الرئيس جمال عبد الناصر فى أحد خطاباته بعد حرب حزيران .

القسم الثالث

أنوار في الطريق

. . وبعد النكبة هذه . . وخشية وقوع ما هو أسوأ . . وبعد أن أثبت الجيش « المفدى » عجزه عن صون الأمانة . . أصبح لزاماً أن تعود إلى صاحبها الحقيقى . . الشعب بمجموعه .

فأمانة الحفاظ على البلاد . . وصون مستقبل الأمة . . ومن ثم الانطلاق فى سبيل التحرير لإنهاء الوجود الغازى الدخيل – وكل وجود غريب – على أرضنا . . أصبح فرضاً على الشعب كله أن يستردها ويمارس بنفسه كل صور القتال ، ويبذل كل أنواع التضحيات . . لبزول العار . . وتطوى صفحته فى التاريخ ، على إنها لحظة من لحظات الضعف الإنسانى . . يعذرنا أمام أجيالنا ، إننا بادرنا إلى التخلص منها ، وعدنا فوراً إلى منطلقات قوانا ومرتكزاتها . . لمعاودة مسيرتنا « المفروضة » نحو المساهمة فى بناء حضارة الإنسان . . وإسعاده . . !

وإيماناً بحقنا – نحن الذين ما كانت لنا يد فى نكبتنا ، ولا حيلة لدفعها – فى الإدلاء بكل ما نراه كفيلا بهداية الصادقين الذين يتلمسون وسائل استعادة الحق ، ودفع العار . . وإسهاماً بجزء من الواجب الكبير الملقى على عواتقنا . . والمسئولين عنه أمام الله والأمة . . وإلى الذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا استكباراً . . العاملين بصمت صادق مخلص . . القادرين على تجاوز عقد التخلف المسبب لكل نكبة . .

إلى هؤلاء جميعاً . . سأحاول أن أضع على الطريق بعض الصوى . . فعسى الله أن ينفع بها . . وتكون معالم واضحة لمشكلتنا ، ونهتدى إلى أفضل حل للارتفاع من الهوة التى فيها سقطنا . .

- ١ -

عدونا في العراء

« الصهيونية هي العــودة إلى حظيرة الي
قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد » .

تيودور هرتزل ، من خطابه الافتتاحي للم
الصهيوني الأول في بازل (سويسرا) عام ٨٩٧
عن كتاب (المسلمون والحرب الرابعة) .

إن أهم ما يجب توضيحه وفهمه ، في موقف العدو منا وحقيقة أمره
هو الكشف عن الأسس التي عليها بنيت جميع مواقفه منا ، والتي تشكل
مجموعها ، **الروح الحقيقية التي تحركه في صراعه معنا لإبادتنا والحلول على أرض**

فعلى الرغم من كل التأثيرات التي أحدثتها حضارة الغرب العلمانية
الغرباء الذين حلوا بأرضنا لصوصاً غزاة ، وأقاموا دولتهم على أنقاض
في فلسطين وسيناء والجولان . .

هؤلاء الدخلاء . . الذين قدم إلينا معظمهم من بلدان سبقتنا في الحض
والازدهار العلمي والمادي . . وعلى الرغم من كل ما خلفت فيهم
الحضارة ، من آثار في السلوك الخلقي والاجتماعي . أو طراز الحياة اليومي
أو حتى في أساليب التفكير ، وعلى الرغم من كل ما يبدو لنا من مظا
انحلالهم وبعدهم — ظاهرياً — عن الدين . .

إننا على الرغم من ذلك كله . . نرى ونحس بوضوح ودقة ، **الرو**
الدينية التعصبية الحاقدة ، التي حركتهم ليهجروا مراتع طفولتهم وصب
ويأتوا إلينا غازين مستنفرين في كل لحظة ، ضاربين بالراحة والسعا
والاستقرار عرض الحائط . . مضحين بكل شيء من أجل إقامة دولتهم
الدينية التي تأمرهم كتبهم المحرفة بإقامتها على أنقاضنا .

وقد لا يبدو هذا واضحاً للمراقب إلا بعد التدقيق في نصوصهم

قديمها وحديثها — فيجد أن دهاقنة اليهود وراسمى أسس سياستهم ومدبرى خططهم الرهيبة لإقامة دولتهم والتحكم فى العالم كله . . إنما ينزعون عن قوس واحدة ، وينهلون من مورد واحد ، ويتحركون فى إطار موحد ، من الحقد والكراهية التى غرسها فى قلوبهم دينهم المحرف ، وتوارثوها جيلا بعد جيل . ساعدهم على ذلك العزلة المطبقة التى فرضوها على أنفسهم والتقوقع الذى مارسوه طيلة الآلاف الماضية من السنين . . رغم تشردهم فى بقاع الله الواسعة .

هؤلاء الغرباء إذن ، جاؤونا مدفوعين بروح تعصبية غريبة من نوعها ، أشاعتها فى نفوسهم الفكرة التى أطلقها دهاقنتهم القدماء ، بأنهم هم شعب الله المختار ، وإن كل من فى العالم عبد لهم ، يرثون أرضهم وديارهم ، ويقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم . . تماماً ، كما فعل آل فرعون بهم فى مصر فى قديم الزمان . وتتمثل هذه الروح التعصبية اللئيمة فى النقاط الآتية :

١ — النقطة الأولى هى الفكرة الخبيثة . . التى بها يؤمنون هى أنهم دون سواهم « **شعب الله المختار** » وأن شعوب العالم الأخرى — ونحن منهم — حمير وكلاب وبهائم ، وإنه لا بد لهذا الشعب « المختار » **أن ينال من ملك إلهه** (الذى اختاره) ، ما تجيزه له هذه (**المختزة**) من حق السيادة والتحكم والاستغلال ، حتى ولو كان ذلك يستوجب الفتك والولوغ فى كل محرم .

جاء فى التوراة : « **لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض** »[1]

وتقول نصوص التلمود : « **سأل إسرائيل إلهه قائلا : لماذا خلقت سوى شعبك المختار ؟ فأجابه : لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم ! ! »**[2] .

ويقول التلمود أيضاً : « **إن الله خلق غير اليهود بالصورة البشرية إكراماً لليهود ، لأن غير اليهود وجدوا لخدمة اليهود ليلا ونهاراً بدون ملل ، ولا يوافق أن يكون خادم الأمير حيواناً له الصورة الحيوانية ، بل يجب أن يكون حيواناً له الصورة البشرية**[3] » . .

---

(١) سفر التثنية — إصحاح ٧ — الآية ٦ .
(٢) عن كتاب دفائن النفسية اليهودية — محمد على الزعبى — ص ٢٦ .
(٣) عن كتاب همجية التعاليم الصهيونية — بولس حنا مسعد — ص ٦٦ .

ويقول الربانى اليهودى (أباربانيل) : « **الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية . أما الشعوب الباقية فمثلة للحمير** (١) » .

وورد فى التلمود أيضاً : « **كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل ، يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يحتملوا عناء العمل**(٢) » .

وجاء فى العهد القديم : « **وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم . منهم تقتنون عبيداً وإماء ، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم ، منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكاً لكم ، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك ، تستعبدونهم إلى الدهر ، وأما إخوانكم بنو إسرائيل ، فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف**(٣) » .

٢ — والنقطة الثانية الكامنة فى الفكرة الخطيرة . . التى يتحركون وراءها وبها يتسترون ، **أرض الميعاد فى بلادنا** ، مستندين بذلك إلى نصوص هى غاية فى التحريف والباطل . ولو وضعت فى كل لحظة موضع النقاش العلمى المتزن ، لما صمدت . ولبرز فوراً زيفها وسخفها .

وانطلاقاً من هذه الفكرة ، وتستراً بهذه النصوص الباطلة ، أصر دهاقنة اليهود منذ الصرخات الأولى التى أطلقها رواد الحركة الصهيونية الأول . . أصروا على أن تكون دولتهم المنشودة فى أرض الميعاد . . (فلسطين) . . رافضين كل العروض التى قدمت لهم فى أماكن أخرى من العالم .

جاء فى العهد القديم : « **أما أنا ، فقد مسحت ملكى على جبل صهيون — جبل قدسى ، إنى أخبر من جهة قضاء الرب ، قل لى أنت يا ابنى — أنا اليوم ولدتك ، اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصى الأرض ملكاً لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل إناء خزاف تكسرهم**(٤) » .

---

(١) عن كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود — الدكتور يوسف حنا نصر الله — الطبعة الثانية — ص ٦٨ .

(٢) همجية التعاليم الصهيونية — ص ٧٧ .

(٣) سفر اللاويين — الإصحاح الخامس والعشرين ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) مزامير . مزمور ٢ : ٦ — ٩ .

— « فى ذلك اليوم قطع الرب من إبرام (إبراهيم) ميثاقاً قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات(١) » .

— « وقال يعقوب ليوسف : الله القادر على كل شىء ظهر لى فى لوز فى أرض كنعان وباركنى ، وقال لى ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم ، وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً(٢) ».

— « الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا : كفاكم قعود فى هذا الجبل ، تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الآموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ، أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات ، انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم(٣) » .

— « لم نأخذ أرضاً لغريب ، ولم نستول على شىء لأجنبى ، ولكنه ميراث آبائنا الذى كان أعداؤنا قد استولوا عليه ظلماً(٤) » .

وفى العصر الحديث :

— « إن دولة إسرائيل قامت فوق جزء من أرض إسرائيل(٥) » .

— « تتألف كل دولة من الأرض والشعب ، وإسرائيل لا تشذ عن هذه القاعدة ، غير إنها دولة لم تأت مطابقة لأرضها وشعبها . . وأضيف الآن : إنها قامت فوق جزء من أرض إسرائيل فقط .فالبعض يتردد بصدد استرجاع حدودنا التاريخية التى جرى رسمها وتعيينها منذ بداية الزمان ، وحتى هؤلاء لا يسعهم إنكار الشذوذ الذى تمثله الحدود الجديدة(٦) .

— « . . لعلك تذكر يا سيدى الجنرال ، لقاءنا فى يونيو سنة ١٩٦٠ ، لقد سألتنى حينذاك : ما هى أفكاركم الحقيقية عن الحدود الفعلية لإسرائيل ؟

---

(١) تكوين . إصحاح : ١٥ — ١٨ .

(٢) تكوين . إصحاح : ٤٨ — ٣ ، ٤ .

(٣) التثنية — الإصحاح الأول — : ٦ — ٨ .

(٤) سفر المكابيين الثانى : ١٥ — ٣٤ .

(٥) ص ٢١٧ من الكتاب الحكومى السنوى لإسرائيل ، للعام ١٩٥٢ ، انظر كتاب : ابن غوريون ص ٢٠٢ — تهانى هلسة — من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية .

(٦) ص ٢٠٤ من كتاب ابن غوريون . من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية .

أخبرني عنها ولن أقول لأحد . . ! لقد أجبتك عندئذ قائلا : « لو إنلك سألتني هذا السؤال منذ خمس وعشرين سنة ، لأجبتك أن الحدود التي نريدها ، هي : نهر الليطاني شمالا ، ونهر الأردن شرقاً . أما جوابي على سؤالك الآن، فأقول لك : ليست لنا أية مطامع إقليمية في الوقت الحاضر..(١)»

ويقول هرتزل : « المساحة من نهر مصر إلى الفرات ، لا بد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا ، يكون فيها الحاكم يهودياً . . وما أن تصل نسبة السكان اليهود إلى الثلثين حتى تفرض الإرادة اليهودية نفسها سياسياً(٢) » .

وهم بهذه الفكرة الخبيثة ، فكرة أرض الميعاد ، إنما يخفون أطماعاً استعمارية رهيبة . موجزها أنهم يحلمون بالسيطرة على مفتاح العالم وعقدة مواصلاته ومنبع ثرواته ، ومدفن كنوزه . . هذه القارة العربية الهائلة ، التي حلم بها كل طامع عبر القرون ، وسعى للفوز بها كل من فكر بالسيطرة على العالم كله . واليهود اليوم . . لا يختلفون عمن سبقهم من الغزاة — من زاوية التفكير والأطماع هذه فقط — ، ولقد بدأوا مطالبتهم بأسلوب خبيث مدروس ، فأظهروا أنفسهم بأنهم الشعب المسكين المسالم الذي لا يحلم بغير دويلة صغيرة في أرض فلسطين ، ذلك الجزء الصغير من الأرض العربية ، التي إن تخلى العرب عنها لهم ، فلن يخسروا شيئاً كثيراً بالنسبة لاتساع الأراضي عندهم وامتدادها ! !

وما أن ثبتوا أقدامهم على أرض فلسطين ، حتى أصموا آذان العالم بصراخهم وعويلهم ، يلحون على أسماع الشعوب .. بأنهم لا يريدون أكثر من العيش بهدوء وسلام مع جيرانهم . . هؤلاء المتوحشين الذين حتى الآن ، لم يكفوا عن التربص بهم . . وتحين الفرصة لابتلاعهم .

وهكذا كان . . طيلة العشرين عاماً الماضية . . حتى جاء يوم العار ، فخلع الذئب عن نفسه جلد الحمل ، وكشر عن أنيابه ومخالبه ، وهجم على الحملان المتسترة بجلود النمور . . فمزقها وشردها واحتل أرضها وديارها ، وداس كرامتها ، ومرغ شرفها . . في الوحل (على الأقل) .

والآن . . وبعد أن تمكنت أقدام العدو في الأرض ، وبعد أن أسكرته خمرة الانتصار الخاطف . . بدأت ترتفع عقيرته بالصياح يعلن أن أرض

---

(١) من خطاب وجهه ابن غوريون إلى الجنرال ديغول عقب حرب حزيران . (عن كتاب : المؤامرة ومعركة المصير — سعد جمعة — طبعة ٣ — ص ٣٥) .

(٢) عن جريدة (الأنباء) اللبنانية ، ملحق العدد ٨٦٤ ، السبت في ٤ كانون الثاني ١٩٦٩

الميعاد ليست فلسطين وحدها ، بل هي من النيل إلى الفرات (راجع النصوص فى الصفحات السابقة) .

وكشف العدو عن جزء آخر من أطماعه . . وأخذ يعمل بجد ليصل إلى الحدود المقررة للمرحلة القادمة من وثباته . ومن يدرى . . لعله فى الوثبة القادمة — إن تمكن — سيطالب بجنوب اليمن ، ومضيق جبل طارق ، وخليج البصرة ومضيق البوسفور ؟ .

٣ — وتقع النقطة الثالثة فى اعتقادهم الذى يكمن وراء كل ما يفعلون ومن أجلها ينكلون بالعرب القاطنين معهم . هى أن الأرض التى يحتلونها ، **يجب أن تكون لهم وحدهم** ، لا يعيش عليها معهم غيرهم ، وهم لتحقيق ذلك ، يبيدون ويشردون ، ويفعلون كل ما يمكن ، لتخلو لهم الأرض دون سواهم ، يشهد على ذلك ما نسمعه كل يوم ، وما تنقله إلى أسماعنا مع كل نشرة أخبار ، موجات الأثير . من أنباء الإبادة الجماعية فى السجون ، أو فى أماكن الاعتصام ، أو حتى فى الشوارع ، حين يطلق جند العدو النيران بلا حساب على العزل الآمنين ، وعلى النساء اللاتى خرجن يطالبن بعودة أزواجهن وأبنائهن إليهن . وما تنقله وكالات الأخبار ، وصحف العالم الغربى بالذات ، عن الاستفتاءات التى تنظمها المنظمات والمؤسسات اليهودية فى إسرائيل وبعض بلدان أوربا ، يسألون اليهود فيها عما يجب فعله بالعرب ، فيكون الجواب — حتى من الصغار الذين لم يمارسوا الحرب بعد — ، واحداً دوماً ، وهو . . اقتلوهم ، أبيدوهم ، لا يصح أن يبقوا أحياء ، هؤلاء المتوحشون ، الهنود الحمر (١) . . إلخ .

وإننا حين نقول هذا الكلام .. نحن على ثقة أن اليهودى — مطلق يهودى — لا يحمل لغيره من شعوب الأرض إلا العداء والحقد ، ومن لا يصدق فليقرأ نصوصهم .

جاء فى التوراة : « إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولا ، قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى . وفحصت وفتشت وسألت جيداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عمل ذلك الرجس فى وسطك ، فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع

---

(١) « . . كان من نتيجة ذلك أن ٦٠٪ من طلاب المدارس الابتدائية الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٤ سنة ، يؤيدون الإفناء الكلى للسكان العرب المدنيين المقيمين فى داخل الأراضى المحتلة ، فى حالة نشوب حرب مع الدول العربية (مجلة : « نظرة جديدة » الإسرائيلية الشهرية ، عدد كانون الأول ١٩٦٦ ، استناداً إلى استفتاء أجراه بعض علماء الاجتماع فى إسرائيل (عن كتاب : المسلمون والحرب الرابعة ص ١٩٨ ، ١٩٩) .

كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد »(١) .

— « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء و الأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً ، الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك(٢) » .

فهل نستغرب بعد هذا أن نسمع التهديدات يطلقها موشى ديان وأمثاله من متطرفى اليهود بأنهم سيحرقون نابلس أو غزة أو الخليل . . أو تهديمها على رؤوس أهلها ؟ .

إن المستغرب أن لا يلجأ العدو إلى فعل ذلك . . وما ذاك إلا بناء على مخطط مرحلى لئيم وخاصة وإن العدو قد محا من الوجود قرى عديدة . ومن أهمها قلقيلة فى الضفة الغربية وجباتا الزيت فى الجولان . . . إلخ .

ولقد ورد فى تلمودهم : « **حطم الصالحين من بين الأجانب(٣)** » .

وجاء فى التوراة : « **ينزلون نقمتهم بالأمم ، وتأديباتهم بالشعوب ، ويأسرون ملوكهم وأشرافهم بأغلال من حديد ، وينفذون فيهم الحكم المكتوب(٤)** » .

— « **رنموا للرب الساكن فى صهيون — أخبروا بين الشعوب بأفعاله لأنه مطالب بالدماء ، ذكرهم ، لم ينس صراخ المساكين(٥)** » .

---

(١) سفر التثنية . الإصحاح ١٣ .

(٢) سفر التثنية . الإصحاح ٢٠ ، ومعلوم أن العرب هم القسم الأعظم من الشعوب التى ورد ذكرها هنا وفى مواضع أخرى كثيرة من التوراة ، وهم الذين سكنوا فلسطين وما حولها قبل إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه .

(٣) همجية التعاليم الصهيونية . بولس حنا مسعد . ص ٩٣ .

(٤) مزامير . فصل ١٤٩ .

(٥) مزامير . المزمور التاسع ، ١١ ، ٢١ .

— الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب والكلاب(١) » .

— « وقال الرب لموسى وهارون ، هذه هى فريضة الفصح ، كل ابن غريب لا يأكل منه .: النزيل والأجير لا يأكلان منه »(٢) .

— « احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً فى وسطك »(٣) .

ويقول الحاخام آبربانيل : « ليس من العدل بشىء استعمال الرحمة نحو الأعداء(٤) » .

ويقول تلمودهم : « إذا ضرب أمى (غير يهودى) إسرائيلياً ، فالأمى يستحق الموت »(سنهدرين ، ص ٢ ، ٥٨)(٥) .

ويقول تلمودهم أيضاً : « إن النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية ، هى نطفة حصان » (تلمود أورشليم ، ص ٩٤)(٦)

ويقول كذلك تلمودهم : « . . ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من باقى الأمم من هلاك . . »(٧) .

وتبلغ الوحشية فى تعاليمهم ونصوصهم التى تسيرهم فى علاقاتهم معنا ، ذروة الإجرام والحقد الدفين ، انظر إلى تلمودهم يقول لهم : « اقتل صغيراً ، كبيراً ، بقراً ، جمالا ، حميراً . اجعل المدينة تلا . . »(٨) .

أو ليس هذا الذى فعلوه عيناً ، فى دير ياسين ، وقبية ، ونحالين . والقدس . وغزة . والضفة الغربية . . ؟

وحتى نصوصهم فى العصر الحديث . . لا تخرج عن روح اللؤم والحقد والإجرام هذه .

انظر إلى أقوال هرتزل : « يجب أن يكون شعارنا : (كل وسائل العنف والخديعة(٩)) » .

— « إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسى فى قوة العدالة ، فيجب

---

(١) سفر الخروج ١٢ ، ١٣ .

(٢) سفر الخروج — إصحاح ١٢ — ٤٣ ، ٤٥ .

(٣) سفر الخروج — إصحاح : ٣٤ — ١٢ .

(٤) همجية التعاليم الصهيونية ص ٦٨ .

(٥) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ٦٦ .

(٦) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ٦٧ .

(٧) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٨) دفائن النفسية اليهودية ص ٥٨ .

(٩) بروتوكولات حكماء صهيون — البروتوكول الأول

أن نتمسك بخطة العنف والخديعة ، لا من أجل المصلحة وحسب ، بل ومن أجل الواجب والنصر أيضاً(١) » .

ـ « حينما نمكن لأنفسنا ، ومتى ولجنا أبواب مملكتنا ، لا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا ، أى الدين المعترف بوحدانية الله ، الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا ، كما ارتبط بواسطته مصير العالم بمصيرنا ، فيجب علينا لهذا السبب ، أن نحطم كل عقائد الإيمان . . »(٢) .

وحتى موشى ديان . . فقد عبر عن هذه النفسية اللئيمة ، فى تصريح له لمجلة « لوك » الأمريكية ، فقال : « إن معظم الإسرائيليين يفضلون أن يتخلصوا من العرب المقيمين فى الأراضى الجديدة المحتلة ، مع الاحتفاظ بهذه الأراضى(٣) . . » .

ولقد سجل الله تعالى منذ أربعة عشر قرناً ، شهادة دامغة ضدهم ، تصمهم حتى قيام الساعة ، فقال جل شأنه :

« ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل(٤) » .

« أم لهم نصيب من الملك ، فإذا لا يؤتون الناس نقيراً(٥) » .

وحكى الله تعالى عن لؤمهم وعدم ثقتهم بأحد دون اليهود ، فقال يصف حالهم :

« وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله . . . »(٦) .

صدق الله العظيم . . وفقئت أعين لا ترى . . وصمت آذان لا تسمع . وطبع على أفئدة لا تفقه ، إن هى إلا كالأنعام ، أو أضل سبيلا .

٤ ـ والنقطة الرابعة والأخيرة تقع فيما يحرك حقدهم ضدنا ، من خلال حقدهم على الإسلام ، وسعيهم الدائب لإنهائه والقضاء عليه .

نعم . . الإسلام الذى كشف كفرهم وحقدهم وكل مخازيهم وسفالاتهم . الإسلام الذى أخرجهم من الجزيرة أذلة صاغرين ، وأفقدهم آخر حصونهم ومواقع عزتهم ، فى يثرب وخيبر وتيماء .

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ـ البروتوكول الأول .
(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ، البروتوكول الرابع عشر .
(٣) عن صحيفة (الأنباء) اللبنانية ، ملحق العدد ٨٦٤ ، السبت فى ٤ كانون الثانى ١٩٦٩
(٤) آل عمران الآية ٧٥ .
(٥) النساء ـ الآية ٥٣ .
(٦) آل عمران ـ الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .

الإسلام الذى كانوا ينتظرون أن ينزل بينهم ، وأن يبعث فيه بنبي من بين ظهرانيهم . . فلما وجدوه بعث من نسل إسماعيل . . حقدوا عليه ، وحاربوه . . وتاريخهم معه طويل .

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين(١) » .

ونظراً لارتباط العرب بالإسلام ، وارتباط الإسلام بالعربية ونظراً لأن أوروبا الصليبية ، واليهود الحاقدين ، لا يفهمون من العربية إلا أنها الإسلام ، ولا يستطيعون أن يتصوروا أن يكون للعرب كيان بغير الإسلام ، . . نظراً لأن العرب هم الذين (لطشوا) منهم — كما يعتقدون — النبوة الأخيرة ، وأخرجوهم من مواقع عزتهم ، وبسطوا سلطانهم على « أرض الميعاد » . نظراً لكل ذلك ، فهم إنما يوجهون كل حقدهم على العرب ، يبغون إبادتهم ، واحتلال أرضهم ، وإزالة مقدسات المسلمين منها ، وبذلك — كما يعتقدون — يقضون نهائياً على الإسلام . . . ويدكون آخر حصونه ثم يتفرغون للتحكم بالنصرانية وتصفية الحساب معها .

هذه النقاط **الأربع** التى أتينا على ذكرها ، تشكل فى مجموعها **الكيان الروحى الدينى المتعصب الذى يلف الذات الإسرائيلية** ، ويدفع بقادتها إلى التحرك ضمن هذا الإطار ، فى عجز فاضح ، يشل قواها عن التحرر منه ، والتحرك خارجه فى رحاب التسامح ، والإسهام فى رفع حضارة الإنسان صعداً . . . وهذه **الروح الدينية الحاقدة الدفينة** المتأصلة فى أعماق الإنسان اليهودى — حيثما وجد — هى التى حركت منذ البداية ، طلائع الحركة الصهيونية للعمل الجاد الدؤوب . . . حتى حصلت على حلمها الذهبى . . . وتملكت أرضنا المقدسة ، . . . وهى نفسها **الروح التى** دفعت بجند إسرائيل لاحتلال ما احتلوه فى حزيران العار ، . . . وهى نفسها **الروح التى تحرك اليوم قادة العدو وجنده** للتنكيل والاعتداء . . . بغية الحصول منا على فروض الطاعة والذلة والاستسلام . . .

هذه الروح الدينية المتعصبة الحاقدة . . . هى وحدها ، التى كانت وراء التفوق العلمى والفنى والحضارى . . . ثم العسكرى ، لدولة العدو . . . على دولنا وجيوشنا وقادتنا أجمعين .

---

(١) البقرة — الآية ٨٠ .

ولقد حرصت الأجهزة الفاجرة لدولة البعث . . . على إخفاء معالم **هذه الروح** عن الشعب . . . وتجهد اليوم لتحجب عن ضمير المواطن كل ما من شأنه أن يذكره بأن العدو يقاتلنا منطلقاً من دينه الذى يؤمن به — على فساده وبطلانه ، ولكنه يؤمن به مطلق الإيمان — ، بل . . . وتكاد تنبح الحناجر الناعقة ، تصر بفجاجة مرة . . . على أن دولة العدو . . . إنما هى قاعدة النفوذ الاستعمارى الامبريالى الرجعى الفاشستى النازى الـ ... إلخ ، تماماً كما تصر الـ (. . .) بفجورها وتهتكها . . على إقناع الأشراف أنهم هم الفجرة ، وأنها هى (الطاهرة البتول) .

وطبيعى أن تقف أجهزة التآمر ، ومواقع الخيانة مثل هذا الموقف . . . ومنطقى أن تنكر هذه الزمرة ، كل ما من شأنه أن يجعلها تعترف — ولو عفوياً بصورة غير مباشرة — بأثر **هذه الروح الدينية وأثر الإيمان فى صمود القوات** والأخذ بيدها إلى طريق النصر ، وهى . . . هى التى دأبت منذ تعربشت على السلطة فجر الثامن من آذار ١٩٦٣ ، على تدمير روح الإيمان ... وإفساد عقيدة الشعب ، وإذلال كرامة المواطن ، ونسف كل ما من شأنه أن يجعله يعتز بإيمانه وتراثه ، ويدفعه للبذل — مهما غلا البذل — للحفاظ على هذا الإيمان ، وحماية هذا التراث .

مثل هذا الموقف . . . يسوقنا — ولو أطلنا الحديث بعض الشيء — إلى الاستطراد والتذكير — فى موقف المحاسبة هذا — بجرائم هذه الزمرة . . . وبأعمالها التى أقدمت عليها ، انتهاكاً لكل المقدسات ، واستهزاء بدين الشعب وعقيدته .

أو ليست هذه الزمرة هى نفسها التى قصفت المساجد فى حماة وحمص بنيران الدبابات والمدفعية والطيران ، فى نيسان من عام ١٩٦٤ ؟ أوليست هذه الزمرة هى نفسها التى أمرت بإهانة المصلين المسلمين والتعرض لهم بالضرب والشتم ، فى طرطوس عام ١٩٦٤ ، ووقفت تحمى زمر التخريب الحاقدة ؟

هل يمكن أن ننسى أن هذه الزمرة هى نفسها التى ضربت بالرشاشات أربعة آلاف من المصلين فى المسجد الأموى فى دمشق ، وهاجمت المسجد بالآليات المصفحة وقتلت على باب الجامع عدداً من المصلين ، واعتقلت الألوف منهم لتنكل بهم وتذيقهم آخر ما توصل إليه الفن البعثى الحاقد من أساليب التعذيب والإذلال والتصفية الجسدية ؟

أم إننا ننسى أن الزمرة هي هي . . . نفسها ، التي (دفعت) « عميل المخابرات المركزية الأمريكية[1] . . . المرشح إبراهيم خلاص » ، ليكتب مقاله المشهور « المدسوس على مسيرة الثورة[2] » . . . والذي يطالب فيه بـ « خلق الإنسان العربي الاشتراكي الجديد » ، ويطالب كذلك فيه بـ « وضع الله[3] — والأديان — والمترفين — والمتخمين — والإقطاع و . . . إلخ — دمى محنطة في متحف التاريخ » ؟ ؟ .

ومتى كان ذلك . . ؟ . كان قبيل الحرب . . . في الوقت الذي كان يتحرك فيه حاخامو الجيش الإسرائيلي يتلون المواعظ ويذكرون الجند بدورهم (التاريخي) ويردونهم إلى حدود التدين والتوبة إلى إله إسرائيل . . . . في الوقت نفسه . . . نتأ إبراهيم خلاص ، يعبر عن حقد وعفن النفوس التي تتحكم في رقاب الشعب اليوم ، لتكمل دورها (التاريخي أيضاً) . في التخريب وتصفية كل جيوب المقاومة الإيمانية التي قد تقف وقفة الصمود في وجه (الإسرائيليين) . . . القادمين بعد ما يقارب الشهر ونصف الشهر . لتسلم (الأمانة) التي احتفظ لهم بها وكلاء كوهين . . . ويذيعوا لهم مسبقاً عن سقوط القنيطرة . . . لتفويت فرصة الصمود على كل مخلص بقي عنده شيء من إرادة القتال والمقاومة .

(١) هكذا قالت عنه أجهزة الإعلام الرسمية بعد انكشاف أمره ، وتطور القضية نحو احتمالات الصدام بين الشعب والسلطة . . . وذلك في محاولة منها لستر جريمتها ولفلفتها بعد إن أخذت مداها في التخريب المقصود والمخطط له .

(٢) من التعابير التي وصفت أجهزة الإعلام بها ذلك المقال للتنصل من مسئوليتها فيه . وقد كان ذلك في العشر الأخير من نيسان عام ١٩٦٧ .

(٣) جل جلاله وتعالى عما يصفون .

- ٢ -

نحن .. والقضية

« ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليماً حكيماً » .

(سورة النساء ١٠٤)

« فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . . . » .

(سورة محمد ٤)

(أ) ونتيجة لموقف العدو منا ، ونواياه تجاهنا . واستجابة لأوامر الله الذى يدعونا إلى رحاب العزة والإيمان . .

واستقراء لشواهد سوابق من أحداث التاريخ . . . فى علاقات الشعوب بالأرض . . .

يتحدد أمامنا بأوضح ما يكون . . ما يجب أن يكون عليه موقفنا ، وسلوكنا ، واتجاه حركة الأحداث ، الذى إليه يجب أن نوجه كل طاقاتنا . . . لاسترداد ما فقدنا . . .

هذا الاتجاه . . . الوحيد ، والمحتوم . . . شئنا أم أبينا ، هو :

إن هذه الأرض لا تتسع لنا مع الغرباء ،

هذه الأرض ، لا تحملنا مع أغراب دخلاء ، يريدون مقاسمتنا إياها ، والاستئثار بخيراتها ، . . . أبداً . هذه الأرض لنا وحدنا . . . نحن أصحابها الشرعيون ، ولنا وحدنا مطلق الحق فى أن نقبل عليها من لا يعادينا ولا يشكل خطراً علينا وأن نرفض كل دخيل غريب طامع بالأرض وكنوزها .

هذه الأرض . . . هى أرضنا ، شاء العدو أم أبى . . . وشاء العملاء الاستسلاميون ، أم أبوا . . . وشاء السادة الكبار الاستعماريون أم أبوا . . .

هذه حقيقة يجب أن نتمثلها فى كل لحظة من لحظات عمرنا . . . يجب أن نملأ بها قلوبنا وأعيننا . . . وعليها يجب أن تبنى آمالنا ومطامحنا . . .

هذه الأرض لنا وحدنا . . واليهود الإسرائيليون هم دخلاء . . غرباء . . أعداء . . نعم أعداء . . نقولها بملء أفواهنا ، ونصم بها آذان العالم كله . اليهود الإسرائيليون . . . هم أعداء أتوا أرضنا غزاة مجرمين . . . ويجب أن يخرجوا منها مطرودين أذلاء ، . . . أو نقبرهم فى أرضنا جيلا بعد جيل ، أو . . . يتمكنوا من إبادتنا جميعاً . . . والحلول على حطامنا . . . وعندها لن يبقى من يندم على شىء . . . إذ نكون قد أدينا واجبنا . . . ومتنا كما يموت الكرام .

إن كل غربان الشؤم التى تنعق اليوم ، بنغمة الأمر الواقع(١) . . . وتقبل ما حدث . . . والارتفاع فوق الأحقاد العنصرية و . . . كل هذه الأصوات . . . هى أصوات المجرمين اليساريين الثوريين . . . الذين صنعوا هذه النكبة لنا . . . ويريدوننا أن نتقبل ما حدث . . . لأن قبولنا إياه ، يعنى صرف النظر عن محاسبتهم عما اجترحوا من سيئات ويعنى إقرارنا بشرعية جرائمهم التى ساقتنا إلى هذه النكبة .

ولقد ثبت لكل ذى بصيرة ، أن كل ما أنفقته الدعاية الإسرائيلية خلال السنين الطويلة لإقناعنا وغيرنا ، أنها لا تريد إلا السلم والاستقرار معنا . . . هو كذب كله . وهو ضحك على ذقون السذج البسطاء . . .

إسرائيل تريد فناءنا . . فلنرد فناءها . . حتى ولو فنينا عن بكرة أبينا .

لنوطد العزم على القتال المرير . . . الطويل . حتى تطهر الأرض ، وتعود إلينا كما كانت . . . صافية حرة حبيبة إلى القلوب . . مفداة بنور العيون ، محمية بالمهج والأرواح ، وكل غال من المال والأحباب .

إن كل الدعوات التى توصل إلى قبول العيش مع إسرائيل فى بلادنا . . . مرفوضة ، بل هى دعوات مجرمة لئيمة سواء أصدرت من العدو نفسه أو ممن يسانده من دول الاستعمار والظلم ، أو دعوات خائنة متآمرة إن هى صدرت عن هيئات أو حكومات أو مؤسسات أو أقلام عربية مهما كان البرقع الذى يلف الدعاة هؤلاء ، جميلا أخاذاً .

---

(١) انظر كتاب عرب ويهود . ص ٢٥ . للدكتور سامى الجندى .

يجب على كل منا . . . نحن العرب والمسلمين . . أن نفهم ، ونؤمن ونتعلم ، ونعلم ونربي صغارنا على هذه الحقيقة ، ليتابعوا حمل الأمانة إن لم يتح لنا إيصالها إلى مأمنها . . .

هذه الحقيقة ، واضحة ، قوية ، موجزة ، تقول : إسرائيل بكيانها السياسي والاجتماعي والعسكري والاقتصادي هي عدونا . . . ولا عيش لها معنا . . . ولا بد من طردها أو إفنائها حتى تزول نهائياً كل تلك الكيانات الغريبة ونبقى وحدنا على هذه الأرض نفعل بها ما نشاء .

(ب) ويقودنا الاستطراد المنطقي ، في هذا البحث ، إلى أن نهتدي إلى الطريق الواجب ، والوحيد ، لحل أزمتنا وإنقاذ مستقبلنا ، وشرفنا ، ومصير أجيالنا . . . وهو الذي ليس أمامنا غيره . ، وهو الذي إن لم نفرضه نحن بعزة ورجولة ، فسيفرض علينا ونحن في أسفل دركات الخنوع والذلة . . .

هذا السبيل الوحيد ، هو :

القتـــال :

نعم . . . ! القتال . . . بملء الفم نقولها ، وبأعلى صوت ننادي بها . . . القتال يا عرب . القتال يا مسلمون . القتال يا رجال . . إن كان قد بقي في دنيانا رجال .

القتال . . . بكل وسائله وصوره وأحجامه وأبعاده . . .

القتال بكل وسيلة وبكل سلاح وعلى كل شبر من الأرض .. حتى تتحرر ، وتتطهر الأرض . وتعود إلينا الأرض . . حبيبة إلى كل نفس ، وقرة لكل عين .

القتال يجب أن يشن على الأرض المحتلة ، وعلى كل أرض قد يحتلها أعداؤنا أو من يساندهم . . . القتال بنظاميته وشبه نظاميته وبثوريته .

القتال جماعياً أو افرادياً . . . لا فرق .

المهم . . . أن نزرع كل شبر من الأرض بالقتال . بالنار . بالموت والدمار . بالرعب والقتل . المهم أن لا ندع لعدونا لحظة يستعيد فيها أنفاسه . عدونا يجب أن يضرب على رأسه ووجهه وظهره وبطنه وكل أجزاء جسده ، بكل سلاح ، وبكل ما يمكن أن يؤدي إلى موته والإجهاز عليه . . . أو يستسلم صاغراً ذليلا . . . ويتخلى عن كل كياناته التي يتغطرس بها الآن . . . وعندها . . نحن الكرام . . نوصله إلى مأمنه ، ونعيده من حيث جاء . . . ليبدأ مرحلة جديدة من التشرد والذل . . . أربعة آلاف سنة أخرى من التاريخ القادم . . . لا بأس ،

إن بين عدونا وبيننا مراحل طويلة وعميقة من التفوق الحضارى فى العلم والقدرة على الإنتاج . . . وهذا كله ، لن يتسنى لنا اجتيازه واستباق الزمن لوقف تطوره نحو مزيد من التفوق علينا . . . إلا بالنار . وبالقتال . . .

القتال بالبنادق . . بالرشاشات . بالمدافع والدبابات والطيران .

القتال بالعصى والخناجر . والحجارة .

بالعصيان والاعتصام .

بالزيت المغلى وزجاجات مولوتوف . . .

الذبح بالسكاكين . . وإحراق الممتلكات وتدمير كل إمكاناته الاقتصادية .

اشعال الأرض تحته جحيماً مستعراً .

إملاء الجو عليه بعبق الموت وروائح الرعب حتى يختنق ويستسلم .

قاتلوهم . . يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم .

قاتلوهم . . ولا تأخذكم بهم فى دين الله رأفة . . .

. . . إن عدونا جبان رعديد . . .

إن مانراه اليوم من غطرسة وانتفاش كالديك . . سببه غياب الصقور من الجو .

إن استئساد الكلب . . . سببه غياب الأسد عن عرينه . . . من ذئب كاسر ، إلى أرنب جبان ، يرتعد فرقاً . . . ويختفى من طريق الصياد تحت كل جبة شوك ، أو نتوء صخر .

ولكن . . . كيف السبيل إلى القتال ؟ .

(ج) هذا السؤال يلح على الأذهان . . وينتظر الإجابة الصريحة .

إن القتال . . واقع لا محالة . هذا أمر تسوقنا إليه الأحداث المتسارعة . . ويفرضه منطق الحياة . . وتؤكده سنن الله فى هذا الكون . . ويدل عليه الاستقراء الواعى لأحداث التاريخ .

ولكن . . . هل نبقى نحن . . ننتظر المصير بذلة ومهانة . . أم نسابق عمرنا إلى ذلك المصير بكرامة وعزة ، فنكسب شرف الفداء ، ونغرس فى أجيالنا القادمة نبل التضحية ، وعظمة النضال من أجل عدالة القضية ؟ .

إن من واجبنا . . . نحن جيل النكبات ، أن نسارع لاستباق الأحداث ، وفرض القتال على العدو الإسرائيلى فى الشروط التى نريدها نحن . . لا أن نترك له فرصة الاستعداد والتدبير ، حتى ينقض علينا كالذئب الجائع فى ليلة باردة ثم يتركنا فى ذهول الحملان ... بعد أن أعملت فيها وثبة الذئب تمزيقاً وتشريداً .

والطريق إلى ذلك واضح . . .

فالخطوة الأولى على الطريق هى فى :

١ ـ التخفيف من متع الحياة الرخيصة التي غمرتنا بها المنجزات الحضارية المادية ، خلال مدها الطاغي على شرقنا المنكوب .

إن مجتمعاتنا بأشكالها ومحتواها كما هي اليوم . . . غير مؤهلة لخوض القتال ـ أي قتال ـ ، فلا بد من تغيير كبير في ملامح مجتمعاتنا . . . في طراز حياتنا . . في طرق تعاملنا . . في نوعية أكلنا وشربنا ولباسنا وسكنانا . . في طرق ثقافتنا ومنابع تعلمنا وتعليم أجيالنا . . .

إن هذا التغيير المطلوب ، لا بد آت مهما حاولت قوى التأخير إعاقته عن أخذ مجراه . . . لإحداث الانقلاب المطلوب في حياتنا . . .

إننا على أبواب هذا التغيير الحاسم في صورة مجتمعنا ومحتواه ، وإننا لنلمس بوادر هذا التحول . . . في أمور أخذت تقع ، وظواهر تتكرر كل يوم . . . تدل أبلغ الدلالة على التغيير الكبير الذي نحن مقبلون عليه .

ولكن واجبنا نحن . . . إن كنا مخلصين لأنفسنا وأولادنا ـ على الأقل ـ أن ندفع بعجلة التطور دفعاً حثيثاً إلى الأمام لنتمكن من دخول السباق مع الزمن ، ونتعجل صورة المجتمع المطلوب ، المهيأ لخوض القتال الفاصل مع قوى العدو المختلفة .

وكيف ذاك . . . وماذا يمكننا أن نعمل لتحقيق التغيير المطلوب بأقل مهلة زمنية ممكنة ! .

الأمر في غاية البساطة . . .

لا بد لذلك من الكف عن الجري وراء المتع الرخيصة من كل جنس ولون . . . وتوفير أثمانها لشراء السلاح والإعداد للحرب . إن مقاطعة الكماليات وأدوات الزينة والأزياء ومجالس اللهو العابث وحانات المجون . . شيء فاصل في دأبنا لتحقيق التغيير المطلوب .

يجب أن يتوقف هذا السباق المجنون للحصول على الثروات وتكديسها في البنوك ـ داخل البلاد وخارجها ـ ، دونما فائدة نجنيها من تكديسها سوى السماح لقوى خصمنا باستغلالها والإفادة منها في مشاريعه للتقوي على حسابنا ؛

يجب أن يزول من مجالس سمرنا التفاخر بمقدار الثروات ، أو عدد البنايات ، أو نوع السيارة أو أثاث البيت ومحتوياته من الرياش والفراش . . . ليحل محله الحديث عن الحرب . . . عن الفداء . عن فلان الفدائي الذي ذهب من عائلتنا واستشهد في مكان كذا . . . عن فلانة المجاهدة التي قدمت من أولادها كذا للقتال ضد اليهود . . . عن فلان المجاهد الذي عاد مؤخراً

وفى جعبته إثبات بأنه قتل عدد كذا . . . من يهود إسرائيل . . . هكذا التفاخر وهذا ليكن حديثنا كل يوم . . . وكل ساعة ، وكل ليلة .

ليكن حديثنا عن أفضل أساليب القتال والنضال ضد العدو الإسرائيلى . . . بدلا من مناقشاتنا حول أفضل السبل لتجميع الثروات وكسب الأرباح الأكثر فحشاً .

هذا التهتك والعرى السافر يجب أن يزول — بأى أسلوب — ويجب أن يحل محله تفاخر البنات والسيدات بلباس القتال ... وعدد الرمايات . . وإتقان أساليب الإسعافات ... وأفضل السبل لتربية الأبناء كى يشبوا مقاتلين رجالا .

هذه الصور الفاضحة فى صحافتنا للفاجرات الساقطات . . . يجب ن تختفى . . وتحل بدلا عنها ، صور المناضلات بلباس القتال . . أثناء التدريب . . . أو فى أرض القتال . . . أو حتى أمام محاكم العدو . . . لا بأس .

الورق والحبر الذى ينفق والوقت الذى يهدر للتحدث عن الجنس والرذيلة يجب أن نعرض عنه ... فيكسد ، ولنسع لنحل محله الحديث عن الحرب . . . تعليم الناس طرق القتال ضد الغزاة ... شرح المعارك الفاصلة فى تاريخنا . . . الكلام عن أفضل السبل لتحطيم القوة العسكرية المتغطرسة للعدو .

وحتى الطعام والشراب . . . يجب أن نتخفف منهما ، ونحن على ذلك قادرون ، بدلا من أن تفاجئنا المجاعة ونحن لها غير مستعدين . يجب أن نتخلص من هذا التنوع المضيع للوقت والمال والصحة فى الأطعمة والأشربة . فالأمم لا تبنى حضارتها على بطون الأكلة المتخمين ، بل على عقول المفكرين — ومنهم من يمضى أياماً ناسياً طعامه وشرابه — ، وعلى سواعد العاملين الجبارين الذين يأكلون ما خف من الطعام . . . على الماشى دون إضاعة الوقت .

لقد أثبتت لنا حرب فيتنام أن مجد الأمم ، يمكن ، بل وغالباً ما يبنى على أجساد المناضلين النحيلة ، الغائرة عيونها من الجوع . . . إن أجدادنا كانوا فى معاركهم الفاصلة يقتسمون حبة التمر الواحدة بين اثنين أو أكثر من المقاتلين . . . ولم يهزموا ويتوقف زحفهم ومدهم إلا حين أثقلهم المتاع ، وملأ بطونهم اللذيذ من الطعام والفاخر من الشراب .

إن بلادنا واسعة .. وخيرة .. ويمكنها أن تنتج لنا من الفول والعدس والقمح والشعير ما يكفى لإطعام الملايين المتعاقبة من المجاهدين الذين يجب أن يتدفقوا على أرضنا للإسهام فى شرف تخليص الأرض المقدسة من أعداء الله والإنسان .

مثل هذه الأمور . . . لا بد أن تحصل ، وهى فى متناول أيدينا ، ليست

خيالا ، ولا حلماً في ساعة شرود الذهن . إنها واقع يمكن تحقيقه . و يمكن من خلاله تمحيص نفوسنا وتهيئتها لدورها التاريخي الفاصل .

إن هذه الأمور وأمثالها ... لا تحتاج لجهد حتى يتم تحقيقها ... أمور ممكنة ... تسوق هي بدورها نحو مراحل أعلى وأفضل ... من التغيير الجذرى الفعال ... حتى تختفي الصورة الحالية الممسوخة لمجتمعاتنا .. وتحل مكانها الصورة المنشودة .. المجتمع الحر ، المقاتل .. الذى يجود كل يوم بوجبات تلو الوجبات .. يدفعها إلى ميدان القتال .. لتحرير الأرض ، وسقيها بالدم الطهور .

إن البداية في طريق التغيير .. لا تحتاج إلا إلى مقدار بسيط من إرادة التغيير ... والقدرة على التضحية بمقدار ممكن ، من متع اليوم ... ورفاهية اليوم ... من أجل مستقبل مضمون ، إن لم يكن لنا فلأجيالنا ... ويبقى لنا نحن طيب الذكرى ... وحسن المثوبة على مقدار إخلاص النية .

٢ — والخطوة الثانية التي يجب أن نخطوها منذ الآن — دونما فارق زمنى بينها وبين الأولى — ، هي **الحصول على السلاح** .

.. ليبذل كل منا ما عنده .. ليشترى سلاحاً أو أكثر يستعد به لليوم الفاصل .

أيها الناس .. تبينوا مواقع أقدامكم . . واعرفوا أين أنتم سائرون .

في الإسلام .. الخطأ والجريمة أن يترك المؤمن سلاحه .. فالسلاح جزء من جسد المؤمن .. لا ينفصل عنه إلا بالموت .

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة »(١) .

(١) .. أما يكفي من تحذير ؟؟

.. نحن في ربع القرن الأخير .. فقدنا روح القتال .. فقدنا حبنا وشوقنا للسلاح .. استمرأنا حياة الذل المرفهة الطرية .. فتنا فالسيارة والشقة الفاخرة والأثاث الأنيق والديكور الفاتن ..

أضعنا وقتنا في التدريب على الرقص والتزلج واستخدام البيانو والكمان بدلا من التدريب على القتال وإتقان استخدام السلاح .

حتى الرياضة ، مللنا عن الأنواع القاسية العنيفة منها ، التي تربي روح

---

(١) النساء : ١٠٢ .

الرجولة والصبر والإقدام ، وزاد اهتمامنا بالرياضات الطرية اللطيفة مثل كرة الطاولة وكرة الريشة والبولنج .. إلخ .

لنعد إلى السلاح .. إلى المصارعة .. إلى القتال الوحشى .. إلى تسلق الجبال ، إلى المشى والجرى الطويل .. إلى الفروسية ومباريات الرماية .. إلى كل ما من شأنه أن يبعث الرجولة النائمة فى النفوس ..

ولا نسأل من أين يأتينا السلاح؟

إن إرادة الحصول عليه .. والإصرار على نيله .. كفيلان بتذليل كل عقبة تعترض ذاك السعى . مصادر السلاح أكثر من تحصى ..

إن سلاحاً واحداً فى يد قادر على استخدامه .. مصمم على الدفاع عن عن بيته – على الأقل – ليعدل كل مال الأرض ..

.. إن البنايات الفاخرة .. الضخمة .. المتعالية بأبراجها تطاول السحاب لهى أعجز من أن تدافع عن نفسها ضد رجل واحد يحمل السلاح ويتقن استخدامه.

لن تنفعنا القصور .. ولن تزيدنا الأبنية الكبيرة .. والأثاث الفاخر إلا تثاقلا إلى الأرض .. وعجزاً عن الهبوب كالبركان للدفاع عنها .. وعما هو أغلى منها وأبهظ أثماناً ..

إن الموائد العامرة .. والأطعمة المثقلة بكل أنواع اللذة .. لا تحتفظ برونقها إلا مقدار ساعة أو ساعتين .. ثم تمضى فى طريقها .. لتصبح فضلات ترمى فى أحط الأماكن وأقذرها ... بينما يعيش السلاح ويحتفظ برونقه وقيمته وجدواه عشرات السنين .. ما دامت تمسك به يد بطاشة يحركها قلب مؤمن جسور ..

وبعد شراء السلاح .. لنتدرب على إتقان استخدامه .. أينما كان .. وكيفما استطعنا .. فى البيت .. فى الحقل .. فى الجبل والوادى .. فى كل مكان .. لابد من إتقان استعماله ليعطينا المردود الأكبر من رؤوس اليهود الغزاة فى فلسطين .

ولئن سأل سائل . . ماذا يمكن أن يصنع المسدس أو البارود . . تجاه المدفع أو الطائرة المزودة بالصواريخ ؟ .. فنحن نجيب عندها .. أن على السائل أن يعود إلى تاريخ العلاقات بين العرب وإسرائيل منذ عام ١٩٣٨ وحتى حزيران العار فى عام ١٩٦٧ . . ثم لينظر إلى العلاقات بينهما منذ وقف النار عقب الحرب المسرحية وحتى اليوم .. وعندها نحن نسأل :

ماذا وجدت ؟

ماذا فعلت الطائرات لدى العرب مقابل الطائرات لدى العدو ؟
ماذا أجدت الدبابات لدى العرب تجاه الدبابات لدى العدو ؟
لقد كنا نملك أحدث السلاح وأفتكه .. أسرع الطائرات وأكثرها مرونة .. أدق المدفعية وأبعدها مدى .. أثقل الدبابات وأكثرها مرونة وقدرة على المناورة .. حتى الصواريخ .. أدق أجهزة اللاسلكي .. لقد كنا — على الأقل — نعدل عدونا بالتسليح .. إن لم نكن نفوقه ، ، فماذا فعلنا ؟ ..
العدو تفوق علينا بما هو وحده الكفيل بكسب الحروب — حتى فى حالة عدم التكافؤ القوى — .. الإيمان .. والتصميم .
إرادة القتال .. إرادة النصر .. العزيمة الثابتة التى جعلت العدو لا يضيع لحظة من الوقت دون جدوى .. الإخلاص الدقيق لقضية . مما جعله يستفيد من كل إمكانية تحت تصرفه مهما تفهت وصغرت .. لكسب الحرب ..
لم يك أحد يتصور أن تنطلق الطائرات فى رحلة كسب الحرب منذ ساعتها الأولى من على الطرق (الأوتوستيرادات) وليس من على مهابطها فى المطارات .
لم يك أحد يتصور — حتى القادة الكبار وقد اعترفوا بذلك — .. أن تأتى الطائرات من الغرب .. بدل أن تأتى من الشرق ..
وبعد حزيران العار .. ؟ وبعد أن قبعت الجيوش (القوية الهادرة .. الأقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط .. إلخ) . فى مخابئها تلعق جراحها وتعيد لم شعثها .. وتلملم ثوب الهزيمة الذى جاء أكبر منها فبدا فضفاضاً عليها .. برز فى الأرض عمالقة حقيقيون .. رجال ولا كل الرجال مجموعات صغيرة — وصغيرة جداً إذا قيست إلى الجيوش المهزومة — ولكنها زمر من الجن .. برزت وحدها فى الميدان .. تقول لجيش الغزو السكران بخمرة الانتصار .. جاء دورنا .. فتعال نناقشك الحساب .
مجموعة بسيطة .. صغيرة .. ضعيفة فى السلاح .. لا تملك منه إلا المسدسات والبنادق وبعض الرشاشات .. صفعت الجيش السكران .. وجعلته يصحو مذهولا لجرأتها .. ويستجمع كل قواه ليستأصلها .. ويعود إلى الخمارة .. يتابع الاستمتاع بنشوة النصر .. فماذا كان ؟
خمسة عشر ألفاً من الجنود .. المدربين .. الخارجين حديثاً من انتصار ساحق فاجع .. المدعمين بكل أنواع السلاح الآلى الثقيل . . تقدموا ليؤدبوا أولئك « المخربين » — كما سمتهم دولة البغى — .. فتلقوا الرد المذهل ..
بضع مئات فقط من الرجال الذين قرروا أن يموتوا .. فعاشوا

وأحيوا شرف هذه الأمة بعد أن كاد يموت تحت أقدام الغزاة .. وردوا الجيش المنتصر .. إلى مواقعه مهزوماً .. مثل كلب ضخم .. مزقت لحمه هرة تنمرت دفاعاً عن صغارها .. فعاد يلعق جراحه .. ويفكر بحيرة .. كيف لها أن تنال منه ؟

هل نحتاج إلى شواهد أخرى ما زلنا نعيشها ونتحسس أخبارها مع كل نشرة أخبار ؟

هذه فيتنام .. وتلك كانت باكستان بالأمس القريب .. وقبلها كانت الجزائر .. وكلما توغلنا فى التاريخ .. عثرنا على أمثولات أكثر .. ونماذج فى مثل الروعة ذاتها .. وعلى المستوى نفسه من عظمة التضحية وفعالية التصميم القادر على انتزاع النصر .

٣ – وبعد ذلك .. بعد أن نبدأ فى طريق التغيير ونسعى لإحداثه .. وبعد أن نتسلح ونتدرب . . **ننتقل إلى المرحلة الأخيرة من رحلة التغيير ..** رحلة التاريخ لعبور الهوة التى تفصلنا عن مكاننا الطبيعى تحت الشمس .. **بعد ذلك ننتقل إلى القتال** . . إلى ميادينه الحقيقية فى هضبة الجولان ، وعلى ربى القدس الشريف ، وفى بطاح حطين .. وفى رحاب المسجد الأقصى وعلى ذرى الجليل .. وعلى سواحل عكا وحيفا ويافا وغزة ورفح .. وعلى طول شاطىء قناة السويس ، وعند سفوح الطور ، وفى متاهات سيناء والنقب .

ننتقل إلى أرض الشرف والفداء .. وحداناً ومجموعات .. نشد أزر الذين سبقونا إلى ذلك الفضل ، ونلحق بالركب المتقدم فى دروب البطولة .. ونفتح الباب أوسع ، ونمهد الطريق أعرض لمن سيأتى بعدنا .. ليسهم فى دوره ، وينال حصته من شرف التحرير .

نعم ! .. إلى هناك .. إلى حيث تقوم فى كل شبر من الأرض إمكانية الصدام .. وعلى كل ربوة تبرز فرصة الصمود ومع كل منخفض فى الأرض ، يتسع المجال للتسلل فى كل وقت .. إلى معاقل العدو .. ومواقع قوته ، ومراكز تجمع وحداته .. نصليها حامى النيران .. ونزرع الذعر فى القلوب الواجفة ، ونفقأ الأعين المسمرة من الخوف والرعب .. ونفرض إرادتنا .. على السكارى الغزاة .. وننتزع منهم الأرض والسلاح والمال .. ونردهم إلى مواقعهم أذلة خائبين .. أو نقبل – بكرم منا وتفضل – أن يعيشوا بيننا مسالمين ..

عمومية القضية :

وليس من حق أحد أن يعترض سبيل غيره . . الذاهب إلى أرض القتال .

وليس أحد أحق من سواه بالتصدى لمهمة التحرير . . بل هو واجب الجميع .. وعبء على الجميع .. والشرف فيه من حق كل من شارك فى إشعال نار الحرب المقدسة أو تأجيجها .

لتتحرك إلى هناك جميع العقائد .. جميع الأفكار والفلسفات .. جميع النظريات والمناهج المتعلقة بمستقبل الأرض وشكل الحكم ونوعية المجتمع الجديد.

لا بأس .. من حق كل منا أن يتخذ ميدان الصراع ، فرصة لإثبات أفضلية ما يؤدى به .. وقدرته على الصمود وانتزاع النصر ..

الجميع يجب أن يتحركوا .. وهناك .. تحت شمس الصيف اللاهبة فى وديان فلسطين وصحراء سيناء .. وفى مهب الرياح العاصفة وبرد الذرى وثلوج القنيطرة .. وعلى اللهب المتصاعد من فوهات الأسلحة .. وفى حر النيران المنبعثة مع كل صدام .. ستمتحن العقائد .. وتختبر النظريات والفلسفات .. وتبرز قيمة الأفضل والأكثر قدرة على الصمود .. تماماً .. كما يفتن الذهب بالنار .. فكلما ارتفعت حرارة نار الفتنة .. احترقت الأدران والأوساخ التى علقت بالذهب .. حتى يبرز وحده متوهجاً صافياً كصفاء اللهيب الذى أبرزه وأتاح له فرصة التحرر والظهور .

الفئات الوحيدة فى مراحل الصراع المتعاقبة .. التى تستحق السحق والتصفية .. هى الفئات المعوقة . . التى لا هم لها إلا أن يكون الجميع جبناء .. ليتساووا معها ويضيع خزيها وعارها بين جموع المتخاذلين .

إن كل صيحة أو صوت أو قلم أو يد تتحرك لتحاول وقف زحف الجموع نحو ميادين القتال .. إن هى إلا جيوب من بقايا التخلف ، يجب إزالتها من الطريق .. ليتسنى لمسيرة الحرب أن تتابع تقدمها بتسارع مستمر لا يتوقف إلا عند استسلام المؤسسات السياسية والعسكرية لدولة العدو .. وتصفيتها لحساب عودة الأرض إلينا بلا قيد ولا شرط .. وحماية ذاك النصر عندما نحصل عليه من كل عدو آخر قد تحركه أطماعه ليجرب حظه معنا ..

(د) وأمر رابع وأخير .. نحب التأكيد عليه ، وإبرازه لكل ذى بصيرة وهو .. عمومية القضية .. وشمولها حتى تحيط المسئولية عنها كل العرب .. وكل المسلمين من ورائهم .

وإننا فى هذا المجال ، لنعلن بكل وضوح ، ونصرخ بأعلى أصواتنا

أن القضية ليست مقصورة على أهل فلسطين وحدهم .. وأن كل ما نراه اليوم من خطوات .. أو نسمعه من دعوات .. تهدف إلى إلقاء العبء كله على الفلسطينيين والتنصل من مسئولية البذل لانتزاع الحق الغصيب .. إنما هي خطوات ودعوات .. على الأقل خاطئة يجب على أصحابها أن يسحبوها بهدوء .. قبل أن تستبقهم تعقيدات القضية المتزايدة .. وموجات القتال المتصاعدة .. فتكشف خبث النوايا إن وجدت — وهي موجودة — وزيغ هذه الدعوات عن جوهر القضية الحقيقي ..

.. المحاولات التي بدأت منذ الدعوة إلى مؤتمر القمة الأول في ١٣ - ١ عام ١٩٦٣ .. للتنصل من مسئولية القضية .. وحصرها في الفلسطينيين وحدهم في محاولة لعزلهم ووضعهم وحيدين في مواجهة العدو .. في ظروف هي هي أشبه ما تكون بترك الحمل الصغير في مواجهة الذئب الجائع .. هذه المحاولات وكل ما رافقها من تصريحات وحملات محمومة ممسوخة .. يجب أن تتوقف وتختفي إلى الأبد .. ويكسب أصحابها « شرفهم » قبل أن تكشف نيران الحرب .. لؤم المخطط الذي ينفذون .. وعندها لن يجدوا من يصون لهم « شرفهم » أبداً .

.. ولقد دخل اليوم عامل جديد .. واتسعت القضية أكثر فلم تعد فلسطين وحدها .. بل أصبحت قضية التحرير تغطي أجزاء جديدة من الأرض .. أرض سوريا والأردن ومصر .. في الجولان والضفة الغربية وسيناء .

فإذا كان العملاء الاستسلاميون .. يريدون سلخ القضية عن إطارها الحقيقي ، وحصرها في حدود الشعب الفلسطيني المشرد المنكوب .. فماذا سيفعلون في قضية الجولان والضفة الغربية وسيناء ؟

هل سيعزلون الشعوب السوري والأردني والمصري كلا على حدة في مواجهة الغرباء المحتلين ؟؟ ..

وحتى إن حدث هذا .. أفلا تقود وحدة الهدف لدى الشعوب الأربعة « .. هذا إن جاز لنا الاعتراف بهذه التجزئة .. ونحن نرفضها ونحاربها أشد الحرب » .. إلى توحيد الجهود .. والانطلاق بقوة موحدة لتحقيق الهدف الأكبر .. هدف التحرير .. ؟

ألم تتحد شعوب أوربا كلها — على ما بينها من تناقضات وخلافات .. بل وعداوات .. — ضد نابليون حتى أوقفت زحفه وأنهت خطره عليها ؟

ألم تتحد الشعوب نفسها مرتين فى النصف الأول من هذا القرن ، للوقوف فى وجه ألمانيا .. فى حربين عالميتين ؟ .. كيف يكون ذاك من حق غيرنا .. ولا يكون من حقنا ؟

.. أوليست فرصة لنا أن نحقق مجدداً لقاء المصير الواحد .. على أرض القتال .. ليعود الدم مرة أخرى عامل توحيد وربط وثيق .. ماسحاً عار الخلافات والتجزئة المفتعلة .. بعيداً عن لعبة المظاهر من قوانين ودساتير وألوان متغيرة لأنظمة الحكم ؟؟

أولا تكفى هذه الضربات المتعاقبة .. التى يوزعها العدو على الدول المجاورة .. لتقنع الذين لم يحسوا بالخطر بعد أن بدأ هذا الخطر يتهددهم .. أينما وجدوا ؟

إن الخطر واحد .. يواجهه الذين لم يحسوا لفحه بعد .. كما واجهه قبلهم أبناء النكبات ..

وإن القضية واحدة .. لكل الذين يواجههم ذلك الخطر .. أحسوا بمره أم لم يحسوا بعد ..

إن القضية هى ملك لنا جميعاً .. واجب علينا جميعاً حملها وأداؤها ما تستحق من بذل وتضحيات ..

إن فلسطين هى ملك لنا .. كلنا .. نحن العرب .. ونحن المسلمين .

إن فلسطين هى ملك لأبناء القاهرة ودمشق وصنعاء .. والجزائر .. وكل الأرض العربية .. بمقدار ما هى ملك لأبناء حيفا ويافا والقدس وصفد وكل فلسطين .

وإن فلسطين هى قضية كل المسلمين .. أتراكهم وأكرادهم وهنودهم وصينيهم .. شرقيهم وغربيهم .. شماليهم وجنوبيهم .. بمقدار ما هى قضية العرب .. سوريهم وفلسطينيهم ، يمنيهم وجزائريهم .. وكل العرب .. من المحيط إلى الخليج .

إن الفلسطينيين هم مليونان من ٦٠٠ مليون — إن لم يكونوا أكثر — هم أصحاب القضية الحقيقيون .. وهم المسئولون جميعاً أمام الله عن كل تقصير فى حقها .. وكل تأخير فى انتزاعها من الغرباء الذين سرقوها .. وردهم إلى حيث جاءوا ..

إن ما يميز الفلسطينيين عن باقى حملة مسئولية التحرير .. هو ضخامة العبء الذى وقع على أكتافهم .. فى بعث روح الاستشهاد ، وتقديم الدفعات الأولى من وقود الحرب .. لتساهم فى تسعير نارها .. وإنضاج روح المواجهة لدى المستسلمين الغافلين .

إن الدور الذى يجب أن يلعبه أبناء فلسطين .. إنما هو دور أهل بدر .. الذين وقفوا فى وجه العدو العاتى ووجهوا إليه أول ضربة محكمة أصابت منه مقتلا .. فزلزلوا كيانه .. ومرغوا كرامته .. وأفقدوه توازنه فارتد من حيث أتى .. كالثور الجريح .. ومهدوا ببطولتهم الطريق أمام الجموع المترددة لتتجمع وتنطلق فيما بعد كالأمواج .. فى رحلة النصر الكبرى .. يوم الفتح .

فليهنأ الفلسطينيون بهذا الشرف الكريم الرفيع .. الذى منحهم الله .. تعويضاً لهم عما فقدوه من ضحايا وممتلكات .. وليس لأحد أن يشاركهم فيه .. إلا أن يعيش معهم .. معارك التحرير .. وقتالها المرير .. فى مهمة انتزاع النصر .. وإثبات الأحقية فى الحياة بين الشعوب .

-٣-

الرأى العام العالمى

« . . . يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ،
والله أعلم بما يكتمون » . (آل عمران ١٦٧)

يحسبون حسابه . . .
ويخشون غضبه . . .
ويأملون على يديه الخير ؟ ! . .

خداع للنفس ، وتضليل فجر ، ومكر السيء ،
لصرف أنظار المتلهفين للحرب ، عن مواقفهم الجبانة ..
وخطواتهم نحو الاستسلام الذليل الخنوع . .

ولهؤلاء .. والذين يقتنعون معهم ، نقول : ومن هو الرأى العام العالمى ؟ وأية قوة هى الرأى العام هذا .. وماذا حققنا من احترام لأنفسنا عنده بمواقفنا الاستسلامية .. من خلال ادعائنا احترامه ؟؟

هل المقصود بالرأى العام العالمى .. حكومات الدول المنتشرة فى بقاع المعمورة .. وممثليها فى منظمة الأمم المتحدة وما يتفرع عنها من مكاتب وهيئات ؟ .

إن كان هذا هو الرأى العام العالمى . . الذى تحترمون ، فهل نسلم أن كل حكومات هذه البلدان ، هى ألعوبة بيد اليهود وأن كل منظمة الأمم المتحدة بفروعها ووكالاتها هى فى أصبع اليهودية العالمية مثل خاتم سليمان ؟

ورد فى حكماء صهيون : « **وحين تقف حكومة من الحكومات موقف المعارضة لنا فى الوقت الحاضر ، فإنما ذلك أمر صورى ، متخذ بكامل معرفتنا ورضانا**(١) » .

« **. . وإننى أستطيع فى ثقة أن أصرح اليوم ، بأننا أصحاب التشريع ، وإننا المتسلطون فى الحكم ، والمقررون للعقوبات ، وإننا نقضى بإعدام من**

---

(١) البروتوكول التاسع .

نشاء ونعفو عمن نشاء ، ونحن — كما هو الواقع — أولو الأمر الأعلون فى كل الجيوش ، الراكبون رؤوسها ، ونحن نحكم بالقوة القاهرة ، لأنه لا تزال بأيدينا الفلول التى كانت الحزب القوى من قبل ، وهى الآن خاضعة لسلطاننا(١) » . .

أوليس هذا كافياً لأن نقتنع بأن الرأى العام العالمى .. أضحوكة ومهزلة يضحكون بها على عقول الأغبياء ؟ أو .. كما يسمونهم فى بروتوكولاتهم : « العميان » ؟؟

وأما إن كان الرأى العام العالمى .. الذى نحترمون وتجاون .. هو شعوب تلك الحكومات .. فالأمر هنا مختلف . أن الشعوب .. لم تحترمنا طيلة عشرين عاماً من العمل الدعائى والعسكرى والسياسى .. لسبب واحد بسيط ، إننا مهازل صفاء .

عشرون عاماً مضت .. كنا فى نظر الشعوب . عملاقاً من قش ، يترنح لأدنى ضربة .. وتعبث فى رأسه صغار العصافير .. فتثير عليه سخرية العقبان والنسور .

حتى كانت الحرب .. يوم حزيران العار .. وثبت للرأى العام العالمى هذا .. أننا حقاً عملاق من قش .. فازداد احتقارهم لنا .. وجرحت قلوبنا نظرات الشماتة .. أكثر مما جرحتها أسلحة الاحتلال .

.. الذين يزورون أوربا وأمريكا بعد حزيران العار .. شاهدوا أن كثيراً من الفنادق والمطاعم والمحلات العامة .. كتب عليها لافتات تقول : « لا مكان للعرب والكلاب .. ممنوع دخول العرب واصطحاب الكلاب .. إلخ » وحتى الذين تربطهم ببعض العرب صداقات أو مصالح عميقة يصعب عليهم التخلى عنها دفعة واحدة .. أمثال هؤلاء .. كانوا يسألون الأصدقاء بحرارة فيها روح السخرية والشماتة :

« لم لم تصمدوا أكثر من ـ ٧٢ ـ ساعة .. ؟ إننا نعلم أن لديكم أسلحة كافية للصمود . . كيف يمكن للمليونين أن يتغلبوا عليكم وأنتم مائة مليون . . ؟ » .

كيف ؟ ولماذا ؟ . وهل ؟ . وأليس .. وألم يكن من الممكن .. إلخ من عبارات الحسرة ، مشوبة بالسخرية المريرة .. تنطلق بها الحناجر فى كل بقاع الأرض .. تعبيراً عن الدهشة ، أو الشماتة ، أو الحسرة ، أو

---

(١) البروتوكول التاسع .

الاستهزاء .. وكل المشاعر التي يمكن أن يحظى بها الضعيف .. من أمثاله الضعفاء .. أو أعدائه الأقوياء .

.. حتى جاءت قلة من الرجال . .- وما أقل الرجال - وصمدت .. ووجهت إلى السكران المخمور ضربات ملؤها العزة والعنف .. فأذهلته .. وأفقدته توازنه .. وطاش صوابه .. واندفع كالكلب المسعور .. يعض هنا وهناك دونما بصيرة وتمييز إن كان يعض خصومه أم نفسه .

.. وتغير موقف الرأي العام هذا .. وبدأت نظرات الإعجاب .. فعباراته .. فالمقالات .. في أكبر صحف أوربا وأمريكا .. وعلى لسان مشاهير تلك البلدان .. تشيد بالرجال .. وتدين العدو المخمور ..

ومن الذي غير الموقف ؟ أجهزة الإعلام الرسمية . أم جهود السفارات الموزعة هناك ؟

أبداً .. إن الذي غير الموقف .. هو ممارسة الرجال رجولتهم في أسمى صورة لها ... : الفداء .

إن الشعوب .. كل الشعوب .. تحترم الأقوياء ، تحب الشجعان البطاشين - حتى ولو كانوا ظلمة - إن إنسان القرن العشرين .. الذي مسخته الحضارة وأذابته الرفاهية .. ليحترم البطولة حتى ولو تمثلت في شخص مجرم .

شعوب العالم مستعدة للوقوف إلى جانب القوي القادر على انتزاع حقه .. مهما كانت الصورة التي يمارس بها انتزاع هذا الحق .. ومهما بلغت من القسوة والعنف والضراوة .. بل .. كلما ازدادت الضراوة .. ازداد إعجاب الشعوب بها .. وتقديسهم لها ..

فهلا كنا أقوياء .. ضواري في استرداد حقنا .. لنحقق لأنفسنا أعمق إعجاب لدى الشعوب .. وأبلغ احترام عندها ؟

وثمة أمر آخر .. نستطيع به كسب احترام الرأي العام العالمي .. ووقوفه معنا .. وتأييده حقنا .. إن نحن أفلحنا في تحقيق هذا الأمر .

.. إن من المقطوع به أن اليهود يشكلون خطراً على كل شعوب الأرض وأن مؤامراتهم للتحكم في العالم كله أصبحت معروفة لكل ذي بصر.. وعقل .

وأن من المقطوع به أن شعوب العالم .. وبالذات أوربا وأمريكا . . غافلة كل الغفلة عن هذه المؤامرة .. لشدة ما سيطرت الدعاية اليهودية على كل وسائل النشر والإعلام .. في تلك البلدان .

فالوجه الآخر إذن لحربنا مع العدو . . والذى لا يقل أهمية وخطورة عن القتال .. **هو فى إقناع العالم بهذا الخطر وجعل الشعوب تحس به وتتحرك لوقف زحفه وتقليص امتداداته . . حتى يسهل استئصاله . . وإبادته .**

.. المهم فى الأمر .. أن نعرف كيف نشرح للمواطن فى كل دول العالم .. وخاصة العالم الغربى (رأسماليه وشيوعيه) .. الخطر المحدق به .. ماذا يفعل اليهود .. وما ينوون فعله لتمزيق العالم والسيطرة عليه .

.. يجب أن ندفع الإنسان العادى .. هناك .. للتحرك دفاعاً عن نفسه ودفاعاً عن مستقبل أولاده .. لا دفاعاً عن حقنا نحن ..

إننا لو بقينا نصرخ حتى تتجرح حلوقنا وتتورم حناجرنا .. فلن نستطيع تحريك ضمير الإنسان الغربى للدفاع عن حقنا هكذا .. لله فقط .. ودفاعاً عن المظلومين !!

أبداً .. إن هذا غير ممكن .

الممكن فقط .. هو تحويل اتجاه الحرب الإعلامية مع العدو .. وتركيز العمل على نقطة الحساسية لدى كل إنسان . . مطلق إنسان .. الخوف على مستقبله ومستقبل أولاده .. ثم دفعه للدفاع عن ذلك المستقبل .. بكل سلاح ممكن .

والسبيل لذلك .. هو كشف مؤامرات اليهود على العالم .

إلقاء الأضواء على دسهم المتواصل .. لإيقاع العداوات بين الدول .. وتوريطها بالحروب لإنهاك قواها وإجبارها على الاستسلام للجلادين .. اليهود .

تبصير المواطن هناك .. بدور اليهود فى تحطيم كل القيم التى كان يجب أن تستمر .. لتصون وحدة الشعوب فى وجه مؤامراتهم ومكائدهم التى لا تعرف الرحمة .

إقناع الإنسان هناك .. بأن ما ورد فى بروتوكولات حكماء العدو .. هو فعلا ما يقومون بتطبيقه فى كل الأرض .

سيطرتهم على المال .. تشويههم للعلم .. تحطيم القيم والروابط المقدسة .. إنهاك الإنسان يومياً فى الجرى وراء لقمة العيش .. سيطرتهم على الصحافة وتشويههم لواجبها فى نشر الحق ..

دورهم فى نشر المبادىء الهدامة والنظريات العلمية الباطلة ، لتحطيم العقل الإنسانى .. وشله عن الوصول إلى الحقائق العلمية الثابتة .. ماذا نقول بعد ذلك .. إن الحديث ليطول .. ولكن ، الواجب الكبير الآن .. أن تؤلف لجان فى الدول العربية .. تضم مختلف الاختصاصات .. وتعكف على دراسة كل ما خططه اليهود .. حسبما ورد فى مخططهم الذى أسموه

بالبروتوكولات .. ثم نشر ذلك مدعماً بالبيانات والوقائع والوثائق الممكنة .. لإقناع الإنسان هناك .. بحقيقة المؤامرة .. فيشعر بالخطر يتهدده ، ، ومن ثم .. يتحرك ليضربه ويشل أيديه المخربة ..

إننا إذا نجحنا فى هذا الاتجاه .. نكون قد خطونا أشواطاً واسعة جداً فى مراحل نضالنا ضد عدونا .. ونستطيع بذلك أن نختصر عشرات من سنى المجابهة المريرة .. لأننا إن نجحنا بهذا العمل .. سنكسب قوى جديدة .. تتحرك فى الأجزاء الهامة القوية من العالم .. لتضرب احتياطات عدونا .. وتعزله عن معين امداداته .. الخطيرة ..

وحتى إذا لم ننجح فى تحريك القوى الأخرى ضد عدونا .. وأنا أرجح أن النجاح ممكن إن نحن أحسنا العمل وواصلناه بصبر وأمانة ، فإننا على الأقل سننجح فى شل قدرة العدو على تحريك تلك القوى لتقف معه ضدنا .. وهذا وحده إن حصل ، لهو نصر رائع وجد كبير .

هكذا .. نستطيع كسب احترام الرأى العام العالمى .

بالقتال أولا .. وتحقيق البطولات التى يتعطش لرؤيتها إنسان القرن العشرين .

وبالعمل الإعلامى الكبير ثانياً .. لإقناع الإنسان الآخر فى العالم .. بأن الخطر يتهدده هو ... فى بيته وبلده ومستقبله وأولاده .. وإننا بدفاعنا عن أرضنا إنما ندافع عنه أيضاً .. لنحميه ونصون الإنسانية كلها من شرور المؤامرة اليهودية العالمية . إنه لعبء كبير .. وواجب خطير جداً فى حربنا مع العدو .

ولقد تصدى رجال الفداء للشق الأول من هذا العبء ..

فهلا تصدت الحكومات والمؤسسات الرسمية للشق الثانى من هذا العمل الكبير .. إن كانت غير قادرة على مبادرة القتال .. وإن كان ما زال فيها بقية من خير ؟

- ٤ -

السلام العالمي ...

« فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ، وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم » . (سورة محمد ٣٥)

ومسخرة أخرى . . يحاول بها دعاة الاستسلام ، تخدير الشعوب ، وتثبيط عزائمها عن الانطلاق إلى مجالات حيويتها وفاعليتها . . ميادين القتال . وهم يصوغون حجتهم تلك . . في تسلسل غريب ، كالآتي :

١ ــ اليهود شعب متغلغل في أكثر دول العالم ومتمكن من السيطرة على أجهزة القيادة فيها وخاصة الدول الكبيرة .

٢ ــ وتبعاً لذلك . . فإن هذه الدول ــ وتحت تأثير السيطرة اليهودية الخفية ــ . . . لن تسمح بإبادة اليهود .

٣ ــ . . وإذا تحركت دولة ما . . لتمارس هذه الإبادة . . فإن القوى الكبيرة أو بعضها ستتدخل ضدها . .

ويختمون المناقشة ــ الانهزامية ، بالجملة التقليدية . . « وطبعاً . . لسنا قادرين على احتمال تحركات القوى الكبرى ضدنا . . » .

حجة غريبة . . في تسلسل أغرب . . يقود إلى نتيجة أكثر غرابة . . يمارسها فكر انهزامي تحركه نفوس عاجزة حتى عن مجرد التفكير بإمكانية المواجهة .

١ ــ فمن حيث تغلغل اليهود في مختلف الشعوب ، وتسلطهم على مواقع السلطة ومرتكزات القوة في المعسكرات الكبيرة . . هذا صحيح . .

ولكن . . لماذا يقولون هذه الحقيقة لنا . . نحن وحدنا الذين نريد انتزاع حقنا . . ولا تقال هذه الحقيقة نفسها . . إلى تلك الشعوب . . لتتبين هي أيضاً جيوب الخطر الكامنة في كيانها . . وتبادر إلى تصفيتها ؟ فتريحنا من شرورها ؟

أو ليس من الأجدى لنا . . ولكل الشعوب ، أن نقوم بدور المنبه نحو ذاك الخطر ونكشف للشعوب الأخرى ، ما نراه خطراً علينا وعليها ؟ .

ما الذى يشل قدرتنا على التحرك فى هذا الاتجاه ، سوى عداوتنا لأنفسنا .. من خلال ممارستنا للسلبية المفرطة تجاه كل وضع يشكل خطراً علينا ؟ ؟

هذه واحدة . . لا نبغى الإطالة فيها . . فلقد حاولنا أن نفيها حقها فى صفحات سابقة .

٢ — والثانية . . وهى الأخطر . .

فلقد وضعت نتيجة مغلوطة . . لافتراض خاطىء من أساسه . .

الدول ، وخاصة الكبرى . . لن تسمح بإبادة اليهود فى فلسطين .

ولكن من قال إننا نريد إبادة اليهود . . فقط لأنهم مجرد يهود ؟ .

هل نحن بحاجة للتذكير مرة أخرى بإننا نريد استرجاع حقنا . . وأن ذلك لن يتاح لنا إلا **بتصفية كل المؤسسات العسكرية والسياسية (وتوابعها) للكيان الإسرائيلى الذى تمركز على أرضنا دخيلا غريباً . .** بعد أن استأصل منها شعبها الأصيل . . واقتلعه من جذوره ، بكل ألوان التنكيل والإرهاب . . وحتى الإبادة الجماعية . .

الذى نريده . . **هو زوال ذلك الكيان الدخيل . .** ولهذه الغاية . . **علينا أن نبيد — نعم نبيد بكل وسائل الإبادة — كل من يقف فى طريقنا . .** مهما كانت صفته أو لونه أو جنسه أو دينه .

وأما اليهود . . الذين يقفون مسالمين . . بعيدين عن الوقوف ضدنا فى هذا الصراع . . هؤلاء مقامهم يبقى كريماً . . وحقهم يبقى مصوناً . . بل ، ونحن مسئولون عن حمايتهم ضد كل من يحاول زجهم فى حمأة الصراع هذا ..

نعم . . هذا ما يأمرنا به ديننا . . وهذا الذى ما رسناه خلال القرون التى كنا بها سادة الأرض . . وهذا ما نصر عليه الآن . . ونعتبر أن كل دعوة لتغيير هذا المفهوم . . إنما هى لخدمة العدو . . والكيد لحركة التحرير .

٣ — والثالثة .. وهى التى لا حل لها إلا بانحلال واضمحلال النفسية المريضة العاجزة التى تنز بذلك الفكر الجبان . فالقتال يجب أن يقع . . ويستمر . . ويتوسع . . ويتصاعد حتى يشمل كل شبر تبقى عليه سيطرة لذلك الكيان الغريب الدخيل . . **ولترتفع روح المجابهة وإرادة الصدام ، حتى فى وجه القوى التى ستحاول حماية كيان إسرائيل . . مهما كانت كبرى أو صغرى . .** ولنا من تأييد الله لنا وشموخ عقيدتنا . . ومشروعية مطلبنا . . واتساع أرضنا . . وضخامة الطاقات المختزنة فينا ولدينا . . ما هو كفيل بتحقيق النصر لنا . . ولنا وحدنا . . مهما طالت الحرب . . ومهما كبرت التضحيات ، إن نحن أردنا النصر ، وسعينا له سعيه الجاد الدؤوب .

ثم . . نحن لا نطالب الدول ذات الارتباطات والاتفاقات والمعاهدات الظاهرة والمستترة . . بأن تقدم هى على هذا العمل . . أبداً .

نحن نطالب الشعوب . . الحرة من كل ارتباطات واتفاقات ومعاهدات ظاهرة أو مستترة .

الشعوب التى لا تعترف بأية ارتباطات تقف ضد سعيها لنيل حقها . . هذه الشعوب هى المطالبة بالتحرك لإزالة الخطر . . ونحن لم نأمل فى يوم من الأيام . . أن يأتى النصر إلا على أيدى هذه الشعوب . . وبسبب من نضالها وتضحياتها . . بعيداً عن أية ارتباطات . . سوى ارتباطات التحرر . . وانتزاع الحقوق المسروقة فى غفلة من غفلات الأيام . . حتى ولو كان ثمن ذلك ، جبالا من الجثث . . وأنهارا من الدم .

هذا جانب من البحث أردنا به أن نرد حجج الانهزاميين . . وتأجيج روح الصدام فتخبو روح الذل والانهزام .

وهناك جانب آخر .. بخصوص السلام العالمى .. هذا الذى يتحدثون عنه.

فلئن كانت قوى البغى . . حريصة على صون السلام العالمى . . على حسابنا نحن المستضعفين . . فكيف نبيح نحن لأنفسنا أن نقبل بذلك ؟ .

السلام العالمى . . على حسابنا نحن ؟ . أعلى حطام شعبنا ، ودماء شهدائنا ، وبالبغى علينا ، وطردنا من أرضنا ، وسرقة ممتلكاتنا . . وتشريدنا فى بلاد الله الواسعة تحت كل سماء ، نصون السلام العالمى ؟ .

ولماذا لا يصان السلام العالمى بفعل ذلك وممارسته ضد عدونا ؟ .

إن كان لا بد من ضحية تمزق . . ليصان سلام السادة الكبار . . وينعموا بالراحة والأمن وكل أنواع الملذات والفجور ، فلماذا نقبل لأنفسنا أن نكون تلك الضحية . . صوناً لسلام الذئاب . . عفواً . . السادة الكبار ؟؟

إن المثل العامى الدارج عندنا يقول : «ألف أم تبك ولا تبك أمى» .. وهذا صحيح هنا .. نحن مجرمون إن قبلنا أن ينعم الكبار بخيرات الكون .. يتقاسمونها على حساب جوعنا وتشردنا وعرينا . . وهيامنا فى كل شظية من الأرض .

إن كان لا بد من صون للسلام العالمى . . فليس على حسابنا . . ليكن على حساب غيرنا . . أمريكا ، روسيا . . بريطانيا ، إسرائيل . . لا يهم . . المهم ، أن لا يكون على حسابنا نحن .

وإن كان أولئك يرفضون . . فعلينا أن لا نسمح لهم بالأمن والسلام . . وإن كان لا بد من أن تكون بسببنا حرب . . فيها دمار العالم . . فليكن ذلك .

ولتعم المصيبة كل أعدائنا . . بدلا من أن تنزل بنا وحدنا . . ويسلموا هم .. !

نحن لا نقبل أبداً أن يباد شعبنا لتصان سلامة ورقة الشعوب المحترمة الأخرى .

أبداً . . لا سلام إلا بسلامنا نحن أولا .

ولا أمن إلا بأمننا نحن أولا .

ولا راحة للعالم إن لم يعد إلينا حقنا ، وضاء نقياً مثل شمس حزيران الساطعة .. يوم وقعت الجريمة .

ولئن كان السادة الكبار . . حريصين على السلام . . فليتكرموا هم .. بجمع تلك الحثالة . . وإعطائها قسماً من أراضيهم . .

نعم . . ولاية من ولايات أمريكا . . « شو فيها ؟ ! » أو جزءاً من روسيا البيضاء . . أو اسكتلندا . . وما فى ذاك من ضير ؟ .

ليتكرم السادة الكبار .. ويمارسوا إنسانيتهم .. ويعطفوا على ذلك الشعب المشرد .. المسكين، ويقدموا له بكرم وأريحية . . جزءاً من أرضهم . . ويريحونا وأنفسهم من شرور الحرب .. ما داموا حريصين على السلام العالمى ..

ووجه ثالث للبحث فى السلام العالمى . . هذا .

ذلك الوهم . . (البعبع) الذى يخوفوننا به كلما بدرت منا بادرة جد لتحرير الأرض .

المجابهة النووية بين العملاقين . .

ونريد أن نسأل . . هل صحيح أن مجابهة نووية ستحدث بين العملاقين .. إن نحن أصررنا على حرب التحرير ؟ .

أولا : نحن نشك فى ذلك . . بل وننفى بإصرار إمكانية حدوثها . . ونؤكد أن ذلك إنما هو وهم خدعونا به وخدعنا أنفسنا بتصديقه . . خدمة لأغراض الغزو الكريه الذى يسعى لتثبيت جذوره على أرضنا .

ونحن حين ننفى إمكانية حدوث المجابهة النووية المزعومة . . إنما نعتمد فى ذلك على سوابق فى تاريخ العملاقين . . خلال فترة امتلاكهما لوسائل المجابهة النووية .. والهيدروجينية و... و.. إلخ من أسلحة الدمار الجماعى الرهيب

فأمريكا حين شعرت أن الخطر يتهدد أمنها المباشر.. وضعت العالم على حافة حرب ثالثة يباد فيها ثلثا أهل الأرض ،وكان ذلك على حساب شعب كوبا الصغير.

وأمريكا أيضاً . . تتدخل اليوم بكل وسائل العنف والدمار . . فى فيتنام . . فاتحة بذلك المجال فى كل لحظة لقيام المجابهة النووية . . كل ذلك

لأنها اعتقدت أن أمنها — وراء البحار — قد أصبح معرضاً للخطر . . وعلى حساب الشعب الفيتنامى الصامد . . شمالياً كان أم جنوبياً .

وروسيا كذلك . . حين شعرت أن مصالحها فقط . . — لا أمنها — أصبحت مهددة . تدخلت بكل وسائل القمع والوحشية . . فى المجر ، واحتلت تشيكوسلوفاكيا بعملية جيمسبونديه . . مغطية أرضها بسلاسل الدبابات ، ومستعدة بذلك لمواجهة احتمالات الخطر الذى يخيفوننا به كل يوم « المواجهة النووية » . . وعلى حساب الشعبين المغلوبين على أمرهما . . فى تشيكوسلوفاكيا والمجر .

هاتان مهاتين . . فى خلال « دزينة » من السنين . . وليس « دزينة » من القرون . . فهل حدثت المجابهة النووية ؟

. . كفانا ضحكاً على أنفسنا . . وكفانا تصديقاً لضحكهم علينا وإعجاباً « بغيرتهم على السلام العالمى » .

وثانيا : إن كان حقاً ما يقولون إنه سيقع . . المجابهة النووية . . فلم نحرص نحن على عدم وقوعها . . ؟

إذا وقعت المجابهة المخيفة هذه . . فما الذى نخشى عليه نحن ؟ موسكو . . أم واشنطن . . أم لندن وباريس وروما وأمستردام ؟

لم نحرص على سلامة أوربا وأمريكا . . متخلين بذلة عن حقنا وأرضنا وكرامتنا وشرفنا . . وهم الذين لم يحرصوا على سلامتنا وأمننا . . وأسلمونا لعدونا يفتك بنا وينكل كما يحلو له ذلك ويطيب ؟ .

إن كان لا بد من الدمار والفناء . . فلماذا نقبل أن نكون نحن وحدنا ذلك الوقود والحطام . . ويسلم أعداؤنا . . ليرقصوا على حطامنا . . ويصونوا « سلام العالم » ؟ .

هل نحن الآن إلا أغنام ؟ . . تتقدم للذبح بغباء . . كى يتلذذ الإنسان بلحمها وينعم ويسمن ؟ .

هل سمعتم يوماً من الأيام أن أسداً أو نمراً . . أو حتى ثعلباً . . قبل مختارا أن يكون ذبيحة ينعم بلحمها السيد الإنسان ؟ فهلا كنا أسداً ضوارى . .

أو نموراً كواسر . . ننتزع حقنا . . ثم نعلم العالم كله معنى الإنسانية — الكريم ؟ ؟ .

وثالثاً : . . لم يبق إلا أمر واحد . . وهو احتمال تدخل الدول الكبيرة — بعضها أو مجتمعة ضدنا — وهذا ما يجعلهم يبللون ثيابهم — من تحت — خوفاً وفرقاً . . فيسارعون لطلب السلام . . حرصاً على « **السلام العالمى . . فى هذا الجزء الهام من العالم** » .

. . إن التدمير والتشريد ثم الإبادة ضدنا . . مخطط لها من قبل عدونا . . وهو يسعى جاداً لتحقيقها . . ما فى ذلك من ريب .

ولكن . . ما دام ذلك عزمه وتصميمه . . فكيف نقبل أن ينفذه فينا . . وحده وهو أقل منا عدداً . . وأحط منا شأناً . . وأجبن منا فى حقيقة أمره ؟ ؟

إن هذا الاحتمال . . الذى يرعب الانهزاميين . . لهو أبعد عن واقع التطبيق . . من احتمال المجابهة النووية المرعبة . . ثم ، وحتى إذا وقع ذلك . . أو لا يكون أكرم لنا وأشرف . . أن نموت دفاعاً عن حقنا ، ضد قوى البغى العالمية الكبرى ، مجتمعة كلها أو بعضها . . من أن نموت جوعاً ومرضاً وذلا وقهراً . . على أيدى فئة قليلة من الحاقدين ، بلغ من قلتهم إننا لو اجتمعت كلمتنا ورجمناهم بالأحجار فقط . . لأحدثنا تغييراً جغرافياً بارزاً فى خريطة الأرض . . ودفناهم فى جوف ذلك التغيير ؟

هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى . . هل نسينا كلنا . . أن تصميم الشعوب على القتال . . لا تقهره قوة فى الأرض ، حتى ولو كانت قوة هيئة الأمم المتحدة(١) . . بأكثرية دولها ، أو قوة حلف الأطلسى بكل جيوشه(٢) ، أو حلف جنوبى شرقى آسيا . . بكل ما عنده من أساطيل ، وجحافل . . متعاوناً مع أضخم قوة فى الأرض . . أمريكا الباغية(٣) ؟ .

. . لقد أطلنا فى الحديث عن هذا . . « السلام العالمى » . . وما يستحق كل هذا . . ولكن لابد من التوضيح الدقيق ، فعسى أن يصحو النائمون . . والسكارى .

---

(١) الحرب الكورية .

(٢) حرب التحرير الجزائرية .

(٣) حرب فيتنام الآن .

- ٥ -

القــادة ...

« فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » . (سورة المائدة ٥٢)

. . وكلمة حق . . نشعر أن من واجبنا ، بل من حقنا أن نقولها لكم . . أيها السادة القادة والزعماء . .

إن عهد الصراع على السلطة يجب أن يزول . . لأننا مقبلون – بل وبدأنا – الصراع على المصير . . مع عدو لا هدف له إلا إزالتنا – لا إزالة كياناتنا السياسية ولا إسقاط أنظمتنا الثورية وإقامة بديل لها . . بل إزالة وجودنا البشرى من فوق هذه الأرض .

وإن مفهوماً جديداً بدأ يتبلور فى ضمائر الناس أيها السادة . . هذا المفهوم هو إن الحب والتلاحم بين الحكم والشعب يتناسبان طرداً مع تصدى الزعامة – أية زعامة – للمسئولية المصرية الملحة .. مسئولية تحرير الأرض.. كل الأرض .

اعلموا أيها السادة . . أنه لم يعد فى ضمير المواطن اليوم أى سبب يمنح حبه وتقديره لحكامه ، إلا أن يرى هؤلاء الزعماء يتحركون فعلا فى الاتجاه الواجب ، والوحيد . . نحو تحرير الأرض . . واستئصال العدو الدخيل .

فهلا بادرتم أيها السادة . . بالتصدى لهذه المسئولية . . وجعلتم ميدانها – وحده فقط – ميداناً للتسابق نحو اكتساب محبة الشعوب وتأييدها . . ؟

إن الشعوب مستعدة لتغفر كل أخطاء الماضى . . شرط أن ترى بأكثر ما تكون الرؤية وضوحاً وإشراقاً . . إن الذين أخطأوا فى الماضى القريب . . قد اتجهوا فعلا وجدياً لحشد كل الطاقات تصحيحاً لأخطاء بدرت منهم . . وإعداداً لاستعادة الحق والأرض .

تقدموا أيها السادة . . ولا تخشوا شيئاً . . فالعمر محدود . والرزق مقسوم ، والوجاهة والزعامة اليوم هي في قيادة القوى والطاقات كلها . . في حرب التحرير .

المجال مفتوح لكم كأوسع ما يمكن أن يفتح في يوم من الأيام . . هذه فرصتكم لتحقيق الأمجاد . . واكتساب محبة الجماهير . . التي ستفديكم بالمهج والأرواح . . إن أنتم تقدمتم . . ولو خطوة حقيقية واحدة . . وبعدها سترون أن الجموع والحشود ، ستمضي معكم إلى نهاية الشوط .

إن هذا هو المستوى المطلوب من كل القادة . . القتال ، بكل القوى ، وبكل الوسائل ، وبمختلف طرق وعقائد وشرائع القتال ، أما الذين لا يستطيعون – ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها – ولا قبل لهم بهذا العبء . . فطلوب منهم شيء آخر .

إن المطلوب من هذا النفر من الزعماء .. الذين لا يستطيعون... شيئان اثنان :

أولهما : ما سبق أن طالبنا به . . وهو حمل مسئولية الحرب الإعلامية . . ونشرها في كل الدنيا ، لإقناع الإنسان هناك . . بأن الخطر لا يتهددنا نحن وحدنا . . بل ويتهدده هو . . في بيته وبلده . . في مستقبله ومستقبل أولاده ، وهذه لن نطيل بها . . فلقد تحدثنا عنها كفاية في سطور سبقت .

وثانيهما : وهو الحد الأدنى . . لصون ماء الوجه ، وحفظ الشرف . . وهو أن تتجاهل الحكومات تحركات النشاط الفدائي على أرضها وبين شعوبها.

نعم . . تتجاهله . . تغض الطرف عنه . .

اتركوا رجال الفداء . . يصفون الحساب مع الأعداء الغزاة . . خلوا بينهم وبين العدو ، فهم قادرون على تسديد الضربات القاتلة إليه . . فتستريحوا أنتم وتأمنوا على مصيركم ومصير أولادكم .

إن هذا الحد من التضحية ، مطلوب من كل القادة والزعماء . . غير القادرين على ممارسة المستوى المطلوب من عبء القضية . . فهلا ترينا الأيام القادمة أوجه الخير لدى السادة . . وتطوى صفحات الماضي على ما فيها من خزي وسوء . . وتصبح في ذمة التاريخ . . ليذكرها لأجيالنا القادمة بأنها إنما كانت ، اجتهادات خاطئة . . لم يكن وراءها إلا إخلاص النية ونبل القصد ؟

- ٦ -

والفدائيون ...

« ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً » . (سورة النساء ١٠٠)

. . ومنذ أمسكت القلم ، موطداً العزم على كتابة هذا الكتاب .. لم أشعر لحظة بالتهيب يلف كل كياني .. مثلما أحسست به وأنا مقدم على مخاطبة الرجال .

وذلك حق . . ومنطق . . لأن توجيه الكلام إلى أهل الفداء . . ورجال البطولة . . ليس كالتحدث لغيرهم . . من عاديي الناس .

إنك حين تقف لمخاطبة واحد من هؤلاء . . تشعر بأنك أمام طراز آخر من الرجال . . نموذج غريب على مجتمعاتنا الممسوخة . . إنسان يواجه الموت كل لحظة من لحظات عمره القصير . . رجل تسامى فوق ارتباطات العائلة والصداقات .. فوق عواطف الأبناء والآباء .. وفوق كل نداء يشده إلى الحياة ..

واتجه بكل كيانه نحو ما هو أسمى من الحياة .. وما فى سبيل تحقيقه تهون وترخص الحياة .. جهاداً فى الله تعالى وإعلاء لكلمته . . وإحقاقاً لحقه .. وإبطالا لباطل الأعداء الغزاة .. سالكاً لذلك أوعر الطرق . . وأشدها اكتنافاً بخطر الموت .. أو التشويه .. أو الاعتقال . . مصمماً على طردهم وتصفية باطلهم مهما امتدت به الأيام .

إن مثل هذا الشعور بالهيبة .. المليئة إعجاباً وفخراً .. ليلمس كيانك كله .. وأنت أمام واحد منهم .. فتحس عجزك .. وتجرع الحسرة المريرة .. لأنك « لا تستطيع » أن تكون مثله .. فإن لك « أولاد .. وعائلة » .

فكيف بك إن جربت أن تخاطبهم جميعاً .. وأنت تشعر أن عيونهم كلها عليك .. يستغربون منك الثرثرة .. وتحس طيف الابتسام على أفواههم .. إشفاقاً على ضعفك ، وسخرية من عجزك ؟

ورغم كل ذلك .. فسأتحدث إليهم .. لعل فى ذلك ما يريح النفس — على الأقل — ولعل الله ينفع بما أقول .

أيها الرجال .. ويطيب لى أن أخاطبكم دوما بالرجال .. لأن الرجال فى دنيانا اليوم قليل.. لقد تقدمتم مختارين.. لأصعب مهمة.. وأسمى واجب..وأشق عمل.

ولقد أخذتم على عاتقكم العبء بكل ثقله وغرمه .. دونما مطمع بمغنم أو انتصار سريع .. وهذا لعمرى .. هو فرق البطولة .. وقمة نكران الذات.

ولست أجد فى كل ما أعرف ، أفضل ولا أكرم من تذكيركم بمقام أناس سبقوكم ، وكانوا فى مثل ما أنتم فيه الآن ، فنزلت بحقهم الآية الشريفة :

« لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير(١) ».

وأنتم اليوم تقاتلون فى مثل ما قاتلوا.. من قبل الفتح ومن قبل أن تنطلق الجيوش والجموع .. تقاتلون وحيدين.. قلة مؤمنة .. وأنكم والله لأضيع من جند طارق على سواحل الأندلس..وليس لكم إلا الصبر ،فالنصر..وإنه لآت.. بإذن الله..

ولكن .. لابد من وقفة معكم .. ولو يسيرة ، قبل أن تمضوا صعداً فى دروب بطولتكم .. مخلفين وراءكم جموع الكسالى .. تشدهم روابط الحياة إلى مواقعهم على الأرض .. فى المكاتب أو المناصب .. أو البيوت والسيارات وبين الأموال والأولاد . فى هذه الوقفة البسيطة أقول لكم أمرين هامين :

١ – أولا .. إنكم تموتون .. وكلنا سيموت ، وهل تدرون ما معنى ذاك ؟ معناه إنكم تخسرون هذه الحياة .. تقدمون على هذه الخسارة بمحض اختياركم .. وأنتم تعلمون بها قبل وقوعها .. فقابل أى شيء أنتم تفعلون ذاك ؟

إنه والله فى هذا الكون كله ما يستحق أن يجود الإنسان من أجله بحياته .. بوجوده ، بذاته كلها .. إلا الجنة .. والطريق إليها واضحة ، مثل شمس الضحى .. وإنه بالنسبة إليكم لفى غاية السهولة ، ولا يصعب سلوكها إلا على العتاة الكفرة .. غلاظ القلوب ، أو الضعاف العجزة .. صغار النفوس ممن يتعلقون بهذه الحياة ، أكثر من تعلق الطفل بأذيال أمه .

الطريق إلى الجنة .. هذا الثمن الكريم .. لحياتكم التى تبذلونها مختارين مسرورين .. هو الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله .

وبمعنى أوضح .. اجعلوا قتالكم الذى تمارسون .. خالصاً لله وحده .. وابتغاء إعلاء كلمته ، وهذا لا يحتاج منكم كبير جهد ، وقد أقدمتم على الأصعب والأشق والأخطر .. أقدمتم على القتال .. فأقدموا على إخلاص النية وصدقها .. تفوزوا بالجنة ونعيمها .

---

(١) الحديد الآية (١٠) .

ولنردد معاً قول واحد من رجالنا وسيد من سادات أبطالنا ، عبد الله ابن رواحة :

يا حبذا الجنة واقترابهـــا طيبــة وبــارد شرابهــــا

٢ – وثانياً . . كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قائد جيشه فى العراق ، سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، وصية مطولة جاء فيها :

« أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد ، بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا وإن أسأنا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله ، كفرة المجوس .

« . . . فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا » ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، اسأل الله ذلك لنا ولكم » . .

ولقد أردت سوق هذه الوصية لكم يا رجال .. لعل الله ينفعكم بها . . فاليكم هى .. بدون مطلق تعليق .. فهى بغنى عنه . . وهى أقرب إلى قلوب المؤمنين .. من كل شرح مهما عظمت بلاغته ورقت عبارته .

فعليكم أيها الرجال بتقوى الله .. وليكن جهادكم لله تعالى وحده ، ومنه تستمدون القوة .. وإليه تكلون أموركم وهو وحده كافل النصر لكم .. وأنكم والله إن صدقتم النية لله وحده واتقيتموه لفائزون بإحدى الحسنيين .. شهادة كريمة .. جزاؤها مقام كريم عند رب كريم ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين .. أو نصر عظيم .. وفتح مبين .. فيه تحقيق لكل الآمال العراض .. وفيه شفاء لما فى الصدور .

و بعد ذلك .. أخيراً :

لا يهمنكم ماذا سيحل بالزوجة والأولاد.. فذاك أمر ليس فى مكنة أى منا أن يوجهه كما يريد.. ولا حتى الذين خلفوا.. بحجة أن لهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم.

.. كنا نتحدث مرة .. ولم يك – كالعادة – من حديث لنا إلا فلسطين والأعداء ، والقتال .. جهاداً فى سبيل الله ، لرد الأعداء الغزاة .

وتحمس أحد الحاضرين .. فسأل : وما الحل ؟ فأجابه آخر : إن الحل الوحيد هو أن يتحرك كل قادر على القتال منا إلى أرض القتال .. ويباشر القتال .

ولقى الحديث صدى طيباً فى نفسه ، ولكنه ما لبث أن ارتطم بنداء الحياة الدنيا .. فقال : ولكن .. والأولاد ؟

ولم يجبه الثانى .. بل بادره بالسؤال فوراً : .. أو ليس ممكناً أن يقبضك الله إليه ، الآن .. فى هذه الجلسة وقبل أن تذهب للقتال ؟

فوجىء الرجل بالسؤال .. فأجاب : طبعاً . عندها بادره بالسؤال المفحم : طيب .. والأولاد ؟

فأجاب جواب المؤمن الصدق : (أن لهم الله) .

وهنا أحكم عليه الطوق وقال له : « وكيف يكون الله لهم إن أنت مت الآن .. ولا يكون لهم إن أنت مت هناك .. مقاتلا مجاهداً ؟ » .

.. بلغ منه التأثر حداً مفرطاً .. وانفض اللقاء .. وذهب الشاب .. ليكمل أجازته .. ويعود من جديد .. إلى مجال السعى على الزوجة والأولاد .. إلى إحدى دول الخليج .

هذه أسوقها لكم أنتم .. الذين تساميتم ، فوق هذه العواطف والروابط وأجبتم داعى الله .. يدعوكم إلى الحياة .. الحياة الحقة .. التى عرفتم طريقها فسارعتم رغم كل ما فى الطريق من محن وآلام .

وأما الأولاد .. فدعوهم فعلا لله .. ولكن علموهم أن ينشدوا كلما ذكروكم :

قل للذى ليحرر القدس انبرى ... يصلى الغزاة النار فى صلى سديد
يسقى ثراها بالنجيع وما ارتضى ... عيش الأذلة قد نضى ثوب العبيد
أنا لست أبكى إذا فقدتك يا أبى ... بشهادة قد نلتها إنى سعيد
سأصيح فى الدنيا أسعر للصدام ... وإنى ماض بقصدى لن أحيد

* * *

أماه قومى فالبسى حسن الثياب ... فإنه قد جاءنا نعش الشهيد
وتزينى ، وتشددى ، لا تجزعى ... لا تذرفى الدمع السخين ، فلن يفيد
لا تفسدى فرح الرجال بعبرة ... للدمع قد ولى زمان ، لن يعود
ودعى البكاء يكون يوم فجيعة ... فيه انهزمنا غفلة ، لا يوم عيد

* * *

عهد علينا يا أبى ، وبقادر ... وعد المجاهد جنة ، أو أن يسود
أنا على درب الشهادة سائرو ... ن لحربهم ، نشتد مثلك ، كالأسود
وغداً إذا عاد الضياء لقدسنا ... لا تسألى يا أم ، أين ثوى الشهيد
موت الرجال حياتهم إن هم مضوا ... يبغون نصر الله من كيد اليهود

وختاما ...

وبعون الله تعالى ...

تم هذا الكتاب ...

وإليه وحده خالص الشكر .. وعظيم الامتنان ..

وإلى الله وحده .. الذى لا غيره يسأل فيعطى بدون حساب ..

وإلى القاهر فوق عباده .. سيد الجبارين .. والقادر وحده على إذلال العتاة من عبيده ..

أجأر بالدعاء — وما أملك اليوم سواه — ...

أن يجعل كتابى هذا ... سهماً قاتلا ..

يصيب من المجرمين مقاتلهم ..

فيكون سقوط الحزب المجرم ..

وتكون فرحة أولى وكبيرة ..

ثم يكون زوال الكيان الدخيل من أرضنا ..

وتكون الفرحة الأكبر ..

وبالبشر تهلل الوجوه ..

وبالشكر تلهج الألسنة .. وتختلج القلوب ..

تمجد الله الذى لا رب غيره ..

وتكون مرحلة جديدة من الإشراق فى عمر هذه الأمة ..

المصادر والمراجع

(أ) الكتب

المرجع	المؤلف	معلومات أخرى
١ — القرآن الكريم	—	—
٢ — أخبار عمر	علي الطنطاوي ناجي الطنطاوي	الطبعة الأولى — دار الفكر بدمشق
٣ — المسلمون والحرب الرابعة	زهدي الفاتح	الطبعة الأولى .
٤ — الوحدة العسكرية العربية	اللواء الركن محمود شيت خطاب	الطبعة الثانية — دار الإرشاد بيروت
٥ — مذكراتي عن فترة الانفصال في سورية	الفريق عبد الكريم زهر الدين	الطبعة الأولى — دار الاتحاد .— بيروت
٦ — السياسة السورية والعسكريون .	جوردون . هـ . توري . ترجمة محمود فلاحة	الطبعة الثانية — دار الجماهير
٧ — الصراع على سورية	باتريك سيل ترجمة سمير عبده — محمود فلاحة	الطبعة الأولى — دار الأنوار — بيروت .
٨ — المؤامرة ومعركة المصير	سعد جمعة	الطبعة الثالثة — دار الكاتب العربي — بيروت .
٩ — اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس من - ٧ - ١٩٦٦ إلى ٣٠-٦-١٩٦٧	منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث	— بيروت

المرجع	المؤلف	معلومات أخرى
١٠ ـ أعمدة النكبة	الدكتور صلاح الدين المنجد	الطبعة الثانية ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت .
١١ ـ هانوى تحت القنابل	ويلفورد بورشيت تعريب أكرم درى والمقدم الهيثم الأيوبى	الطبعة الأولى ـ دار الإرشاد ـ بيروت .
١٢ ـ الكتاب المقدس (العهد القديم)	ـ	جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ساحة النجمة ـ بيروت .
١٣ ـ الكنز المرصود فى قواعد التلمود	ترجمه من اللغة الفرنسية ـ الدكتور يوسف حنا نصر الله	الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٦٨
١٤ ـ همجية التعاليم الصهيونية	الأب بولس حنا مسعد	منشورات المكتب الإسلامى ـ بيروت .
١٥ ـ دفائن النفسية اليهودية	الدكتور محمد على الزعبى	الطبعة الأولى ـ مؤسسة الزعبى للتأليف والنشر ـ بيروت .
١٦ ـ الخطر اليهودى أو بروتوكولات حكماء صهيون	حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسى	الطبعة الرابعة ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت .
١٧ ـ حربنا مع إسرائيل	حديث صحفى مع الملك حسين ملك الأردن ، أجراه صحافيان فرنسيان	الطبعة الأولى ـ دار النهار ـ بيروت
١٨ ـ عرب ويهود العداء الكبير	الدكتور سامى الجندى	الطبعة الأولى ـ دار النهار ـ بيروت .
١٩ ـ كسرة خبز إيللى كوهين	الدكتور سامى الجندى بين بورات	الطبعة الثانية ـ دار النهار ـ بيروت .

المرجع	المؤلف	معلومات أخرى
٢٠ ـ جاسوس من إسرائيل	يوري دان	الطبعة الأولى بيروت ـ دار العلم للملايين .
٢١ ـ الخدمة العسكرية من أجل السلام	الجنرال كارل فون هسورن تعريب خيري حماد	دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة
٢٢ ـ بن غوريون	تهاني هلسة	من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت .
٢٣ ـ المنطقة الجنوبية الغربية ـ الحرمون	نور الدين شهيد المندي ـ بإشراف الدكتور عبد الرحمن حميدة	رسالة جامعية . العام الجامعي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ـ دمشق
٢٤ ـ جغرافية القطر العربي السوري	إبراهيم حلمي الغوري . أنور عقاد ـ قاسم حجو	إصدار الكتب المدرسية . وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية ـ العام الدراسي ٦٨ ـ ١٩٦٩م

(ب) الصحف :

١ ـ مجلة البعث الإسلامي	العدد العاشر ـ المجلد الثاني ـ ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٨٨ هـ . أول يوليو سنة ١٩٦٨ م .
٢ ـ مجلة الحوادث « اللبنانية »	العدد (٦٠٤) تاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٦٨ ـ بيروت .
٣ ـ مجلة جيش الشعب	العدد ٧٩٤ تاريخ ١٥ نيسان ـ ١٩٦٧ ـ دمشق . العدد ٨٣٤ تاريخ الثلاثاء ٤ حزيران ـ ٦٨ ـ دمشق . العدد ٨٨٥ تاريخ الثلاثاء ٣ حزيران ـ ٦٩ ـ دمشق
٤ ـ جريدة النهار « البيروتية »	عدد خاص صدر باسم «النكسة» ميلاد ١٩٦٧ ورأس السنة ١٩٦٨ ـ بيروت .
٥ ـ جريدة الثورة «السورية»	العدد الصادر يوم ٢٠ أيار سنة ١٩٦٧ ـ دمشق .
٦ ـ جريدة الأنباء « اللبنانية »	ملحق العدد ٨٦٤ ـ السبت في ٤ كانون الثاني سنة ١٩٦٩ .
٧ ـ صحيفة الهدف «اللبنانية»	العدد ٢ السنة الأولى السبت ٢ آب سنة ١٩٦٩

فهرس الكتاب

(أ) الموضوعات :

رقم الإيداع ٣٩٧٠ / ١٩٨٠

الترقيم الدولي ٧ ــ ٣٢ ــ ٧٣٢١ ــ ١٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية

١٢ ش نشــاطي ـ شــبرا مصــر

ت : ٩٧٠٢٢١